فرس النبى

رواية

نبيل عبد الحميد



... روايــة

فــرس النبــى

نبيــل عبد الحميد

..إهـــداء

.. إلى الدكتــور جابر عصفــور

تقــديراً .. وعـرفـانـاً ،

نبيـــل عبد الحمــيد

- ١ -

تحرك الموكب الفخم ، خارجا من ساحة المطار إلى الطريق الرئيسى . فى المقدمة يزمجر موتوسيكلان كبيران ، ويطلقان أصوات « السارينة » المميزة والإشارات الضوئية . من خلفهما تزحف المرسيدس الحمراء ، وعلى جانبيها سيارتان سوداوان تلمعان في وقار . وفي الخلف « مينى باص » مملوء بأصوات تزعق فى حماس . انفرجت ملامح الحاج قطب الممتلئة ، وسرى فيها حيوية الانبساط والرضى . أعجبه شكل الموكب ومظاهر الأبهة ، فخرج من عباءته المقصبة ، وتمطى على راحته فى مقعد المرسيدس الخلفى .

ألقى بالمسبحة إلى جواره ، وراح يثنى على ما فعله عباس لإعداد الموكب بهذه الصورة المشرفة . والتفت إليه عباس واعيا ومهنئاً بسلامة الوصول . تذكر الحاج قطب شيئاً هاماً ، فرفع سماعة التليفون وتكلم فى تشوق . أخيراً وصل الموكب إلى مدينة نصر .

وتوقف عند السرادق الكبير ، أمام عمارة القطب .

وعندما فتح باب المرسيدس ، ووضع الحاج رجله على الأرض ، ضرب الجزار سكينه فى رقبة الثور الضخم ، فتطايرت نافورة الدماء ، وتدفقت الزغاريد الجرسية تملأ المكان ، وتنافس الراقصون والمجاملون فى احتلال بؤرة الاحتفال .

أنزل بعض الرجال حقائب الهدايا من العربات ، ووضعوها على منصة كبيرة ، فى مدخل السرادق ، عليها مفرش أنيق .. بينما اندفع البعض يطلقون الأعيرة النارية والصواريخ الملونة إلى وجه السماء .

ويعد أن شارك القطب بنفسه في توزيع الهدايا واللحوم على كل الحاضرين أخذ عباس جانبا وسأله عن المأمور ياسر الشاهد ، فأخبره أنه في مأمورية ، وسيأتي غداً ، وأنه سأل عنه مرتين .

انفض الاحتفال ، وخف الزحام من السرادق .. فتأهب القطب للقيام .

ورأى عباس أن الفرصة قد حانت لكي يسترضي الحاج ، ولكي ينال مزيدا من ثقته ، فاستمهله في رجاء ، وراح يستعرض أمامه مجموعة الأخبار والصور التي نشرها في الجرائد ، عن عودته من رحلة الحج المباركة . وانسجم القطب من المبادرة الذكية التي قام بها عباس ، فامتدح وفاءه وحسن تصرفه ، وفي نفس الوقت كان يلوم نفسه علي نسيانها هذه الخطوة المؤثرة ، وعدم الانتباه لما تستحقه من اهتمام بالغ .. في الطريق إلى باب العمارة ، كان عباس يفكر في فايزة ، يتمنى أن يأخذ القطب معه إلى أعلى ، فلعله يراها ، يلمحها ولو من بعيد ، فيبترد صدره ويرتاح . انتبه إلى أن القطب يسأله عن أخبار برج التوحيد والنور ، فطمأنه عباس إلى أن العمل لم يتوقف لحظة ، وأن « التشطيبات » النهائية قد تمت كلها حسب أوامره ، وأصبح البرج جاهزا للتسليم .

وسكت عباس .. آثر أن لا يخبر القطب بإعلان المحكمة ، والذي استلمه في غيابه ، حتى لا يعكر صفو ليلة العودة ، ورأى من الحكمة أن يرجيء هذا الخبر للوقت المناسب .

بعد أن دخل القطب ، ظل عباس يتمشى في حديقة المبنى .

كان يضايقه منذ أن تسلم برقية القطب ، أن الفرصة قد أفلتت من يده ، ضاعت قبل أن يفعل شيئاً ، أو أن يقول شيئاً . !

وكان يحس بالندم على تردده الجبان في اتخاذ خطوة إيجابية ، تلفت نظر البنت إليه ، تشعرها بوجوده ، قبل أن يعود القطب . !

وتطلع إلى أعلى ، حيث همت الأضواء والحركة ، فشعر بانكسار القلب . !

كانت عودة القطب تعنى انتهاء مهمته ، تعنى حرمانه من التردد على جنة الحبيبة ، بحجة رعاية أهل البيت والقيام بمطالبهم .

ومشى عباس خارجا من الحديقة .

آه لو أنها أعطته بادرة أمل مشجع ، أو حتى سمحت لعينيها أن تلتقيا بعينيه .!

- ٢ -

رفض المأمور ياسر الشاهد أن يقبل الهدية .

اعتذر فى إصرار ، وشكر الحاج قطب على مجاملته وكرم أخلاقه .

طاوعه الحاج وركن الهدية جانباً .. ثم أخرج سبحة أنيقة وقدمها إليه

- أظن أنك لا ترفض هذه .

أخذها ياسر الشاهد ممتثلا ، وناوله كوب الليمون .

عاد القطب يتكلم فى موضوع قطعة الأرض .. وأنه فكر جيدا فى الأمر ، واستقر به الرأى ، على أن يتنازل عنها لصالحه .

ابتسم ياسر الشاهد متعجبا .

- لصالحى أنا .. ؟

سكت القطب لحظات ، بدأ وكأنه لم يسمع السؤال .. ثم تكلم فى وقار ، بينما تتطاول هامته على ظهر الكرسى .

قال إن وزارة الداخلية ساومته كثيرا ، لكى تحصل على هذه القطعة ، ولكنه كان يرفض ، ويصر على الرفض . !

فهو لا يتاجر فى الأراضى ، ولا يبيع أرضا اشتراها ، مهما أغراه الثمن ، أو ضغط عليه أصحاب السلطة . !

فهو مواطن صالح ، يحب بلده ، ويشارك على قدر إمكانياته فى حل مشاكلها . ولذلك فهو يشتري الأرض لكى يبنى عليها ، لكى يساعد فى حل أزمة الإسكان .

تقبل ياسر الشاهد كلام القطب على علاته ، ولكنه ظل متوجسا مما يرمى إليه .

- بارك الله فى أمثالك ياحاج

طلب القطب فنجان قهوة ، ثم عاد إلى الموضوع .

قال إنه من أجل خاطر مأمور القسم ، خاطره وحده ، سيعتبر هذه القطعة هبة منه ، ولن يأخذ مليما واحداً من ثمنها .

إتسعت إبتسامة ياسر الشاهد وهو يقول مستدركا .

- تقصد من أجل خاطر القسم ياحاج .

تطلع إليه القطب مستخفا بضيق أفقه ، متبرما بسذاجة مناورته .. وقرر أن يلاحقه من أقصر الطرق .

قال بصوت متثاقل وهو يميل ناحية المأمور .. إنه يفعل ذلك من أجله هو ، من أجل الصداقة التى بدأت بينهما ، وليس من أجل توسيع القسم ولا غيره .. فإن المسئولين عندما يعرفون أن المأمور ياسر الشاهد قد نجح بالفعل فيما عجزت عنه الوزارة كلها . بل إنه استحوذ على قطعة الأرض مجانا ، ولم يكلف الميزانية شيئاً ، فلا بد أنه ستكون هناك احتفاءات وترقيات وخلافه لجناب المأمور الهمام .

ضحك المأمور وهو يستوعب جيداً كلام القطب ، وراح يربت على يده الكبيرة فى حماس .

- ليس إلى هذه الدرجة ياحاج .. عموما هدية مقبولة

ثم تدارك الكلام ، بينما يناول القطب فنجان القهوة

- أقصد للحكومة طبعاً .

لم يعجب القطب الكلام ، بدا أنه يضيق بهذا التعفف السمج ، ويستنكر عجز المأمور على مجاراته فى لعبة تبادل المصالح ، لعبة خذ وهات . ارتشف فنجانه على مرتين ، وقال فى جدية حاسمة وهو يتأهب للقيام

- عموما أنا قصدت أن أخدمك أنت ، ولا أحدا سواك . فإن قبلت الهدية ، كان بها ، أوراق الهبة جاهزة فى جيبى .. وإلا .. فأنا أولى بأرضى .

فوجىء المأمور بحرج الموقف ، وبأن الفرصة ستفلت منه ، بعد أن قدمها له الرجل على صينية من ذهب .. فبادر يتعلق بالقطب ويحاول أن يسترضيه .

- انتظر يا حاج .. معقول أرفض هديتك .. خلاص ياسيدى ، هدية مقبولة ، بارك الله فيك .

ابتسم الحاج وهو يتلذذ بانتصاره .. وعاد يتراخى فى كرسيه .. ثم سحب الهدية المركونة جانباً ، وحطها أمام المأمور ، بينما يضاحكه فى خبث .

- تقصد هديتين مقبولتين ياباشا

ولم ينطق الباشا .. وظل يضحك مرتبكا .. !

- ٣ -

مشيا فى الطرقة إلى الباب الخارجى ، وهما يتوددان ويضحكان فوجئا بشخص طويل ينزرع بينهما ، عيناه تلتمعان وفمه مملوء بالأسنان العريضة ، ضحك فى خشونة وهو يلتقط كف أحدهما بكفه الكبيرة

- الأستاذ بركات عبد الهادى ، صح . ؟

قال بركات .. صح

ثم شد على كف الآخر وهو يسلم عليه بقوة

- وأنت الاستاذ همام الشريف . صح . ؟

هز همام رأسه موافقا

- صح

ثم راح يعتذر فى بساطة لأنه قطع انسجام الرجلين ، وقدم نفسه وهو يتطلع إليهما فى مكر ملحوظ .

- اللواء منصور عبد الجابر ، المباحث العامة

رحب به بركات وهو يرتاب فى طريقة نظراته ، وبدأ على وجه همام بوادر القلق .. قال منصور وهو يوحى إليهما أنه يترفق بهما ، ويتباسط معهما

- عموما سأدخل فى الموضوع من أوسع أبوابه .

تسرب الخوف إلى صدر بركات ، ولم يستطع أن يخمن شيئا بعينه على سبب وقوع هذه البلوى عليهم . تساءل بركات ليحرك صمت الرجل .

- خير يا سيادة اللواء .

انطلق منصور يقهقه ويخبط على كتف بركات بكل يده .

- يارجل ، ألا تعرفنى ، ألا تعرفنى بجد . ؟

ثم قطع ضحكته فجأه ونظر إلى همام بطريقة أربكته

- يظهر أنى عطلتك ، كنت ماشياً ، صح . ؟

احتار همام ماذا يقول ، وماذا يفعل .. فهو من جهة لايريد أن يترك صديق عمره بركات ، قبل أن يعرف حكاية هذا البنى آدم معه ، ومن جهة أخرى فالبنى آدم لا يريد أن يتكلم فى وجوده . !

اضطر أخيراً أن يسلم ويمشى ، بعد أن وعد بركات بالاتصال به ليكملا الموضوع .. ظهر على وجه منصور أنه كان متأكدا من السيطرة على الموقف ، والانفراد ببركات من أقصر الطرق . وعاد يتساءل فى ليونه إن كان فعلا بركات لايعرفه ، وعاد بركات يؤكد له . !

قال منصور مندهشا .

- أنا جارك يارجل ، معقول لا تعرف جارك ، اشتريت الڤيلا التى وراءكم من شهرين .

رحب به بركات ، وهو يشعر ببوادر الاطمئنان تزحف على صدره .

أخذ منصور تحت ذراعه ومشى به فى طرقة الحديقة ، المؤدية إلى خلف المبنى ، كان يتكلم فى تردد ، اعتذر لعدم إمكانه دخول شقة بركات هذه المرة لأن عنده ضيوف ، ووعده بزيارة عائلية قريبة .

احتار بركات .. إذا كان الرجل لم يأت لزيارته ، فلماذا أتى إذن ؟

ثم لماذا يأخذه لينفرد به خلف المبنى ؟

وبدا منصور جادا وهو يسأل بركات ، لماذا لم يبادره هو بالزيارة

– وعلى فكرة أنا رجل خدوم وابن بلد

وتضاحك هو يواصل كلامه

– عرفت أنك رجل يحب أن يعيش في حاله ، لكن أنا بقى لا أحب أن أعيش فى حالى ، قلت إيه ياجارى !

اقتربا من السور الذى يفصل بين الحديقتين .. فأطلق منصور صفيرا منغماً

بدا صوت هرولة أقدام ، ولهاث مبحوح خلف السور .

وفجأة برز رأس مخيف !

تراجع بركات مفزوعا والكلب ينبح فى وجهه بشكل مرعب

معقول كلب بهذه الشراسة !

وتعلقت عينا بركات بلسانه الطويل ، وأنيابه المسنونة ، وعيونه الوحشية ، وهو يشب على السور يطلع وينزل ، يظهر ويختفى ، ونباحه الفظيع يصفع الوجه .

زعق منصور بصوته الخشن

– جاك هوب

توالت خمشات المخالب متلاحقة على الحائط ، واستوى الكلب فى لحظات على السور ، وراح يتطلع إلى بركات ويلهث فى تحفز ..

تمددت قامة منصور فى زهو وهو يتطلع لكلبه .

– سلالة نقية .. ما رأيك .

خاف بركات أن يتكلم ، فيهجم الكلب عليه ويفترسه !

وخاف أن يسكت فيهجم الكلب عليه ويفترسه !

لم ير فى حياته كلبا بهذا الحجم ، وشعر بالأرض ترتفع به ، وتقربه من فم الكلب . تباسط منصور فى خبث واضح .

- حسبتك تعرفه ، وتصاحبت عليه ، عموما لا نطلقه إلا فى الليل

وأخيرا بعد أن نشف دم بركات ، زعق منصور فى تعاظم .

- جاك ارجع .

فزام الكلب معترضا .. ثم هز ذيله ونط وراء السور

ربت منصور على كتف بركات

- اطمئن ، لا يؤذى بدون سبب

ثم سحبه من يده عند حنفية الحديقة .

- يا شيخ أنسيتنى ما جئت من أجله

سكت قليلا وعيناه تحاصران بركات فى سماجة ، ثم دخل فى الموضوع .

قال إنه يقوم ببناء دور ثان بالمبنى ، وأن المياه انقطعت فجأة فتعطل الشغل ، ولما سأل هيئة المياه ، عرف أنهم يقومون بتصليح إحدى الوصلات ، وأن هذا التصليح سيستمر ثلاثة أيام على الأقل .

- طبعا أنت تعلم أننى رجل لى نفوذى وحيثياتى ، إنما يبدو أن مسألة التصليح هذه أكبر مما تصورت .. المهم وبدون أن أفكر قلت الجيران لبعضها ، خرطوم نمده من عندك لعندى ، تعود المياه لمجاريها .

ثم راح يضحك فى عنف ، ويخبط ظهر بركات بكل يده ..

- ٤ -

عندما تمدد بركات بجوار زوجته عفاف على السرير ، تنهدت وحطت ذراعها على وجهها فى عصبية

- كل هذا تتكلمان ؟

- هل شفت الكلب ياعفاف ؟

- أى كلب ؟

- جاك ، اسمه جاك

تأففت وأعطته ظهرها

- نم وخلنى أنام

- منظره فظيع ياعفاف ، والمصيبة أن السور واطى

بعد لحظات سمع بركات نباحا يشبه نباح جاك ، يأتى من ناحية السور .

هب قاعدا فى السرير وركز .. هو صوت جاك ، أكيد يحاول أن ينط السور .

وقد يكون نطه وانتهى . لابد من تعلية السور ، حتى لا تأخذ رجله على النط عندنا ، وقد يعض أحدا منا وتبقى مصيبة ..

تقلبت عفاف فى عصبية وطلبت منه أن يكف عن مكالمة نفسه وأن ينام .

انتبه بركات إلى إنه فكر بصوت عال . اقترب من عفاف وحط يده عليها .

- الرجل جارنا طلب منى خرطوم مياه ليكمل البناء .

- أى رجل ، وأى خرطوم ؟

- جارنا ، اللواء منصور ، صاحب الكلب

- أى كلب ، أتحلم وأنت قاعد

وشدت الغطاء وتغطت كلها ..

وعاد بركات يتمدد وهو مفتوح العينين ، يتسمع فى سكون لأى صوت أو حركة تأتى من ناحية الحديقة . !

- ٥ -

انتفض بركات من نومه مفزوعا .

- إيه الحكاية ؟

كانت عفاف تزعق ، وتضرب الأرض بقدميها ، وتشد اللحاف عنه .

- الديك ، أولاد الكلب ، البوليس ، لو كنت تسمع كلامى .

نظر بركات إلى المرآة فامتعض ، لم يعجبه شكله وهو قائم من النوم ، شدته عفاف فى عصبية فطاوعها مستجيبا .

- اسمع ، إن لم تعمل شيئا هذه المرة فسأعمل أنا

طار النوم من دماغ بركات وهو يتبعها إلى المطبخ ، وعند الباب الخلفى المؤدى إلى الحديقة ، ظلت عفاف تزعق وتضرب الحائط بيديها .

- من يظنون أنفسهم ، البوليس ، البوليس هو الذى يؤدب هذه الأصناف .

اقترب بركات من الباب ونظر هناك .. رأى الكلب فى الحديقة المجاورة ، وفى فمه ديك يزعق بصوت مخنوق ، قال مؤكدا .

- جاك ، هو جاك بعينه .

زعقت عفاف بكل صوتها ، حتى يصل إلى هناك .

- هذا الكلب الملعون نط السور وخطف الديك

وكانت المرأة الطويلة الممتلئة ، لابسة روبا فاقع الألوان ، وبيدها سكين كبير تسنه على حجر السلم ، وهى تبتسم فى وداعه .

نادت المرأة على البنت الخادمة فجاءت تجرى ، وأخذت الديك من فم الكلب وناولته لسيدتها ، فظلت تقلبه بين يديها فى إشفاق وعيناها على بركات وعفاف .. ثم لوت رقبته وذبحته فى بطء وتشف .

هاجت عفاف وأكلت نفسها من الغيظ ، بينما يسألها بركات إن كان الديك فعلا ديكهم .

– ماذا جرى لك يابركات ، ألا تعرف ديكنا

أمسكت المرأة الديك المذبوح من رجليه ، وأدارته فوق رأسها مرتين ثلاثة ، ثم طوحته فى الجو ، فعبر السور ، ووقع فى حديقة بركات ، وخبط الأرض .

زعقت عفاف فى وجه بركات

– شايف ، كل هذا وأنت واقف وساكت

نزل بركات والتقط الديك .. وضعه فى حوض المطبخ وفتح الحنفية ، بينما عفاف تراقبه فى دهشة ..

– عايز تموتنا بالسعار ، ألم تر الكلب بعينك وهو يفترسه ؟

ثم خطفت الديك ، وهرولت خارج المطبخ ، وصوتها يملأ الجو

– والله إن ما كان الديك يرجع سليما وحيا لأخرب بيتكم وأمسكته من رجليه وأدارته فوق رأسها مرتين ثلاثة ، ثم طوحته بكل قوتها فطار فى الجو ، ووقع فى الحديقة المجاورة ، وخبط الأرض .

جرى الكلب وهو يزوم بصوت خشن ، اختطف الديك وجرى به إلى المرأة ، فزعقت للخادمة فى بلاده وهى تطوح ذراعها .

- اسلقيه وأعطيه لجاك ياحورية .

خبطت عفاف الباب وهى منحورة .

- لازم أروح القسم حالا

خمن بركات أن المرأة زوجة منصور ، رآه جالسا هناك بين الأشجار ورأسه خلف الجريدة .. حاول أن يهدى عفاف ، وأن يستمهلها حتى يتفاهم أولا مع الرجل ، ولكنها أصرت أن تحضر البوليس وهم متلبسون ..

وجرت إلى دولاب ملابسها وهى تزعق

- إن كنت خائفا منهم فسأروح وحدى .

جاءت رحاب ونظرت إلى أبيها فى أشفاق ، وهو حائر فى وسط الصالة ، يعرف أن عفاف قد ركبت رأسها وعندها ، وعندما تكون فى هذه الحالة ، فهى لا تسمع ولاترى ولاتفكر .

أخذ بركات البنت وجلسا فى الصالة ، وكان صوت الخبط والرزع يصل إليهما من الحجرة المجاورة ، وصوت عفاف المتشنج المستفز .

- لو كان لى رجل مثل بقية الرجال ، ماحصل كل هذا ، عشنا وشفنا ، الرجل يقعد فى البيت ، والست تجرى فى الشوارع ،

شعر بركات أمام البنت بالمهانة ، واحتار إلى أين يدارى عينيه ، وهى ترجوه أن يذهب مع أمها .

عند موقع ممتاز بمدينة نصر ، دارت المرسيدس الحمراء حول موقع البرج الكبير ، برج التوحيد والنور

وكان القطب ينظر من خلف الزجاج ، وتتسلق عيناه إلى قمة البرج فى انسجام .

فتح عباس باب العربة ، فنزل القطب وتمشى فى وقار.

تجمع حوله بعض العمال ، وراحوا يتقربون إليه فى تودد ، ويهنئونه على انتهاء العمل فى برجه الجديد .

وجاء المهندس مذكور فارداً ذراعيه ، ليأخذ القطب فى أحضانه .

- يا ألف مرحب ياحاج ، خطوة مباركة ياحاج

وتركه القطب يرحب به على هواه ، وبدا مشغولا بالتشطيبات النهائية التى أظهرت جمال البرج وروعته .

أخذه مذكور إلى يافطة البرج ، وراح يغريه فى زهو ، ألابستر إيطالى نمرة واحد ، والخط ذهب بندقى معرق ، والستارة حرير يابانى أصيل .

ألف مبروك ياحاج .

لم ينظر القطب إليه ، ولم يعلق على مناوراته ، وبدا مستخفا بما يقول .

ولاحظ مذكور ذلك ، فمال عليه ساعيا لمزيد من الاهتمام

- وكلها أسبوع ياحاج ، ويشرفنا الوزير بنفسه ، ليفتتح البرج .

تطلع إليه القطب ساهما ، ثم نادى على عباس ، وأعطاه تعليماته بطريقة إعلامية ، أن يصرف أجر أسبوع مكافأة للعمال .

تضايق مدكور ، واجتر غيظه بداخله .

كان معتادا أن يتلقى هو الأنباء السعيدة من القطب ، وأن يمن هو ببشراها على العمال ، وليوحى إليهم بأنه وراء هذا العطاء ، ولولاه ما أصابهم شيء منه .

بعد أن انفض مولد العمال .. أخرج القطب ورقا من جيبه وراح يتطلع إليه ويهمهم فى عبوس .

تساءل مستنكرا وعيناه لاتتركان الورق

بند إكراميات الأدوار المخالفة .. كم ؟ .. مليون يامدكور ؟

نظر مدكور إلى عباس متوجسا ، كان لايحب أن يخوض فى هذا الكلام وهو موجود .

لذلك بادر يستمهل القطب إلى ما بعد .. ولكنه لم يعطه فرصة المراوغة .

قال مدكور فى تأفف

- أصلها محسوبة يا حاج ، مهندس التراخيص وعصابته ، رئيس الحى وعصابته ، مهندس الأشغال ، مدير المرافق ، وغيره ، وغيره .

تململ القطب وتلفت حوله ، فأسرع عباس وأتى له بكرسى .

حاول مدكور أن يفلت من نظرات الريبة التى تحاصره ، ولكنه عجز ..

وأحس أن القطب يضمر له شكا مؤكداً . !

وفى لحظات وازنها فى رأسه ، وقرر أن يلاعبه على المكشوف ، ما دامت هذه رغبته .

سحب مذكور كرسيا وجلس فى مواجهة القطب .. ثم قال

- اتفقنا على أن نبنى عشرة أدوار زيادة عن رخصة الحكومة ، يعنى عشرة أدوار مخالفة ، تمام يا حاج .. ؟

هز القطب رأسه وهو صامت ، فواصل مذكور

- غرامة الدور المخالف فى قوانين الحكومة لن تزيد عن مئة ألف ، ثم مئة ألف رشوة تسليك أمور ، يبقى المجموع مئتان .. فلو فرضنا الدور يباع بمليون ، على أقل تقدير ، يبقى مكسبه كم يا حاج .. ؟

انفعلت ملامح القطب وأطاحت يده بالأوراق بعيداً

- أتعلمنى الحساب يا مذكور .. ؟

أسرع عباس بجمع الأوراق ، وهب مذكور متوتراً

- خلاص ياحاج ، كل واحد يشوف مصلحته

وانتفض القطب فسقطت عباءته على الأرض

- أنت تهددنى يا مذكور .. تهدد الحاج قطب يا مذكور .. طيب يا باشمهندس . !

تجمع العمال على صوت الزعيق ، وعيونهم تتواثب فى استطلاع .

حال عباس أن يفرقهم ، ولكن القطب منعه فى حدة .. وراح يستثير غضبهم على مذكور ، ويبدى تعاطفا معهم .

صاح فيهم أن هذا الباشمهندس يجور على رزقهم ، يستمرىء كدهم وعرقهم ليفوز هو بنصيب الأسد .. ولأنه يضع مصلحتهم فوق كل اعتبار ، فإنه يعلن استغنائه عن خدماته من الآن .

تحمس العمال ، وتداخلت أصواتهم وتحركاتهم ، بينما تجمد مذكور مبهوتا ، لا يصدق ما يسمع ، وما يرى . !

-٧-

جاءت انشراح وجلست قريبا من زوجها القطب .

فكرت أن تفاتحه فى الموضوع وهو معتدل المزاج ، لعله يوافق هذه المرة .

كانت الفرندة واسعة ، تطل على حديقة منبسقة ومزدهرة .. وكان القطب متراخيا فى كرسيه الملاصق للسور ، يمتص من مبسم الشيشة بكل عافيته ويطلق الدخان كثيفا إلى أعلى .

تسربت إلى مدخل الكلام فى حذر ، وهى متخوفة أن تثير غضبه ، فينفعل عليها . ولما انتهت من كل ما عندها ، أجابها فى استخفاف أنه لا يوافق .

تركها القطب تتكلم على هواها ، تناور فى سذاجة لا تخال عليه . !

احتارت إنشراح وبدت مهمومة .. فإن خالفت رأيه قلبها غما ، وإن تنكرت لرغبة البنات كسرت بخاطرهن . !

قالت معاتبة وعيناها على بطنها المنتفخ . !

- أبوهم ياحاج .. أيرضيك أن تحرم البنات من أبيهن

ضاق صدر القطب ، وهم أن ينفجر فيها .. ولكنه تماسك ، خاف إن أغضبها يحدث مالا يحمد عقباه . !

وضع مبسم الشيشة جانبا وراح يكلمها فى هواده . يشرح لها على قدر ما تفهم ، أن زيارة البنات للسجن تسيء لسمعتهن ، كما أنها ستترك أثرا مكروها فى نفوسهن .. والأهم من ذلك ، أن الأسيوطى لا يحب أن تراه بناته فى هذا الوضع المهين ، وأكيد سيرفض مقابلتهن .

ولاحقته انشراح لعلها تؤثر عليه ، قالت إنه من غير المعقول أن يرفض الأب رؤية بناته ، ثم إنها زيارة واحدة ، وستكون الأولى و الأخيرة .

ازداد ضيق القطب من الحاحها العنيد فانفلت زمامه .

صاح فيها إن اتصال البنات بأبيهن يسيء لسمعته أيضا ، يؤثر على مركزه وصورته أمام الناس ، ثم إنه فعل الكثير من أجل الأسيوطى ، فعل كل ما فى وسعه أن يفعله ، ومازال يفعل ، فماذا تريد منه بعد ذلك ، هى وبناتها . !

ثم انتفض واقفا وترك لها المكان .

وظلت انشراح ساهمة ، تلوذ بصبرها وتستعطفه . !

فماذا بيدها أن تفعل . !

إن كل ما حدث جاء رغما عنها ، حط عليها فجأة وأربك حيلتها . فلم تعرف كيف ترفضه ، أو حتى كيف تغيره ، وحدد لها طريقا واحدا ، أجبرها على أن تواصل السير فيه .

وأسندت رأسها إلى الحائط لكى تريحه .

لو أن الأسيوطى لم يفعل ما فعل ، لظلت هى كما كانت ، تعيش فى مملكتها الصغيرة ، تديرها على هواها ، تحس فيها بدفء الزوج وإخلاصه ، وتحس فيها البنات برعاية الأب وحنانه ، فعلى الرغم من تواضع مملكتها وبساطتها المتناهية ، إلا أنها ما تزال فى نظرها أفضل من مغريات هذا المكان . !

أحست ببطنها توجعها فقامت ، وراحت تتمشى مع سور الفرنده .

أين كان لها الحمل وهى فى هذا السن . ؟

عادت إنشراح تلوم نفسها فى مرارة .

كيف طاوعت القطب على أن تقع فى هذه الورطة ؟

أن تترك نفسها لتحمل منه ، وهى فى هذه السن الحرجة .

وخايلتها نظرات الطبيب وهى تغمرها بالإشفاق ، والتخوف . !

أحست بالغثيان يعاودها ، فاستندت إلى السور ، وظلت تملأ رئتيها بالهواء البارد ، ثم تفرغهما بعد برهة .

هل كان بوسعها أن تمتنع . ؟

أن ترفض إصراره وتلهفه على الولد .. لقد سمعتها منه بأذنها ، أنه لم يتزوجها إلا لكى تأتى له بالولد .. وعلى الرغم من أنه اعتبرها ذلة لسان فى لحظة غضب ، وراح يسترضيها بعدها ، إلا أن كل تصرفاته ، كانت تعنى تماما صدق ما سمعته منه ، وتفضح حرصه الشديد على حملها . انتبهت إلى فايزة تحتضنها وتقبلها .

لما رأت البنت علامات الإرهاق واضحة على وجه أمها ، أخذتها لترتاح على الكرسى ، بينما تداعبها وتسألها إن كانت تريد شيئاً . ؟

ولم ترد إنشراح ، نكست عينيها فسقطت الدموع فى حجرها .

أخذتها فايزة فى أحضانها ، وظلت تقبلها ، تحنو عليها وتلح لتعرف ما بها .

قالت إنشراح فى تحسر ، وهى تمسك بطنها بيديها .

- أترضيك حالتى الآن .. أرأيت مشورتك . ؟

تراجعت فايزة ونظرت إليها متعجبة

- مشورتى أنا .. أتقصدين الحمل . ؟

قامت إنشراح إلى السور وظلت تتنفس فى عمق وتتوجع . اقتربت منها فايزة مشفقة ومتحيرة ، لا تعرف كيف تخفف عنها ، ولا كيف ترضيها . !

لم تكن تظن أن الحمل سيرهقها إلى هذه الدرجة .. وحتى لو أرهقها كان عليها أن تحتمل وأن تصبر ، ما دامت المصلحة تحتم ذلك .

عادت فايزة تواسيها وتطيب خاطرها ، تعترف بأنها شجعتها على الاحتفاظ بحملها لكى تضمن حقها ، إذا ما غدر القطب بهم .. وأنها لم تتوقع أبدا أن يتعبها الحمل بهذه الدرجة .

لما رأت أمها مساهمة ، لا يعجبها الكلام .. قالت وهى تنظر فى وجهها ، تضعها أمام الحقيقة المجردة ، لعلها تقتنع وتصبر نفسها .. إنها حملت نزولا على رغبة القطب ، وامتثالا لإرداته المتسيدة ، وأن مشورتها المتأخرة لم تكن لتقدم أو تؤخر أمام هذه الإرادة . !

لذلك فكرت أن تهون على أمها ما لابد من قبوله ، أن تريح الفكرة فى رأسها وتطمئنها ، تحمسها على تلبية رغبة القطب فى إنجاب الولد .

ثم أحاطت وجه أمها بيديها وسألتها .

لو أنها أشارت عليها بالتخلص من حملها ، فهل كانت ستستجيب لمشورتها ، تنفذ كلامها هى وتخالف كلام القطب . ؟

جاءت حسنية غاضبة تلوح بكراسها ، قالت لأختها إن الواجب صعب ، وإنها لا تفهم هذه المسألة . !

أخذتها فايزة بسرعة وابتعدت بها عن أمها .

-٨-

إقتربت المرسيدس الحمراء من مبنى كبير ، فخم ، تحيط به حديقة واسعة مملوءة بالخضرة ، وبالأضواء الخافتة .

توقفت العربة أمام البوابة ، ونزل الحاج قطب فاردا هامته فى تعاظم ، بينما يلملم أطراف عباءته .

كان القصر واسعاً من الداخل ، مملوء بالأثاث الفاخر .

وكان هناك بعض الرجال ينتظرون فى الصالة ، وقفوا جميعا عندما دخل الحاج قطب ، وأقبلوا ليسلموا ويتقربوا .

جاء عباس وهمس إلى الحاج ، فالتفت إلى هناك ، وكان أبو العيون منزويا ، ينظر فى خبث .

ذهب إليه القطب ، وسلم عليه فى توجس ، ثم سحبه إلى مكتبه .

فوجىء أبو العيون بالمكتب الفخم ، وكراسى الفوتيه التى تملأ الحجرة .

- مشاء الله ، مكتب ، وكراسى جلد يا معلم فرس

شده القطب فى انفعال وأغلق الباب .. وطاوعه أبو العيون ، ثم راح يتحسس الكراسى ويدور حولها ساخراً .

- الله يرحم الشلت والمساند ، وركن المزاج يا معلم فرس النبى .

جلس القطب في رزانه وأشعل سيجارة .. ثم قال متثاقلا

- أبو العيون .. أصول الضيافة أن أكرمك على العين والرأس . وأصول الضيف أن يكون موزونا ، وأن يحفظ لسانه من الغلط .

أبدى أبو العيون دهشة مفتعلة ، بينما يتساءل .. ماذا فعل ، أو ماذا قال ..؟

تماشى القطب مع مراوغة الرجال ، وراح يفهمه في هدوء أن شخصية المعلم فرس النبي قد انتهت ، لم يعد لها وجود ، وأنه أصبح الآن الحاج قطب ، وأنه لابد أن يعي ذلك جيداً ، ويتعامل معه على هذا الأساس .

تزايدت مساحة الدهشة على وجه أبو العيون ، وهو يدعي أنه مازال لايفهم شيئاً ، وأنه يتكلم بنية خالصة .

قال القطب وهو يراود الصبر ، إن أيام الجرى والرمح قد راحت ، وأن الحاج قطب قد أصبح في طريق غير الطريق .

غاص أبو العيون في كرسيه وهو يضحك بكل قوته

- أتقصد طريق القلعة . ؟

تضايق القطب وهم أن يزعق في الرجل .. ولكنه قال بهدوء شديد

- هنا مكان عمل ، طلباتك بالضبط . ؟

لم يكف أبو العيون عن الضحك ، ولم يهتم بكلام القطب ، قال وهو يمسح دموع عينيه ويتطلع إلى وجهه .

- أصلك لا تصلح أبدا أن تكون الحاج قطب ، صدقني يا أبو الأفراس .

مشى القطب متمهلا .. ثم جلس في مقعد بعيد ، هناك في الركن .

كان يحاول أن يتماسك . !

وأن لا يدع الفرصة للرجل لكى يتمادى فى مخططه ، فيوصل صوته للناس المنتظرين فى الصالة .

ضغط الجرس وطلب اثنين قهوة سادة .. بينما يدير المسائل فى رأسه ، ليستقر على المنفذ المناسب ، فيدخل منه إلى سرداب أبو العيون ، ويلاعبه على أرضه .

عاد مبتسما وجلس أمام الرجل .

راح يكلمه فى تودد ، ويرجوه أن يحط فى رأسه ، أنه مهما تغيرت الظروف والأيام ، فإن رباط الأخوة ، والصداقة ، وزمالة الكار الواحد ، سيبقى كل ذلك كما هو دائما ، متينا لا ينقطع .. ثم إنهما كانا متفاهمين متحابين ، فماذا حدث ليعكر صفو الجو بينهما . ؟

شرب أبو العيون قهوته ، ثم مال على وجه القطب ونظر فيه بقوة

- أنت تضيع وقتك ووقتى يا معلم فرس .

خلاصة الكلام أننا اخترنا أن نلعبها بمزاجنا ، أن نضع حياتنا على الترابيزة ، ويدك فى يدى ، إما نكسب كل شيء ، وإما نخسر كل شى . !

فهل من المعقل أن أتركك وأنا مصارينى فى يدك ، ومصارينك فى يدى .. يا راجل أهذا كلام . !

أبدى القطب تفهما ، وإقتناعا بكلام أبو العيون .. وأكد له أن شخصية الحاج قطب ستكون أفضل مليون مرة من شخصية المعلم فرس ، لأنه اكتشف طريقا آخر ، أجدى وأسرع فى جمع المال ، وبلوغ مركز القوة ، من طريق تجارة المخدرات . !

وراح ينصحه أن يجرب بنفسه ، وأن يتعاون معه فى كفاحه الجديد ، فلا شك أنه سيقتنع به ، وسيعترف أنه أخذه إلى سكة السلامة .

ظل أبو العيون ساكتا ، لم يعجبه الكلام . ولم يتجاوب معه . !

فاضطر القطب أن يلقى بطعمه الأخير ، لعله يغرى الرجل فيوقعه .

قال مناورا .. أما إذا كان أبو العيون مصرا على تجارة المخدرات ، فإن الحاج قطب بوضعه الجديد ومركزه ، سيكون بعيداً عن الشبهات ، قريباً من مراكز السلطة ، وهكذا يمكنه أن يحميه ، أن ينتشله مثل الشعرة من العجين إذا ما وقع ، لا قدر الله ، فى يوم من الأيام .

ابتسم أبو العيون فى استخفاف ، كان يعرف أن صاحبه واعر ، عميق القرار ، يفكر بألف ر أس لكى يفلت .. لذلك قرر أن يفاجئه ، فأخرج من ملابسه لفافة ووضعها أمام القطب ، وقال فى براءة ، إنها عملية صغيرة لإثبات حسن النوايا .

وفوجىء القطب فى البداية ، ثم مد أصبعه ليتأكد ، أحس بالكيس النايلون مملوءا بالمسحوق . !

قال أبو العيون إن زبونها بعد أسبوع ، وأنها عند الحاج قطب ستكون فى الحفظ والصون ، وبعيداً عن الشبهات كحد قوله . وطبعا سيكون للحاج نصيبه المعلوم فى العملية . !

– هه نقول على البركة ياحاج .

شلت المفاجأة رأس القطب وتمكنت منه ، فخذله ولم يسعفه بفكرة الإفلات ، وظل اللسان هامدا متعثراً .

وانتهز أبو العيون الفرصة ، فسلم على القطب وخرج مسرعاً .

دخل عباس مستطلعاً ، قال إنه رأى أبو العيون ينسل خارجا ، وعيناه تسبقانه ، إنتبه القطب وتطلع إلى عباس ، ثم إلى لفافة أبو العيون ، وكان وجهه مغتاظا . !

إستجاب عباس لرغبة القطب ، فجلس واستمع لكلامه .

قال له إنه كان فى نيته أن ينسى أبو العيون ، ينسى أيامه بكل ما فيها ومن فيها ، ولكن الرجل عاد يزن على خراب عشه ، عاد يشاغب فى بجاحه ليورطه من جديد ،

ليجره غصبا لتجارة المخدرات .

ولذلك فهو لن يتركه هذه المرة ، سيوقفه عند حده قبل أن يتمادى ، وقبل أن تطيش تصرفاته فتعكر الجو . !

ثم انفرد وجه القطب وبدأ عليه الإرتياح ، بينما يثنى على مجهود عباس ، والذى بدا واضحا فى تزايد عدد المترددين على القصر ، من أهل الحى ، الساعين لخدمات القطب وأياديه البيضاء .

انتهز عباس الفرصة ، وراح يستطلع من القطب فى حذر ، وجهة نظره فى جمع هؤلاء الناس ، منذ عودته من رحلة الحج ، وما يتحمله من نفقات إستضافة ، وإضاعة وقته الغالى فى حل مشاكلهم .

إبتسم القطب لعباس وأخذه بالهواده ، كان يرى فيه صورة نابضة من أخيه الوحيد بكرى ، الذى أحبه كل الحب ، ثم حزن على موته كل الحزن . ولذلك إرتاح لعباس وقربه منه ، سمح له بأن يشيره ، ويبدى رأيه فى حرية ، وأن يعرف الكثير من أسراره ، وتحركاته .

قال لعباسى وهو يبدى تأثرا على الوجه .. إن إنقطاعه أياما فى رحاب السيد البدوى ، لائذا مستجيرا ، قد غسل صدره ، وطهر نفسه ، وأنار بصيرته .. وهناك دعاه الرسول لزيارته ، وهناك طلب منه أن يبتعد عن طريق المخدرات ، وأن يتقرب إلى الناس ويرعى مصالحهم .

فاستجاب ونفذ ، زار الرسول ، ونبذ تجارة المخدرات ، وتقرب إلى الناس ليرعى مصالحهم ، وليخفف عنهم .

ثم راح يشكر الله ويسأل العون والعافية .

بدا الكلام معقولا ، ولكنه لم يدخل رأس عباس . !

أحس أن وراءه خبثا يتوارى

ولأنه عاشر القطب زمنا وفهم تركيبته ، فقد إضطر كالعادة أن يتغاضى عن إحساسه ، ويحتفظ به فى صرة أسراره ، حتى تتضح الحقيقة .

وتذكر عباس ، فأخرج إعلان المحكمة وناوله للقطب .

قال فى شماته إنها غلطة المهندس مدكور ، فهو لم يرض أصحاب الشأن ، وتجاهل خطورة شوكتهم .

تغير وجه القطب وهو يتفرس فى الورقة

- قضية مبانى مخالفة .. برج التوحيد والنور . !

تدخل عباس ليذكره بتحذيره من هذا المذكور ، وليبرهن له على صدق تخوفه من مكره وجشعه .

هز القطب رأسه مؤيدا ، وإعترف أنه شك فيه مؤخراً .. ثم طوى الورقة وألقاها على مكتبه

- سأعرف كيف أربيه .. تعال نخرج للناس

شد هامته ، وعدل العباءة على كتفيه .. ثم مشى متثاقلا إلى الباب .

-٩-

ترك زكريا الطارق يدق الباب على هواه . !

لعله يزهق ويمشى من نفسه .. فقد كان لايريد أن يسمع أو يتكلم أو يرى شيئاً . !

عاد يستجدى النوم أن يطاوعه ويأخذه ، ولكن الدق إزداد على شراعة الباب ، وسمعها تقع على بلاط الصالة وتنكسر . !

قام مغتاظا وجرى ، رأى يد تجاهد بين أسياخ الحديد لكى تصل إلى قفل الباب . زعق وهو يبحث عن شيء يدافع به .

- من يكسر الباب . ؟

تراجعت اليد إندفع الوجه يملأ الشراعة المكسورة .

- إفتح يا زكريا أن خالك أنور .

رأى زكريا عينى خاله غريبتين وهما تتطلعان إليه .

جلس أنور على الكنبة وخلع حذاءه

- كل هذا الدق ، أين كنت . ؟

راح زكريا يفهمه بأنه كان نائما ، ومتعبا ، ولا يتوقع أحدا فى مثل هذا الوقت .

وبدا خاله لا يستمع شيئا ، ولا يهتم بكلامه .. وقاطعه فجأة

- عندك أكل .. أريد أن آكل لقمة وأنام يا سيد زكريا

فكر زكريا وهو فى المطبخ ، لماذا جاءه متأخر هكذا ، وفى نيته أن يبيت عنده .. لم يفعلها من قبل .. !

وعندما خرج إلى الصالة فوجىء به عاريا ، إلا من سروال يصل إلى ركبتيه ، ورأسه منكس فى دخان سيجارته .

وضع الصينية أمامه وانتظر

- الأكل يا خال

فتح أنور عينيه ونظر إلى الأكل . طلب كوب ماء من الحنفية ، وأكد أن يكون من الحنفية .. ثم أخرج زجاجة صغيرة من هدومه المكومة بجواره ، وراح يقطر منها فى الماء . !

شم زكريا رائحة الجاز ، فسأل خاله ، شرب نصف الكوب بصوت عال ، ثم مال على الأكل .

لاحظ زكريا ما يشبه رءوس الدمامل السوداء تملأ جلد خاله ، وعندما جاءت عيناه فى عينيه عاد يسأله .

وفوجىء به يزعق فى وجهه .

- أحط جاز على الماء ، ألا تشم ؟

ضحك زكريا فى إستخفاف وهو لايصدق .

- أحقا تشرب الجاز ياخال ؟

ترك أنور الأكل من يديه ، وسأل زكريا بملامح جادة عما يضحكه ، ثم قال له إن الضحك وساخة الجوف ، ونصحه أن يجرب الجاز .

ظن زكريا أن خاله يهزر معه ، ولكنه كان يتكلم فى حماس .

- الجاز مادة ربانية طاهرة ، تخرج من باطن الأرض ، أمنا الأرض . ربنا سبحانه وتعالى قال ياجاز أنت تأكل الصدأ ، فأكل الجاز الصدأ .. صح أم غلط ؟

قال زكريا مؤيدا .. عين الصح

واجهه أنور بصدره وهو يتباهى بعلمه .

- وربنا سبحانه وتعالى أوحى بأن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، صح أم غلط ؟

أجاب زكريا مؤيدا .. عين الصح

تركه أنور يتطلع إليه وعاد إلى الأكل وهو يقول ساخرا .

- عين الصح ، عين الصح .. طيب إحسبها بعقلك بقى ، وإفهم لماذا أشرب الجاز ؟

وقرب لقمة من فمه ، ثم عاد فأرجعها على الصينية ، لاحظ زكريا فى أصبع خاله خاتما كبيرا من الفضة ، له فص غريب الشكل .

قال أنور وهو يشده إليه .

- تعال .. سأجعلك تؤمن بنفسك

وأمسك أصبعه وفقأ أحد دمامله ، ثم أمره أن يشم .

قام زكريا وغسل يده بالصابون ، ولكن رائحة الجاز ظلت عالقة بها .

بعد أن إنتهى من الأكل ، شرب باقى الكوب فى تلذذ

- سبحانه علم الإنسان مالم يعلم ، أكنت تتخيل أن الجاز يمكن أن يطهر جوف البنى آدم بهذه الدرجة ؟

سكت زكريا ، رأى أن يهاوده فى الكلام لأن البوادر لا تطمئن . وأشعل أنور سيجارته فملأ الصالة بالدخان .. سخر من زكريا وهويفتح الشباك ، قال إن دخان الشكمانات ألعن ألف مرة من دخان السجاير ، ومع ذلك فالناس ماشية فى الشوارع كالثيران !

- ١٠ -

- كان الإرهاق يبدو واضحا على وجه زكريا ، وهو يصعد السلم . وجد باب شقته مورويا وصوت خاله يتسرب من الداخل . سلم على أم ياسر وهو مندهش . لم تعملها من قبل ، أن تدخل شقته وتقعد وتحكى على راحتها .

كانت الصالة مملوءة بالدخان وبأعقاب السجاير .

طلب أنور من زكريا أن يعمل ثلاثة شاى مضبوطين ، فهمت أم ياسر وهى تمسح دموعها ، وأقسمت أن تعمل الشاى عندها ، وخرجت وشدت الباب وراءها .

سأله زكريا إن كانت تريد شيئا ، فتطلع إليه أنور ولم يتكلم !

ثم عرّى صدره وراح يخمش دماملـه فى تلـذذ ، قال إنه تغـذى منـذ قليـل ، لأنه لا يحتمل الجوع .!

قام زكريا وأكل فى المطبخ ، وجاءت أم ياسر ووضعت الشاى وهى تعتذر .

فالرجل عاد وستكون مشغولة . ولما لاحقها أنور بسؤاله وهى عند الباب ، ردت بصوت منخفض ، غدا نكمل الموضوع .!

قال زكريا مداعبا خاله وهو يناوله الشاى

- الله يسهل لك ياعم ، رزقك فى رجليك

سرح أنور لحظات وهو يشرب الشاى ، ثم فاجأ زكريا فى حسم .

- سآخذك معى

تساءل زكريا وهو يذهب ليخلع هدومه ، ويلقي بنفسه على السرير .. ولم يجبه أنور ومشى وراءه إلى حجرته ، ثم جلس على السرير وراح يتأمله ، كان يخرج بعض الأوراق من حقيبته ويضعها على المكتب الصغير ، قال وهو يدير الخاتم فى أصبعه.

– طاوعنى تكسب

تمدد زكريا على السرير فأحس بالإرهاق يهمده ويثقل رأسه .. قال فى تأفف لينهى الكلام .

– بكره ياخال ، بكره أروح معك أى مكان

وأغمض عينيه ، بينما تصل إلى أذنيه خطوات خاله وهي تبتعد .

- ١١ -

- كـان القطب منهـمكا فى أوراقـه ، يراجع الطلبـات ويرتب المقـابلات والإتصالات حسب أهميتها .

جاء عباس وأخبره أن الناس ينتظرون . فترك الأوراق وقام إلى المرآة ، فرد هامته فى تعاظم ، فارتاح لمنظره .. ثم رطب كفيه برائحة فواحه ، ونثر منها على عباءته .

إنتبه الناس ، فتطلعت العيون ، وهمت الأكف ، سعيا إلى القطب ، وهو يدخل متمهلا مهيبا .

الوجه مبتسم فى تواضع ، واليدان الكبيرتان مشغولتان فوق الصدر بحبات المسبحة الكهرمان .

وتلقفته الأحضان والقبلات فى غير تحرج ، فترك نفسه لهم ، سمحا بسيطا حتى شبعوا .

فرد ذراعيه مرحبا وداعيا أن يجلسوا .

ثم تراخى فى كرسيه وظل صامتا ، يسبح فى خشوع وعيناه على مسبحته .

دخل الرجال إلى الصالة يحملون أكواب الشراب وعلب السجائر وأطباق الحلوى ، وراحوا يوزعون فى سخاء .

رفع القطب عينيه ، وتطلع فى تأن وتودد .

كانت الصالة ممتلئة ، عرف معظمهم ، جاءوا من قبل ، وبينهم رواد جدد ، فانشرح صدره وإطمئن .

لمح عباس يرقبه من الركن ، ينتظر رد الفعل لما قام به من جهد ، لجمع كل هؤلاء .. فأومأ له برأسه راضيا .

وبدأ القطب كلامه بالبسملة ، ثم راح يستعرض بعض الظروف التى قست عليه ، وأيام الفقر والحرمان التى لم ترحمه ، ولكن لأنه رجل عصامى ، قوى الإيمان ، صبور على الشدائد ، فقد تغلب على الظروف والأيام ، حتى أعطاه الله من فيض كرمه ، وزرع فى صدره حب الناس .

ثم أخذ يتمسح الوجوه فى تشوق ، بينما يبوح لهم بسر السعادة التى تغمره ، وهو يرى الصالة تمتلىء بالأحباء ، وأن هذه السعادة ستزداد عندما يرى الصالة المجاورة تمتلىء أيضا بإخوانهم الأحباء .

وفتح عباس بابا زجاجيا عريضا ، يؤدى إلى الصالة المجاورة .

كانت متسعة ومملوءة بالكراسى والنجف الشيك .

ودار الهمس بين الناس وهم ينظرون إلى هناك ، فى فضول وإنبهار

قام أنور ليستطلع الصالة عن قرب ، دخل وتحسس الأثاث فى إعجاب ، بينما يردد بصوت مسموع .

– بسم الله مشاء الله

ثم إتجه إلى القطب تسبقه عيون التودد والعرفان

– ربنا يزيدك ياحاج ، ربنا يكرمك ويقويك كمان وكمان .

ربت القطب على ظهر أنور فى تواضع ، وأجلسه بجواره ، ثم مال عليه يكلمه فى همس .

– موضوعك إنتهى ، كلها يومان أو ثلاثة وتستلم التاكسى فرحت ملامح أنور ، وهم بخطف يد الحاج ليقبلها ، ولكن الرجل سحب يده بسرعة وهو يستغفر الله ، وعينه ترقب الناس .!

ظل أنور يبتهل بالدعاء ، وهو يتراجع لمكانه .

وعاد القطب يتكلم فى تواضع ناعم .. مؤكدا للناس أن المحبة وحدها هى التى تربطهم به ، وهى التى تدفعه لأن يبذل كل الجهد لمساعدتهم فى حل مشاكلهم ، وتخفيف أعبائهم ، وإشاعة روح التآلف والتعاون بين أهل الحى الواحد .

ثم أخرج كشفا من جيبه ، وراح يتلو بعض الأسماء ، أصحاب الطلبات العاجلة ، ودعاهم لمقابلته غدا ، بعد صلاة العشاء ، هنا فى مكتبه ، وبعد أن يكون قد أجرى بعض الإتصالات بشأنها .

ودعا أصحاب الطلبات الجديدة ، ومن يريدون التفاهم معه ، أن ينتظروا إلى ما بعد الإجتماع .

همس عباس فى أذن الحاج قطب فتطلع ناحية الباب ورأى المأمور ياسر الشاهد ، يدخل الصالة وينظر إلى الوجوه الكثيرة وهو يدارى دهشة .. ظل ساكنا وأرخى عينيه على مسبحته ، وعندما إقترب المأمور منه ، قام مرحبا وأخذه فى أحضانه ، وظل يربت على ظهره بكلتا يديه .

- أهلا ياباشا .. يا ألف مرحب

ثم أخذه تحت ذراعه وإتجه به إلى حجرة المكتب .

ودار الهمس ، وإرتفع بالتدريج بين الرءوس المتقاربة فى الصالة .

بعد تقديم واجب الضيافة ، دخل المأمور فى الموضوع .. بدأه متحرجا آسفا ، ثم متوددا ناصحا ، مراعاة لحق الصداقة القائمة بينهما .

إستمع القطب وإستوعب جيدا ما قاله الرجل ، بينما إبتسامته الماكرة تتمدد على وجهه ، وتمتص بوادر الإنفعال فى هدوء .

ولما إنتهى المأمور ظل ينتظر .. وصمت القطب لحظات ، ثم إقترح أن يعمرا رأسيهما بنفسين من الشيشة ، متجاهلا بذلك كل ما قاله ضيفه .!

إعتذر ياسر الشاهد عن وضع الشيشة ، لأنه جاء فى وقت العمل .. وطاوعه القطب ، ثم مال عليه وإحتوى وجهه بعينيه المتسعتين قائلا .

- أتعرف ياباشا ، لو قالها غيرك لقلبت الدنيا على رأسه ، ولكنك صديقى وللصداقة حقوقها ، كما أنك ضيفى ، وأيضا للضيافة أصولها . أولا ياباشا هذا القصر قصرى ، ملكى ، ومن حقى أن أستقبل فيه من أشاء ووقت ما أشاء .

ثانيا الحاج قطب رجل فوق كل الشبهات ، وكل من يدخلون عندى ، يدخلون بدافع المحبة ، وطلبا للمعاونة المشروعة ، أو العمل المشروع .

أما من حيث دواعى الأمن وما شابه ، فأنا أعرف أسماء وأشكال المخبرين الذين يدخلون بيتى ، ويندسون بين الناس ، وأظنهم أخبروكم بكل ما يحدث هنا .

فرك القطب مسبحته بين كفيه ، ثم قال وهو يرمى لبعيد .

- أعرف ياباشا أن الكلام ليس كلامك ، لأنك تعرفنى جيدا . لذلك أرجو أن تترك صاحب هذه الأفكار الطائشة ليواجهنى بنفسه ، وتأكد أننى سأرد عليه بما يستحقه .!

بعد أن خرج المأمور مثقلا بكلام القطب ، أبدى عباس إستياءه ، وراح يراجع القطب فى موضوع قطعة الأرض التى منحها لتوسعة القسم . كان من رأيه أن هذه الطائفة ناكرة للجميل ، وأنها لا تستحق أبدا عطاء القطب وسخاءه .!

إبتسم القطب مستخفا برأى عباس ، وفكر أن يواجهه بضيق أفقه ، وبحبوه المتعثر وراء حكمته ومكره .

قال وهو يزن الكلام ويتباهى به .. إن قطعة الأرض هذه ستكسر العيون ، وتسد الأفواه ، وتسهل كثيرا من المسائل ، ثم إنها قطعة تافهة لاتزيد عن المئه متر ، والأهم من ذلك أنها لاتصلح للبناء ، لأنها عائمة على بركة مياه جوفية يستحيل ضحلها .

ثم نظر فى إستهتار إلى عباس ، وهو يبتلع رعونته فى صمت .!

عرفت إنشراح أن ابنتها فايزة ذهبت لأبيها فى السجن ، رأته وتكلمت معه .. فانشغلت وضايقها الخبر .!

لم تكن تتصور أن تجرؤ البنت على هذا التصرف ، وبمثل هذه الطريقة .!

فتتجاهل وجود أمها ومشورتها ، وتستخف برفض القطب وتحذيره ، لتنطلق على هواها وتفعل ما يحلو لها .

وعلى الرغم من تعاطفها مع حق البنات فى زيارة أبيهم ، وإيمانها القوى بهذا الحق ، إلا أنها تأثرت وحزنت ، لأن البنت لم تبح لها بما فعلت ، واعتبرته سرا خاصا بها .!

فلولا أن أختها حسنية فتنت عليها ، لما عرفت هذا السر من أحد .

ولولا أن الصغيرة حكت لأمها كل ما سمعته من فايزة وعباس فى الحديقة ، لما دخل الكلام رأسها وصدقته .!

قامت إنشراح إلى الشرفة ، وراحت ترقب الطريق .. تنتظر وصول فايزة من معهدها وهى تفكر .

كيف طاوع عباس البنت وأخذها إلى السجن .؟

ثم لماذا إستجاب لرغبتها ، وهو يعرف أنها تعارض رغبة القطب ، وتستثير غضبه .؟

هل يدبر عباس شيئا لا تفهمه .؟

أم أن بينه وبين البنت علاقة خفية ، تبيح له فرصة الإستهانة بكل العواقب ، وهو يلبى رغبتها ويسترضيها .؟

توقفت العربة عند المدخل ونزلت فايزة ، كانت جالسة بجوار عباس ، ولمحت أمها ترقبها من الشرفة .

ولما دخلا في الموضوع بادرت بالإنكار ، وتحايلت لكي تتهرب من حصار أمها وضغطها عليها .

بكت إنشراح وراحت تنعى حظها العاثر ، مع الرجل المسجون والإبنة الجاهدة .. ولم تسكت حتى إنهارت فايزة أخيرا ، وإعترفت لها بكل ماحدث ، وبكل ما سمعته من أبيها .

أطبقت المفاجأة على صدر إنشراح ، فإنتفض قلبها وأوجعها دقاته .

وغامت الدنيا أمامها ، فظلت عيناها شاخصة تقطر الدموع في هدوء ،

لم تشعر بفايزة وهي تضمها وتسترضيها ، ولم تنتبه إليها وهي تعترف بذنبها ، وتلوم نفسها على كتمان الأمر عنها !.

- ١٣ -

دخل بركات عبد الهادى عند الحلاق ، ففوجىء باللواء منصور عبد الجبار مسترخياً فى المقعد والموسى يجرف ذقنه بصوت خشن .. هم بالتراجع ولكن عينى الرجل إصطدتاه فى المرآة وشلتا حركته .!

أزاح منصور صدر الحلاق ، ليمتص أنفاسا متلاحقة من سيجارته ، بينما ظل الموس معلقا فوق الرأس .

قال الحلاق وهو ينظر إلى بركات .

- طبعا تعرف الباشا منصور

فأومأ بركات فى تودد

- ومن لا يعرف الباشا

ولاحقه منصور وهو يهتز بالكرسى

- كنت آتيا لك بنفسى ، أين أنت يا رجل .؟

لم ينطق بركات ، وظل يتأمل الرأس المنطرح على ظهر المقعد ، نشاذ من الصلع البرتقالى اللون ، ورءوس البثور البنية ، وهيش الأعشاب البرية وراء الأذنين الكبيرتين .!

كان يفكر فى موضوع الكلب ، والمحضر الذى عملته عفاف فى القسم ، بينما يتوجس الخبث فى إيحاءات الرجل ، وفى منظر عينيه ، وهو يلاعبه ، يناوشه بكف لينه ، قبل أن يبرز مخالبه المسنونة ويهجم .!

قال الحلاق فى مداهنة ، وهو يتحسس أعلى الرقبة :

- وبعد ياباشا ، كيف جعلتمونه يعترف .؟

نظر منصور إلى الحلاق وقال فى تعاظم

- أتريد أن تعرف كيف جعلته يعترف .؟

وبدون أن ينتظر رد الحلاق ، التفت إلى بركات ، وقال لكى يشركه فى الموضوع .

- كنت أحكى له شيئا من أمجادى يابركات بك .

أيام كنت ضابطا صغيرا فى المخابرات .

الحكاية ياسيدى بإختصار ، أنه كان مطلوبا منا الحصول على إعتراف مهم من أحد السياسيين الخطرين ، وكان الوقت ضيقا وحرجا .

المهم أنهم إحتاروا مع الرجل جميعا ، بعد أن تبادلوا عليه كل وسائل التكريم لفك عقدة لسانه ، ولكن بلا جدوى .!

وأخيرا أعطوه لى ، بعد أن إمتلأ إصرارا وتبجحا .!

وعنها وبدأت أفكر .

ليست المسألة مجرد إعتراف يا منصور ، إنما هى مسألة إثبات وجود .

وآه إن لم يستطع الرجل إثبات وجوده فى شغلتنا هذه .!

وآخيرا هدانى تفكيرى إلى الطريقة ، وكانت هى الطريقة !

وضحك منصور فى إنسجام ، بينما يدفع بسيجارة فى فم الحلاق ، ثم يلقى بأخرى إلى بركات ، فتلقفها لاشعوريا قبل أن تقع .

قال منصور وهو يتمطى ويميل بالمقعد إلى الخلف .

- أتعرفون ما هى الطريقة .؟

ثم ركز نظرته على وجه بركات من خلال المرآة .

- إنها طريقة قطرة المياه يابركات ياخويا .؟

تساءل الحلاق فى فضول

- قطرة الماء ياباشا .؟

حط منصور رجلا على رجل ، ونفخ دخانا ملأ وجه المرآة .

- المسألة ياجماعة في منتهى البساطة . أوقفت الرجل مقيدا تحت الحنفية ، وجعلتها تقطر على رأسه ، قطرة كل لحظة ، قطرة واحدة ، فى نفس المكان ، فى نفس المكان ، وهكذا .!

تضاحك بركات فى إستخفاف ، وأفلت منه التساؤل .

- ولكن لماذا .؟

ثم انتبه إلى أن الرجل نصب له فخا وجره إليه .!

إستدار منصور بمقعده ، وإحتوى بركات بكل وجهه .. وإنطلق يشرح له ، ويؤكد بحركات يديه وملامحه ، كيف أنها طريقة مضمونة ، وأنها برغم بساطتها الظاهرية ، تجعل أشد الرجال صلابة ، يخر ساجدا ، ويخرج كل ما فى جوفه .!

مصمص الحلاق بشفتيه وقال متعجبا

- معقول ياباشا ، لأ الله ينور

أمسك منصور يد الحلاق وضغط عليها

- المهم أن تجعل القطرة الباردة تسقط فى نفس المكان ، كل مرة ، كل مرة ، فاهم .؟

بعد مائة قطرة على الأكثر ، تشعر بهذه القطرات وكأنها جمرات ، تخرم عظام الرأس ، وتصل إلى النخاع ، وتكوى مركز الأعصاب . لحظتها تنفك عقدة اللسان تلقائيا ، وفى منتهى الهدوء .!

إنتفض الحلاق وهو يخطف يده من قبضه منصور .

- يالطيف اللطف يارب

قال بركات مندفعا .

- أليس هذا حراما يا منصور بك .؟

وضحك منصور بكل قوته ، فملأت ضحكته فراغ المحل ، ثم راح يتساءل مستنكرا .

- حرام .....!

يا راجل حرام عليك أنت .. أتسمى العمل حراما ياسيد بركات !.

أتحب أن أجعلك تعترف بأنك زعيم الجاسوسية فى بر مصر .؟

تراجع الحلاق مفزوعا وشد الفوطة عن صدره .

- أعوذ بالله ، آخرتها ياباشا ، الأستاذ بركات رجل سكره ، ثم إنه جارك على كل حال .

قام منصور واقترب من المرآة ، ظل يتحسس جلد ذقنه يبحلق عينيه ، وقال وهو ينفض هدومه بالفوطة .

- وأنا أيضا رجل سكرة ، لكن مع الرجل السكرة .

أشار الحلاق لبركات فقام وجلس فى مقعد الحلاقه . والتقط منصور نظارته وعلبة سجائره .. ثم دفع الباب ليخرج ، ولكن عاد وقال للحلاق .

- أوصيك خيرا ببركات بك ، إنه جارى وقريبى .

ثم أمسك كتف بركات وهزها

- سكر مع سكر يبقى آخر حلاوة .

وعندما تأكد الحلاق من خروجه ، أخذ نفسه فى إرتياح .

- أعوذ بالله ، سرطان ياجدع .

تراخى بركات فى المقعد وأسند رأسه .

- وعنده كلب فظيع !

قال الحلاق وهو يحرك الفرشاة فى الصبانة .

- كفانا الله شره وشر كلبه .

ثم وضع الصابون على وجه بركات وراح يسن الموس فى تكاسل .

- دينا .. عندما كان قادرا فعل الكثير ، أما الآن ، وبعد أن ركنوه على الرف ، فماذا بيده أن يفعل ؟

سأله بركات ماذا يقصد بركنوه على الرف ؟

فقال شامتا .

- يعنى ركنوه على المعاش ، أصبح رجلا عاديا مثلى ومثلك ، ألا تعرف ؟

أجابه بركات بأنه لايعرف ، ثم إن العسكرى الخدمة ما يزال يقف أمام بيته .

تحسس الحلاق الذقن الخشن ، وبدا اليأس على ملامحه .

- أحالوه على المعاش آه ، أما نفوذه فلا يمكن لمخلوق أن يمسه ، يظهر أن سيادتك لا تعرف من هو منصور عبد الجبار !

خرج بركات من المحل وهو يفكر ، كان وجه منصور يملأ رأسه ويتمدد فيه ، وضحكته الخبيثة تناوره فى بجاحة ، وتسخر منه .!

لابد أن قسم البوليس أبلغه بموضوع محضر الكلب ، طبعا كلهم أصدقاؤه ومعارفه .

العجيب أن الرجل لم يبد أدنى إستياء ، لم يلمح لموضوع الخرطوم أو لموضوع الكلب على الإطلاق .

هل اعتبرها أمورا هايفه لاتستحق الكلام ؟

أو حتى مجرد العتاب والتصافى ؟

هل اقتنع بأن كلبه هو الغلطان ، وأن زوجته هى التى بدأتهم بالتحرش ؟

وعلى ذلك يكون عفى الله عما سبق .. وصافى يالبن ؟

لا يعتقد أن الرجل منصور يفكر بهذا المنطق .. ولابد أنه يبيت لهم ردا يتناسب مع خبرته ومركزه .!

كان ذلك واضحا وهو يحاصره بعينيه على مرآة الحلاق .!

ثم إن كلبه مازال يعملها ، ينط السور ويهجم على الفراخ ويفزعهم من أحلى نومة .!

سحب القطب صندوقا صغيرا من الدرج ، ووضعه على مكتبه ، خشب الصندوق جميل ومطعم بالصدف .

فى تأن فتح الغطاء ، فظهرت مجموعة الخواتم الفضية ذوات الفصوص الغريبة الشكل ، والولاعات ، والميداليات الذهبية القيمة .

وبحرص وإعتزاز إلتقطت أصابعه خاتما وولاعة وميدالية ، وقدمتهم للرجل الأول .

- أستاذ رمزى .

إمتدت يد رمزى وعيناه تخطفان نظرة سريعة إلى وجوه زملائه

إبتسم القطب فى تودد مرسوم .

- النبى قبل الهدية

وبعدها إمتدت بقية الأيدى وأخذت ، ثم دست فى الجيوب .

دعاهم القطب أن يشربوا ، ثم راح يرتشف من كوب العصير فى تمهل ، وهو يعود بهم إلى الموضوع .

قال إنه مؤمن بإخلاصهم الشديد فى عملهم ، وأيضا فى التعاون مع رجاله ، وتسهيل مسائلهم ، وخاصة المهندس مدكور .

كما أنه مؤمن بأن مرتب الحكومة لم يعد يفتح بيتا ، أو يحفظ عزيزا من الهوان والحرمان .!

ولذلك فهو يرى أن يستفيد بإخلاصهم وحماسهم بطريقة مجدية ، بطريقة تفيده

وتفيدهم ، فأحل الحلال ، أن يتبادل الناس منافعهم ومصالحهم فى عوض وتراض .

إبتسم فهمى عرفات أمين عام السجل المدنى بالشهر العقارى ، وقال فى إستجابة مرحبة

- ونحن تحت أمرك ياحاج

طلب القطب منهم أن يأخذوا راحتهم فى القصر ، وأن يعتبروا مكتبه مكتبهم ، من اليوم ، وأن تكون علاقتهم به مباشرة .. فهو يكفيه ساعة واحدة ، يجتمعون فيها كل يوم ، ليتفاهموا فى العمل ، وليدبروا أمورهم العاجلة .

ثم سحب درج مكتبه .

- أما عن المرتب فإطمئنوا ، سيكون مجزيا .

كان الرجال يستمعون فى ترقب ، يسايرون القطب فيما يقول ، بينما رءوسهم الواعية تفهم ما وراء الكلام ، وتزنه فى عبقرية متأصلة .!

أخرج القطب أربع رزم من درجه .

- مادمنا قد اتفقنا ، يبقى نقول على البركة .

وناول كلا منهم رزمة .

- تحت الحساب ياسادة ، من مرتب الشهر القادم .

والتقطت الأيدى بسرعة ودست فى الجيوب .

قال القطب وهو يفرد خريطة الحى بينهم .

- الأولوية كما اتفقنا ، ستكون لمشروعات المسجد والمدرسة والمستشفى ، نبدأ بها ، ومهمتكم أن تساعدونى على إيجاد قطع الأرض المناسبة ، من حيث الموقع ، والسعر ، والإجراءات ، لكى نتوكل على الله ونبدأ .

ألقى فهمى عرفات نظرة سريعة إلى الخريطة ، ثم صرح فى تباه بمعلوماته ، أن هناك خريطة للحى ، أحدث من هذه وأدق ، وأنه سيأتى بنسخة منها غدا .. وأمن على كلامه رمزى القرموطى رئيس الحى .

وضع شريف عبد الهادى أصبعه على أحد المربعات الإستراتيجية بالمنطقة ، وأكد أنها قطعة أرض متاحة ، وأنها مثاليه لبناء المستشفى ، وأيده عادل المحلاوى مسئول تراخيص المبانى .

كان تحت يد القطب أحدث نسخة من خريطة الحى ، وصلته يوم صدورها .

كما أنه يعرف جيدا أماكن القطع الإستراتيجية .. ولكن لكونه يعشق المناوره ، وأساليب جس النبض ، لذا فقد القى بالطعم ، وترك الفرصة للثعالب المتنافسة أن تستعرض أمامه مواهبها وغرورها !

استأذنهم لدقائق ، تركهم وذهب إلى الحجرة المجاورة ، حيث الشيشة المعدة ، والجو المرسوم ، وشاشة الدائرة التليفزيونية الداخلية ، تكشف أمامه كل ما يقولون ومايفعلون فى غيابه .!

- ١٥ -

دخل دسوقى أبو عيطة شقة زكريا فرحب به وأخذه إلى البلكونة ، فى الهواء . وقبل أن يبتلع من الساقع ، سأل زكريا إن كانت زوجته أم ياسر قد جاءت عندهم اليوم ، هنا فى الشقة ؟ ولماذا جاءت ؟ وماذا قالت بالضبط ؟ تردد زكريا فى البداية ، ثم قال فى نفسه إن الصدق أسلم ، طالما أن الرجل يتحرى عن زوجته !

بدأ دسوقى يشك فى كلام زكريا ، لايصدق أنه لم يتكلم مع زوجته فى أية موضوعات .

عاد يسأله أن كان قد سمع ولو « طراطيش » كلام مما قالته لخاله أنور

- إعمل معروف يا أخ زكريا ، ثم لماذا خالك بالذات . ؟

ثم تركه فجأة وجرى إلى باب الشقة ، وقف متخفيا هناك يتصنت فى ترقب ، وعينه على ثقب الباب !

تساءل زكريا .. ماذا هناك . ؟

فطوح له يده فى عصبية .. هش إنتظر .

ولما طال إنتظاره ، راح له وهمس فى حذر .. إيه الحكاية ؟

أخذه دسوقى من يده إلى البلكونة . إبتلع من زجاجة الساقع وقال بعينيه الرامشتين على وجه زكريا .

- كلام فى سرك ، المرأة أصابها اللطف ، أصبحت مجنونة رسمى ، ولعياذ بالله .!

سأله زكريا متشككا ، فأكد أنه يقصد زوجته أم ياسر .

ثم إنفتح الرجل ولم يسكت ، راح يشرح لزكريا حالتها المستعصية

- أصبحت مسعورة بداء الفلوس ياسيد زكريا ، لا تكف لحظة ولاتهمد ، عوزين فلوس لهدوم العيال يادسوقي ، عوزين فلوس لمدارس العيال يادسوقي ، عوزين فلوس لأكل العيال يادسوقي ، ودسوقي ياسيد زكريا يأخذ بالقطارة ليكب في البيارة !

حاول زكريا أن يطيب خاطره بكلمتين ، ولكن هب في وجهه .

- إسمع ، نبه على خالك أن يبتعد عن طريقنا ، وإلا جعلته يسف من تراب الأرض ، فاهم ياسيد زكريا ؟

راح زكريا يحلف له بأنه لا يعرف شيئا مما حصل بين أم ياسر وخاله ، ولكن دسوقي سخر منه ، وإتهمه بأنه نائم على أذنيه !

ثم أخذ يتباهى بفراسته الفزه ، في فن المراقبة وإكتشاف المؤامرات .

- سمعت خالك يكلمها في بئر السلم ، وعدها أن يأخذها لرجل يدعى الحاج قطب ليحل لها مشكلتها ، ألا تعرف أيضا الحاج قطب .؟

غلب الضحك زكريا ، ولكنه تماسك وكتمه في صدره ، يبدو أن خاله قد « عكها » معهم وزاغ !

فكر أن يأخذ الرجل بالهوادة ، لعله ينتهي ويقوم لحال سبيله ، لذا طاوعه ، وراح يؤكد له أنه سيتكلم مع خاله ، ويمنعه من التدخل في شئون الناس .

التفت دسوقي فجأة إلى شباكهم المجاور ، ثم سأل زكريا أن كان قد لمح البنت واقفة هناك .

- أكيد كانت تتصنت لحساب أمها .!

لم يفهم زكريا شيئا فهز رأسه وسكت !

نادى الولد ياسر على أبيه فقام .. ثم قال وهو يتجه إلى الباب

- تعرف لولا أننى سيطرت على الولد من أولها ، لضاع منى كما ضاعت البنت .

إنصفق الباب وظل زكريا حائرا مع أفكاره .

من هو الحاج قطب ، وما هى المشكلة التى سيحلها لأم ياسر ؟

ثم أن مناظر خاله وتصرفاته غير طبيعية ، لا تعجبه !

فلماذا ترك شقته وجاء ليقيم عنده ، وبدون سابق إنذار ؟

وأين التاكسى الذى كان يتكسب رزقه منه ؟

لم يره مركونا كالعاده بجوار الباب !

إنتبه زكريا على صوت الدق فقام وفتح . سبقت خاله رائحة البخور ودخان السجائر ، ولاحقته وهو يدخل البلكونة .

فرد أنور لفافه كانت معه على الترابيزة ، وطلب من زكريا أن يأكل . الكمية كبيرة من الحلوى الممتازة ، تملأ الورقة .

مد زكريا يده بقطعته منها لخاله ، وسأله مداعبا هل كان معزوما فى فرح ؟

تمنع أنور وقال أنه أكل نصيبه .

ارتفع صوت زعيق وخبط عند الجيران ، فتذكر زكريا وسأل خاله إن كان كلم أم ياسر فى بئر السلم ، فهز رأسه .

إنفتح فجأة باب الجيران ، وإنطلق منه صراخ دسوقى .

- الحقونى ياخلق .. الحقونى ياهووه .

جرى أنور وفتح الباب وزكريا وراءه !

وبعد أن إنفض السكان المتجمعون على الصراخ ، وبعد أن إلتقط دسوقى أنفاسه وتراخى على الكنبة ، جاءت أم ياسر من المطبخ وحطت صينية الشاى على الترابيزة . كانت هادئة وعيناها إلى الأرض .

زعق دسوقى وضرب الكنبة بيده .

- إبعدوها عني ياخلق ، خذونى للمستشفى ، ذراعى إنكسر ياهووه .

مشت أم ياسر بعيدا ، وراح أنور يهدىء الرجل ، ويتحسس مكان الألم ، ولكن ظل يتوجع ، ويصر على الذهاب إلى المستشفى .

- جناية ، علاج أكثر من أسبوعين فى المستشفى يعنى جناية ، خذونى للمستشفى ياهووه .

رجاه أنور أن يتركه يدلك له ذراعه ، ولكن الرجل إزداد هياجا .

- أبدا ، لابد أولا من إثبات الحالة فى محضر رسمى ، أنا كنت قاعد هنا على الكنبه في حالي . وهى كانت قاعدة هناك على الكرسى . راحت تبص لهذه الخزنه وتتعجب ، ثم قامت فجأة وهجمت على ذراعى وعضتها بكل قوتها . تركتها تعض حتى تعبت ، لم أفتح فمى بكلمة واحده ، قلت أنا الرجل ولازم أتحمل جنونها . إغتاظت وزقتنى بكل عافيتها ، فوقعت من على الكنبة وإنكسرت ذراعى ، آه ياذراعى !

جاءت أم ياسر فى تمهل وقعدت . طلبت والدموع تسح من عينيها أن نأخذ زوجها إلى المستشفى ، لأن أمنيتها أن تذهب إلى السجن ، كما يريد هو . !

ثم قامت وحطت يدها على الخزنه المركونة عند الحائط ، وتساءلت

- هل رأيتم إنسانا عاقلا يدفع كل ما معه ليشترى هذه الخزنة ، فى الوقت الذى لانجد فيه ماننفقه على ضروريات المعيشة . !

قلت له .. ماذا سنحط في الخزنة يادسوقى ؟

قال لى .. مزاجى كده ، أبص لها كل يوم وأتمتع بمنظرها فى بيتى .

أهذا تصرف يرضى الله ؟

أخرج أنور عود بخور من جيبه وأشعله ، قربه من أنف دسوقى وطلب منه أن يشم بعمق ، ويقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاث مرات .

تضـايق الرجل من رائحـة البـخـور ، فـأزاح يد أنور ، وزعق فى غـيظ أن الألـم فى ذراعه وليس فى أنفه . !

مال أنور عليه وهمس

- تعال معى وأنت تكسب ، القعدة هناك ترد الروح .

وبكت أم ياسر وهى تدخل حجرة الأولاد .

- والله السجن أرحم من هنا ألف مرة !

- ١٦ -

كالعادة إختتم القطب كلامه للجالسين فى الصالة ، بأن الأمور تسير على أحسن حال ، وأن تحقيق الآمال أصبح قريبا ويسيرا ، وذلك بفضل جهودهم الذاتية المخلصة ، ورغبتهم الحقيقية فى حل مشاكلهم .

ثم راح يذكرهم بأنهم جميعا أبناء حى واحد ، وأن هذا الحى سيصبح قريبا جدا حيا نموذجيا ، حيا رائعا ، تتطلع إليه كل العيون ، ويباركه كل المخلصون .

قام القطب مستأذنا ، ودعاهم أن يأخذوا راحتهم فى المكان .. وعند باب المكتب همس لعباس ، فذهب وأعطى المظروفين المعتادين ، للمخبرين الجالسين فى الصف الأخير !

كان أبو العيون ينتظر فى حجرة المكتب ، يدخن ، ويعبث بالأشياء الموضوعه على المكتب ، فى إستخفاف ملحوظ . !

سيطر القطب على ضيق صدره ، وأقبل على الرجل مرحبا ، فأخذه أبو العيون فى صدره وضغط عليه فى تودد .

وبعد أن جلسا أشار على القطب فى سخرية ، أن يرشح نفسه لمجلس الشعب ، لأن الأصوات أصبحت تملأ المكان . !

تجاوب القطب معه فى برود ، وشاركه إبتسامته الماكره ، مؤكدا أنه سيفعلها قريبا باذن الله .

ولما طلب منه أبو العيون « الأمانة » التى عنده ، أحضرها ووضعها أمامه ، فعاد يضربه بتجارة الصنف ، التى إنتعشت وأصبح ربحها خياليا .

ثم أخرج من جيبه مظروفا منتفخا وقدمه فى حماس .

- نصيبك يامعلم فرس

اعترضت يد القطب مظروف الفلوس .

- إسمى الحاج قطب يا أبو العيون ، وضع فلوسك فى جيبك .

تضاحك أبو العيون وهو يبدى إستجابة مفتعلة لإعتراض القطب على لقب المعلم فرس النبى .. ثم عادت يده تلح بالمظروف .

- نصيبك ياحاج قطب

أشاح القطب بوجهه ، قال إنه لم يفعل شيئا يستحق عليه نصيبا .. وأصر أبو العيون على أن يعطيه المظروف .

- لقد إتفقنا يا ... ياحاج ... أهو كلام عيال ؟

- أتفقنا على ماذا ياأبو العيون ؟

- على أن نتعاون معا فى تسليك المسائل ، وكل منا يأخذ نصيبه بالحلال .

- بالحلال ! أبدا يا أبو العيون ، الحاج قطب لم يتفق على هذا الكلام .

تطلع إليه أبو العيون متوجسا ، ثم ألقى بالمظروف أمامه على الترابيزة .

- أتعنى أن أبو العيون لايفهم كلام المعلم فرس ؟

هب القطب واقفاً وهو يجتر غيظه .

وهب أبو العيون مواجها وهو يجتر غيظه ، وتلاقت العيون ، فهددت ، وتعاركت ، فى صمت مشحون !

إمتدت يد القطب وضغطت الجرس ، فدخل عباس ومعه رجلان .

رمقهم أبو العيون من تحت جفنيه ، ثم عاد يتضاحك ، تجاهل كل ماحدث ، وقال إنما جاء ليشترى شقة من الحاج ، فى برج التوحيد والنور ، ليزوج ابنته منال .

- فاكرها ياحاج ، كانت تطلع على حجرك وتشد الكوفيه .

ثم أبدى إستعداده لدفع الثمن الذى يراه الحاج ، كما ترك له حرية إختيار الطابق المناسب .

وظل القطب يراقب مناورة أبو العيون فى حذر ، بينما رأسه منتبه ، يفكر ، ويتحين الفرصة الحاسمة .

التقط أبو العيون المظروف وقدمه للقطب .

- عربون الشقة ياحاج قطب ، أظن نقول على البركة .

صمت القطب لحظات ، ثم هز رأسه موافقا وأخذ المظروف .

- ١٧ -

سألت فايزة أختها حسنية عن سبب تأخرها أمس بالمدرسة ، فأخبرتها أنها إشتركت فى مجموعة العربى لأنها ضعيفة فى القواعد .

إنطلق « كلاكس » عربة المدرسة ، فخطفت حسنية شنطتها وجرت إلى حجرة أمها لتقبلها .

نظرت فايزة من الشباك فرأت عباس فى الحديقة ، يتكلم مع الجناينى ، ولما رفع عينيه ناحيتها أشارت إليه خلسة ، ففهم وهز رأسه فى سعادة !

فى الصالة كان الحاج قطب يشرب قهوته ويتصفح الجرائد .

لمح فايزة تتجه إلى حجرة أمها فناداها ، أخذها إلى جواره ، وراح يكلمها فى حنان الأب .. ولأول مرة يوصيها على أمها بهذا الحرص !

يرجوها أن تنتبه إليها ، ترعاها ، تغذيها ، تمنعها عن كثرة الحركة ، أو المشاركة فى أعمال البيت ، حتى تضع وتقوم بالسلامة !

وزادت جرعة الحنان والتودد ، وهو يفتح لها صدره ، ويبوح بمدى لهفته إلى الولد ، أخوها المنتظر ، الذى يسعدهم ويملأ عليهم البيت .!

وبدت ملامحه تتقلص من تشوق الصدر المحموم ، ثم تتهدل منه وتستجيب للحظة صدق عابرة ، بينما اللسان يعترف .!

هى مرارة الحرمان من الولد ، تلك التى ساقته مجبرا ، ليفعل الكثير ، وليضحى بالأكثر .! فكرت فايزة فى أبيها ، الأسيوطى ، عرفت أخيرا أنه فى مقدمة الضحايا .

واسه الرجل فى خسة ليعبر إلى الهدف الصعب .. لذلك فقد أصرت عيناها على الهروب من عينيه البغيضتين ، ونفضت أذناها فى إشمئزاز بقايا صوته !

وحين إنتبهت ، كان يسألها عن دراستها ، وإن كانت تطلب شيئا ، أو تريد زيادة فى المصــروف . ثم أخرج من جيبه وأعطاها ، لتشترى فساتين جديدة ، لها ولأختها .

خرج الحاج قطب .. وراحت فايزة لأمها .. بدت إنشراح متعبة من الحمل ، ومن التفكير فى موضوع زوجها الأسيوطى .

وسحت منها الدموع على خديها ، وهى تبوح للبنت أنها لم تعد تحتمل ، لايطيق بطنها بذرة الحــاج قطــب وهى تنمو بداخــلــه ، تحــس به ينقبض عليها ويعتصرها فى نكران ، يريد أن يلفظها ، أن يتخلص منها قبل الأوان .!

وعادت البنت تطمئن أمها ، تشجعها على تحمل الصبر والإنتظار .. فما حدث قد إنتهى ، ولايجدى الندم عليه ، أما ماسيحدث فهو الأولى بالتفكير والتدبير ! فإنهم إذا بدأوا الحرب مع الحاج من الآن خسروا كل شىء .

سيظل الأسيوطى فى السجن ، وسيقعون هم عاجزين تحت أقدام من لايرحم ، تدوسهم بكل غل الانتقام .

أما إذا انتظروا حتى يجىء الولد ، وأصبحت إنشراح هى أم الولد .. فإن الموازين ستنقلب لصالحهم ، سيصبحون هم الجانب الأقوى والأبقى .

إســتعطفت فايزة أمها ، وراحت تشجعها وتوصيها بالمحافظة على حملها ، ورعايته ، فأنه الأمل الوحيد ، إن أرادت فعلا أن ترد للأسيوطى إعتباره وكرامته !

بعد ساعة من خروج الحاج قطب ، كان اللقاء المنتظر بين فايزة وعباس . لم يكن عباس يصدق نفسه ، وهو يسرع حذراً إلى الحديقة الخلفية ، أن فايزة يمكن أن تأتيه حقا ، تقترب منه برضاها وتكلمه ، وقد تبوح بما يتمناه قلبه ، وتتشوق لسماعه أذناه !

كان الشك يتقلب محموما فى صدره ، منذ أن أشارت إليه !

هل أشارت إليه حقا ؟

وهل قصدت بالفعل أن تلقاه هو بعد ساعة ؟

معقول ياعباس . أيمكن أن تستجيب أخيرا أميرة أحلامك ، تدخلك جنتها التي طالما سعيت إلى أعتابها ملهوفا متشوقا !

أم أنك لم تفهم معنى إشارتها ، فأولتها أنت على هواك ؟

ولما اقترب وجدها هناك .

هى فايزة ، أميرته ، تنتظره بنفسها بين الأشجار والورود !

وهبط منه القلب إلى رجليه ، فقيدهما إلى الأرض ، ثم عاد فأطلقهما فى حماس !

- ١٨ -

قبل أن يوقع الحاج قطب على العقدين ، راح كالعادة يسأل عباس ، إن كان قد عدّ الفلوس بنفسه جيداً .. ؟

فأكد له عباس ، وعيناه على ماكينة عد الفلوس ، المركونة بجوار المكتب ..

كان يعرف جيداً تركيبة الحاج قطب . ويعرف كيف يتعامل مع هذه التركيبة ، بما يرضيها ، وبما يرضيه هو أيضاً .

لذلك فقد بادر بفتح الشنطة ، وظل يضع الرزم فى الماكينة ، لتعدها أمام عينى الحاج قطب ، ثم يعيدها إلى الشنطة .

- مضبوط يا حاج ، ثمن الشقتين . أرنب بالتمام والكمال .

وقع الحاج قطب وناوله الأوراق . ثم فتح أجندته على صفحة برج التوحيد والنور .

- باقى أربع شقق يا عباس

أخبره عباس أنهم ثلاث ، لأن أبو العيون إستلم شقته بالأمس .

دق جرس التليفون الخاص ، فوضع يده عليه وتطلع إلى عباس .

فهم وإنسحب بالأوراق فى هدوء .

تفتحت ملامح الحاج قطب وهو يتكلم فى التليفون .. ثم راح يتأرجح بكرسيه منتشيا وهو يؤكد حضوره إلى العوامة ، فى الموعد المتفق عليه ..

أخذ مائة ألف ، ثم وضع باقى المبلغ فى خزينته .

قبل منتصف الليل بقليل ، كانت المرسيدس السوداء تسرى فى نعومة على طريق الكورنيش ، متجهة إلى المعادى .

تكسرت بعض شعاعات خافته ، وسالت ملونة على سطحها اللامع ، وهى تتهادى وتركن بجوار الرصيف .

أوقف الحاج قطب الموتور ، وظل ساكناً أمام عجلة القيادة ، يستطلع ويترقب .

جاء من العوامة وجه ثعلبى ، وفتح باب المرسيدس فى تأدب مرسوم .

نزل الحاج قطب وفرد هامته ، بينما ألسنة الترحاب تتلاحق من الفم الثعلبى ، وتتمسح به فى تزلف ..

ناوله الحاج مفتاح المرسيدس ، وأخبرة الرجل أن المكشوف بك ينتظره ، ثم ركب العربة ليخفيها بعيداً عن الطريق وبعيداً عن العيون ..

كان مدخل العوامة فخما ، المشايات اللينة الملونة ، والديكور الرائع ، والإضاءة الفنية ، التى تنسحب بالتدريج حتى تتلاشى داخل الصالة الكبيرة ، فلا يظل منها سوى شعاع بنفسجى متمرد ، يومض على فترات ، ليلعق إستدارة نافرة ، أو ساقاً أبنوسين تتأود ، أو ملامح رجل تهيم فى النشوة .. والموسيقى حالمة ، تهدهد وتثير فى نعومة ، إلى تواصل الإلتصاق ، وتواصل الدفء ..

تجنب الحاج قطب باب الصالة ، وإنحرف إلى باب جانبى ، يؤدى إلى طرقة أخرى ، طويلة وضيقة ، على جانبها أبواب مغلقة ، تسيل عليها أضواء شاحبة ، تتقاطر من السقف المنخفض ..

توارى الحاج قطب وإنتظر ، لمح وجها معروفا يدخل إحدى الغرف ، ومن ورائة خصلات ذهبية مسترسلة ، تحنو على نعومة ظهر مكشوف .

بعد لحظات تقدم ، عبر الطرقة وفتح الباب المواجه .. فإستقبلته روائح الدخان والبارفان والخمر ، وروائح أخرى ..

وهب إسماعيل المكشوف لإستقباله ، ضمه بكل الإحتفاء إلى صدره ، ثم أجلسه إلى جواره .

كان الأثاث شرقيا ، الشلت المخملية المبعثرة على السجاد الفخم ، قطع الأرابيسك ، التحف ، القناديل المضيئة ، الستائر الحريرية ، وعروس القعدة ، فى وسط المكان ، مبخرة كبيرة من النحاس المطعم بفصوص الزجاج الملون .

وضع المكشوف ذراعه على كتفى الحاج قطب وهزه فى تشوق

- أخذك الشغل منا يا كبير ، والله لك وحشة

تهادت ساقان بللورتان ، ثم مال صدر يستنكر السترة ، وناولته الأنوثة مبسم الشيشة ، بطريقتها ، وهى تركع أمامه ، وينقبض ثقب شفتيها الممتلئتين ويتمدد إلى الأمام ، بينما تداعب الجمرات وتوهجها .

أشار لها المكشوف ، فضمت عريها فى حرص ، وذهبت إلى هناك .

أطلق جهاز اللاسلكى إشارته المتقطعة ، فأخذه المكشوف وراح إلى الركن .

عادت الحورية تناور بإبتسامتها المثيرة ، والحاج قطب يدير المبسم بين شفتيه الكبيرتين ، ويشدبكل قوته فى إنسجام .

دارت حول المبخرة ، ثم هبطت وأخذتها بين رجليها ، فتحت غطاء الزجاجة وسكبت فوق الجمرات قطرة ، قطرة .. فهب الدخان الأبيض كثيفا ، معبقاً برائحة زيت الحشيش . ومدت الحورية وجهها فيه ، وظلت تتشربه به بكل ملامحها فى تلذذ ..!

إنتهز المكشوف فرصة الكلام عن أخيه الوزير ، صاحب الأيدى البيضاء فى كل أعمال الخير ، وسأل الحاج أن يدبر شقة أخرى فى برجه ، للإبن الثانى للوزير .

لاتنسى يا حاج أننا نعيش بأنفاسه ، ثم كله بثمنه يا كبير هز الحاج رأسة فاهما ومؤيدا . وعينه على الحورية ، وهى تأخذ من دخان المبخرة وتدلك صدرها .!

سأله المكشوف وهو ينظر فى عينيه

- أتعجبك . ؟

تشاغل عنه الحاج قطب بتحريك الجمرات على رأس الشيشة . ففهم وأوما برأسه ، دخل رجلان يحملان صينية كبيرة ، ووضعاها أمامهما . أطباق الإستاكوزا ، والجمبرى ، وشرائح البوفتيك ، والحمام المشوى ، والسلطات ، والكافيار ، كلها مرصوصة بشكل

جمالى رائع . وفى الوسط برام الكوارع والمخاصى ، الذى يعشقة الحاج قطب .

قال المكشوف وهو يتفاهم مع الحورية بعينيه .

- العشاء وجب يا كبير

فإقتربت ، وجلست بجوار الحاج قطب ، وراحت تنتقى من الصينية وتضع فى فمه وهى تغازلة .

أخبره المكشوف أن فلانا ، وفلانا ، ورجالا آخرين مهمين ، كلهم مجتمعون حول البوفيه ، وأن المصلحة العامة تستدعى أن يلتقى بهم ، وأن يتبادل معهم فرص الأخذ والعطاء .

ظل الحاج قطب يأكل من يد الحورية فى نهم . وبدا أن كلام المكشوف لم يعجبه قبض علي اليد اللينة فتأوهت ، وقال معاتبا .

- قلت لك لا أريد أن ألتقى هنا بمن يعرفنى وأعرفه .

ضحك المكشوف وتراجع مداهنا

- وأنا رهن إشارتك يا كبير

أخرج الحاج رزمة بألف ، وألقاها على الصينية ، ثم رزمة مثلها ، راح يداعب بها صدر الحورية المتلهف .!

- إنسحب طاقم العازفين من الصالة الكبيرة ، وظل أحدهم وحيدا فى الظل، يستحلب أوتار كمانه فى أنين شجي مثير ، يناوش التصاق الأبدان المخدرة ، ويغرى نشوة السعى إلى لحظة الإمتزاج الخرافى .!

وإمتدت الأيدى المدربة ترفع الفوارغ ، وتضع الزجاجات الممتلئة ، والمزات ، والأكواب النظيفة .

كان المكشوف يشكو للحاج قطب من ارتفاع مصاريف المكان ، وأنه أصبح لايغطى همه، ولولا حرصه على مزاج أحبائه الكبار ، لكان تخلص منه فى أسرع وقت .

داعبه الحاج قطب ساخرا

- إرفع ثمن « الفزيته » يا دكتور .. والغاوى .!

تطلع المكشوف إلى الحورية ففهمت وقامت .

ترك الحاج قطب مبسم الشيشة ، وراح يشهق فى تأن وإستمتاع خلاصة الدخان المعبق ويملأ به صدره .

مال على المكشوف وإحتواه بعينيه ، خمس أرانب بالتمام والكمال انتبه المكشوف شم رائحة صفقة جديدة ، فسال اللعاب ، وانزلق الرأس حثيثا فى عينى الحاج قطب ليصل إلى القرار ويكشفه .

- تكلم يا كبير

وبدأ الحاج قطب يناور كالعادة ، والمكشوف يهز رأسه مؤمنا .

كان كلاهما يعرف جيداً ماذا يريد من الآخر . وكيف يصل إلى هدفه بأقصر الطرق وأيسرها .

ولكنها أصول اللعبة ، وطقوس الصفقة ، التى تفرض نفسها ، وتحتم على كل منهما أن يستعرض خبرته ومكانته ، وأيضاً مراوغته إذا إحتاج الأمر .!

ودخل الحاج قطب فى الموضوع ، فبما أنه مواطن صالح ، يسعى لرفع المعاناة عن أهل الحى الذى ينتمى إليه ، لذا فقد قرر إنشاء مجمع خدمات خيرى ، يشمل مستشفى ، وجامع ، ودار حضانه .. وأن أنسب مكان لإقامة هذا المشروع ، هو قطعة الأرض الكبيرة ، شرق الشرطة العسكرية ، تلك التى إستولت عليها الوزارة لبناء النادى الرياضى .

وتبلورت نية الحاج قطب ، فإلتقطها المكشوف في براعة .

إذن فالمطلوب أن يقنع أخاه الوزير بأن يترك قطعة الأرض للحاج قطب ، ينقل ملكيتها إليه بشكل قانونى ، نظير رشوة خمسة ملايين جنيه . ! تهادت موسيقى ناعمة من الأركان .

ودخلت الحورية ، ومن ورائها تشكيلة منتقاه ، أجسام مجهزة بطرق مبتكرة ، تحتقر ورقة التوت وتلفظها فى نفور .!

بد أن يستعرضن إمكانياتهن في براعة ، البيضاء والسمراء ، الطويلة والقصيرة ، الملفوفة والممتلئة .. والعين من إحداهن تروى مئة عطشان .!

تطلع المكشوف في إعجاب ، وهو يغرى الرجل ببضاعته

- العمل فيما بعد ، خلنا في ساعة المزاج

وكانت عيون الرجل قد همت بالفعل .. تلاحق أشياء الأجسام ، تحاصر مواطن القيمة الفنية ، وتفحصها ، وتجوس فيها في مهارة مذهلة .!

وأخيرا إستقر الرأى وإنتهى .

أشار إليهن الحاج قطب فأقبلن عليه متلهفات. نفح كل واحدة منهن رزمة بألف ، مع إبتسامة بالغة الرقة .!

وتوقف عند إحداهن ، البيضاء الملفوفة ، لم يعطها شيئا .!

طلب منها أن تجلس إلى جواره ، فتداعت في تدلل والسعادة تغمرها ، وهنأه المكشوف على ذوقه الرفيع وخبرته المتفرده في أمور النساء .

بعد أن جمعت الحورية بضاعتها وخرجت ، تم التفاهم سريعا بين الرجلين ، وكان كل شئ مجهزا كالعادة .. شاهدا عدل ، والمهر الشرعى .

وقام المكشوف بكتابة العقد في لحظات .

- مبروك يا كبير ، على سنة الله ورسوله .!

راحت العروس إلى حجرتها لتستعد .. وبقى الرجلان ليسويا باقى الموضوع .

ناوله الحاج قطب خمس رزم ، مهر العروس . ثم عشر رزم مؤخر الصداق . ورزمتين لزوم القعدة ومصاريف نثريه وخلافه . ؟

ثم سأله إن كان يريد شيئاً آخر . ؟

فتودد له المكشوف وهو يرافقه إلى حجرته

- يا رجل خذ مزاجك أولاً .. ما بين الخيرين حساب . !

فى نهاية حديثه ، وبكل الثقة ، أكد الحاج قطب لكل العيون المنطلقة إليه ، والآذان المنصته لكلامه ، بأن كل هذه المشاريع سيبدأ تنفيذها فورا باذن الله ، وأنها ستستوعب كل الأيدى ، وكل الرءوس ، وكل الخبرات ، التى عانت من مرارة البطالة ، وغمرها يأس الإنتظار الممل .!

أما الشباب ، فلهم عنده مفاجأة مذهلة ، سيعلن عنها قريباً جدا .

ثم تدفقت كالعادة صوانى المشروبات والحلوى ، فإستقبلتها الوجوه ببشاشة الرضى والعرفان .

إستأذنهم الحاج قطب ليلتقى بأخواتهم لحظات ، فى الصالة المجاورة ، والتى تم تجهيزها حديثا لإستقبال النساء .

وأسرع أنور يلاحقه ويستوقفه قبل أن يدخل ، فأخذه تحت ذراعه ، وإستمع إليه فى إهتمام وهو يكلمه عن أم ياسر ، الضيفة الجديدة .. أومأ الحاج قطب برأسه فاهما ومطمئنا .

كانت أم ياسر منزوية فى ركن الصالة ، تشرب من الفنجان فى تمهل ، وتتسرب منها قطرات الإستطلاع إلى بقية الرفيقات ، وكن قلة ، مجتمعات فى وسط الصالة ، يتبادلن ثرثرة خافتة ، تدهشها فخامة المكان ، وتنشطها إشارات الأيدى ورعونة العيون .!

ودخل الحاج قطب متأنيا مهيبا ، منكس العينين مسبح الشفاه فى خشوع .. وجلس فى صدر الصالة .

بعد برهة ، إرتفع قليلا صوت تمتمته ، بينما يشير لهن أن يتقدمن إلى الصف الأول ، فرك مسبحته بين كفيه ، وبدأ بالبسملة والصلاة والسلام على نبى الهدى ، سيدنا رسول الله .

وبدأ دخان البخور يتهاوى من الأركان ، ويتسلل إلي الأعطاف والصدور ، دافئا ناعماً ، يدغدغ الحواس المرهقة ، ويبعث فيها نشوة الترقب من جديد ، إلي بزوغ طاقة الآمال المستحيلة . !

وتواتر الصوت رخيما فى خشونة ، متسربا إلى أماكن الضعف الغريزى ، يناوشها ويسيطر عليها . راح يخبرهن أن المرأة هى ثلاثة أرباع المجتمع ، وليست نصفه كما يدعى الجاهلون ، فهي التى تصنع الزوج ، والإبن ، والأخ ، وتقيم الأسرة الحقيقية ، متحملة أعباء وظيفتها ، وأعباء بيتها .. ولذلك فإن المصلحة العامة تحتم علينا أن ننصف المرأة ، وأن نكفل لها كل حقوقها عن طيب خاطر ، لكى تعطى ، وتستمر فى العطاء .

إنشرحت الصدور وتقاربت .. وإكتحلت العيون بومضة البشرى الحالمة ، وبدأت الرءوس تخف من أثقالها .!

وراحت عينا الرجل تحطان على الوجوه فى غير تحرج . هنا ياأخوانى سنحل كل مشاكلنا ، فالمال موجود ، العمل موجود ، وكل ما تردنه موجود بإذن الله .

دخل عباس وبيده التليفون ، أخبر الحاج قطب همساً أن معالى الوزير على الخط .

أخذه منه وإبتعد قليلا عن الآذان .

وبعد تبادل عبارات المجاملة ، أخبر الوزير أن شقق برج " التوحيد والنور " تحت أمره ، وأن تشطيبات برج " الهدى " ستنتهى بعد شهرين على الأكثر ، ثم خيره فيما يفضل ، ولما سمع رأيه ، أمن عليه وجنده .. وفى نهاية المكالمة سأله إن كان المكشوف قد تفاهم معه فى موضوع قطعة الأرض " إياها " وطلب من الوزير موعدا قريباً للقاء ،

فوعده الوزير ببحث الأمر ، وربنا يفعل الصالح بإذن الله .!

إنقطعت الثرثرة وعادت العيون تتطلع من جديد .

وبعد لحظات صمت ، قال الحاج قطب فى تودد ، إنه مستعد لسماع المشاكل الخاصة ، والعاجلة ، لمن تريد منه العون .!

بدأ بأم ياسر ، طلب منها أن تتبعه .. وكانت هناك حجرة زجاجية صغيرة ، تطل على الصالة ، بها مكتب وبعض الكراسى .. أدخلها وأغلق الباب .

- ٢٠ -

سمع زكريا زعيقا وصراخا يأتى من شقة دسوقى ، ثم هرولة أقدام وخبط على الباب .!

قام وفتح ، ولأول مرة يرى دسوقى بالفانلة وبنطلون البيجامة ، ومن غير النظارة .!

كان وجهه ثائرا وأنفاسه مخطوفة .

- أين خالك ، أين السيد المحترم .؟

عزم عليه زكريا بالدخول ، فإندفع وعيناه تفتشان الشقة

- أين هو .. هه .. أين هو ..؟

أخبره أن خاله يرجع متأخراً ، وقد لا يرجع ، فهو ضيف عنده خطف دسوقى كرسياً وقعد على باب الشقة .

- سأنتظره هنا ، أعندك مانع ...؟

رجاه زكريا فى ملاطفة أن يدخل ، ليفهم منه المشكلة .. ولكنه أصر على موقفه .!

فسحب كرسيا وقعد بجواره ، ثم راح يجره فى الكلام ويهدئه .. وعندما سأله عن أحوال شغله ، فوجئ بثورته وصياحه .. فأحوال الشغل زفت ، وأنه قرر أن يسرح بعربة كشرى أمام المدارس .!

ثم ظل يخبط رجله منحوراً !

- مصاريف ، وتعليم ، وعشرون سنة خدمة ، وأخرتها أطلع مختلسا. دسوقى أبو عيطة إبن الأصول ، يلوث سمعته وكرامته من أجل عشرة جنيهات .!

حاول زكريا أن يطيب خاطره ، فنفر منه وصده

ألقى عليهما الشيخ شعبان السلام وهو طالع ، ثم حط على السلم ليرتاح ، وليعرف حكاية صوت دسوقى الواصل إلى بئر السلم .

- خير يا أولاد .. أبوكم شعبان يريد أن يعرف الحكاية من أولها .

قال دسوقى وهو يقوم ويقعد على الكرسى

- الحكاية لا لها أول ولا لها آخر . قالوا تشتغل أمين خزنة المؤسسة يا دسوقى ، تطلع لك بقرشين ، بدل خزنة وإضافى ، لكى يسندوا مرتبك التعبان ، قلت موافق .

قاطعه الشيخ شعبان ليستفسر عن معنى بدل الخزنة والإضافى ، فتجاهله ، وإستمر يتكلم فى عصبية .

- أصل مستندات الصرف كلها تنتهى عندى . فاتورة فيها عشرة زيادة ، أقول إصرف يا دسوقى . فيها عشرون زيادة ، إصرف يا دسوقى الموظف غلبان وعنده كوم لحم .!

لكن عندما تكون المؤسسة خاسرة ، ويقدم رئيسها فاتورة بعشرة آلاف جنيه ، عشاء لخبير أجنبى ، وفاتورة بخمسة آلاف هدايا لأحد العملاء ، وغيره ، وغيره بالآلاف .. فلابد أن يؤدى هذا إلى الشك ، وإلى وجع الضمير ، وأنا ضميرى وجعني على الأخر . فإنفلتت منى كلمة ، كلمة واحدة ، أقامت القيامة .!

جرد مفاجئ للخزنة ، وعجز عشرة جنيهات ، وتحقيق ، وإهمال جسيم ، ونقل لإدارة الأمن .

تدخل الشيخ شعبان متعجبا

- إدارة الأمن ، نقلوك البوليس يا دسوقى .؟

مال عليه دسوقى مغتاظاً ، وراح يفهمه شغلته الجديدة . الأمن يعنى جلوس طول النهار على البوابة يناكف خلق الله الداخلين والخارجين .. وبعد أن كان يقبض ويصرف ، وطول

النهار يعد الفلوس ، أصبح مرميا على البوابة مثل العمل الرضي .!

ثم صاح وهو يقوم ويقعد فى عصبية .

- أعرفتم لماذا أشتريت لنفسي خزنة ، خزنة تكون ملكي أنا ، تحت تصرفي أنا .

رمش الشيخ شعبان مندهشا

- إشتريت خزنة يا دسوقى .؟

ركن دسوقى ظهره إلى الحائط ، وحط رجلا على رجل

- طبعاً .. أشتريتها من مالى ، وبعرق جبيني .. أصرف منها بما يرضى الله ، وأحط فيها بما يرضى الله .. معقول أرضخ لهم ، أتهاون فى أموال الناس الغلابة .!

تحامل الشيخ شعبان على درابزين السلم وقام

- موضوع هايف ، لا يستحق أن أسمعه من أوله .

بدت على وجه دسوقى علامات الإنكسار والهزيمة ، وهو يقلب كفيه أمام عينيه ويتحسر ، أصابعه تستحق اللف فى الحرير ، الكل يعترف بأنها كانت تسبق ماكينة عد الفلوس .. ولكنها الآن شاخت وعلاها الصدأ ، من الركنه ، وقلة الحركة .!

ثم إنتبه فجأة وعاد يزعق فى وجه زكريا ، يسأله ويضغط عليه ليعترف ، لماذا راح خاله أنور يغافله ، ويأخذ زوجته أم ياسر إلى الحاج قطب .؟

مازالت نظرات الضيق واللوم تبدو عالقة بعينى الحاج قطب ، وهو يواجه زوجته إنشراح ، والصمت يتمدد بينهما .

جاء الطباخ ووضع طعام الإفطار أمامهما . فى إنكسار أنثوى تجاهلت نظراته ، وتناولت شوربة الحمام ووضعتها أمامه ، تعرف أنه يبدأ بها كل وجبة .. ثم تراخت على كرسيها ويداها تتحسسان بطنها .

فى شهية ملحوظة أتى الحاج على السلطانية كلها .. ثم سحب طبق البيض المسلوق أمامه .

سألها لماذا لاتأكل .؟ فأبدت عدم الرغبة .

وسألها هل جاء الطبيب فى موعده .؟ فهزت رأسها ولم تتكلم .

أكل بيضتين وبدأ فى الثالثة ، وهى مازالت منكسة الرأس ، تتحسس بطنها وتتنفس فى تثاقل .!

وازنها فى رأسه حتى إستقرت كما ينبغى ، فأضطر أن يبدل نظرات الضيق واللوم بنظرات التعاطف والتودد ، وأن يتسامح عما حدث منها بالأمس ، ولابد أن يتسامح ، لكى تطمئنه على أحوال الولد .!

ولمحت هى نظرة التعاطف تناورها وتداعبها ، فأيقنت أن الحيلة خالت على الرجل ، وأنه تراجع ليسترضيها .

كانت المرة الأولى منذ أن تزوجها ، وضمهما سرير واحد ، أن تجرؤ على ذلك ، أن تتمنع على الرجل حين ركبه المزاج جامحا إليها ، أن تصد سعيه فى إصرار وهو يهم بها

وتعطيه ظهرها فى برود ، متأوهة من آلام الحمل .!

كانت مطمئنة أنه راضخ لامحالة ، أنه سيبتلع رغبته فى هدوء ويتركها لحالها .

فهو يريد الولد قبل أن يريدها هى ، يتشوق إلى الإطمئنان عليه فى كل لحظة ، وينتظره بفارغ الصبر .!

إنتبهت إليه ، وهو يلح عليها أن تأكل ، وأن تعمل بتعليمات الطبيب ، وأن تهتم بصحتها ، من أجل صحة الولد .!

وبالتدريج ذاب صوته فى أذنيها ، وهى تتطلع إلى فمه ، ولأول مرة تلاحظ أنه كبير ومتسع ، ولا يعجبها شكله .!

وتراءى لها فم الأسيوطى صغيرا وحنونا .. لم يكذب عليها ، ولم يخدعها أبدا أما هذا الفم ، فم الحاج قطب ، فقد كذب عليها وخدعها . بل وظل يحاصرها حتى إستسلمت ووقعت فيه راضية .!

بعد أن خرج الحاج قطب ، تساقطت الدموع من عينى إنشراح ، فقامت .

ومشت إلى أقصى ركن وجلست هناك

بدا الجو متكسرا فى عينيها النديتين ، والخضرة باهته ، خاملة لا تستجيب للنسمة الطرية .

لم يكن يخطر ببالها أن القطب يكذب عليها .

يغشها ويستخف بوعده لها .. وفى البداية لم تصدق البنت ، ظنتها تلفق الكلام لتدين القطب ، تدعى عليه زورا لتثبت لأمها سوء نيته ، ولتؤكد لها مدى جحوده ونذالته .

ولكن البنت أقسمت على صدق كلامها ، وأحست هى بهذا الصدق متوهجا فى عينيها ، يصل الى القلب ويلامسه .

وإحتار القلق فى صدرها .

معقول يتهاون القطب فى حق الأسيوطى ؟

معقول يغدر بالرجل الذى خدمه وعاشره سنين طويلة ، لا يقف بجواره في محنته ولا يفعل المستحيل كما وعدها ، ليثبت براءته ، أو ليخفف الحكم عنه ؟

هل حقا تركه يلبس القضية بمفرده ويدخل السجن ؟

ولماذا فعل القطب ذلك ؟

هل كان للأسيوطى يد في تجارة المخدرات ، وأنه إستغل عربة القطب فى تهريبها ؟

كلام الاسيوطى للبنت يؤكد أن القطب هو صاحب المخدرات ، وأنه هو الذى وضعها تحت كرسى السائق وهم عائدون من الإسكندرية ، وهو الذى إدعى أمام النيابة أنه لا يعلم عنها شيئاً .

وعادت الدوامة تدور برأس إنشراح ولا تفلته .

هل حقا فعلها القطب متعمداً ليتخلص من الاسيوطى ، أم أنه إضطر لذلك لكى ينجو هو ويفلت بنفسه ؟

ولكن لماذا أراد القطب أن يتخلص من الأسيوطى ، وقد كان سائقه الخاص وذراعه اليمنى ، كما كان يعترف أمام الجميع .

لابد أنهما إختلفا على شئ خطير .

ولا بد أن الأسيوطى كان يعلم الكثير عن أسرار القطب ، بما فيها تجارة المخدرات .. فالقطب لم يكن يتركه إلا لساعات النوم ، بل كثيراً ما كان يرافقه الى البيت ليسهرا معا .

أيامها كان وجه القطب مثيرا لدهشتها ، ولفضولها . !

فتارة يبدو لها كمغارة سحيقة القرار ، تمتلئ بالغرائب والأسرار ، تدعو وتحذر تناوش صدرها بشكات الرهبة والتوجس .. وتارة أخرى يبدو وجها حنونا متشوقا ، يناور فى تعاطف ، ويتجاسر فى ثقة .

ولذلك خافت على نفسها منه ، وتجنبت لحظة النظر اليه .

وبدا صدق الإنفعال ، واضحا على وجه إنشراح ، وهى تلوم الأسيوطى على سقطته التى أعجزتها ، التى أربكت تفكيرها وألقتها فى ضياع مخيف . !

وماذا كان بيدها أن تفعل ، وقد وجدت نفسها فجأة مسئولة عن البنتين قبل أن تكون مسئولة عن نفسها .

كيف كانت تتصرف والأسيوطى لم يترك لها شيئاً ،ولم يعطها فرصة التماسك والتدبر .

وعاد التساؤل المنهزم يرفرف فى القلب ، يلامس الجرح المتقيح ويدميه لماذا طلقها الأسيوطى ؟

كيف هان عليه أن يطعن كرامتها بهذه القسوة ، وأن يضطرها مرغمة لركوب الصعب ؟

- ٢٢ -

شال بركات عبد الهادى حجرا وحطه بجوار السور وطلع عليه ، كان يريد أن يتأكد من شكل الكلب فى النهار ، نظر بين الأشجار ، وحول مبنى الجراج ، وتحت تكعيبة العنب ، ولكنه لم يجده .

ورأى منصور عبد الجبار جالسا هناك ، اصطاد عينيه وهما ترقبانه من خلف الجريدة ، ثم تتجاهلانه فى إصرار .

تأكد أن الرجل يدبر أمرا .. وإلا فلماذا لم يعاود طلب الخرطوم ، ولماذا لم يلمح حتى لمشكلة الكلب ، أو يعاتبه على محضر البوليس ؟

الغريب أنه لم يبد أى رد فعل لكل هذا ، ويجلس هناك صامتا ، يخطط لهجوم مباغت ، يرد به إعتباره .

أه لو يعرف متى وكيف يكون هذا الهجوم . ؟

سمع صوت لهاث يأتيه من جانب السور ، شب علي أطراف أصابعه وأمال رأسه ، رأى كشكاً صغيراً من الخشب ، ملتصقا بالسور ، أسفله تماما ، وكان الكلب قاعداً أمامه ، ينظر اليه بإستخفاف .

لحق بركات نفسه وتماسك قبل أن يقع ، إبتعد عن السور بسرعة .

إستقبلته عفاف بنفس السؤال ، فأخبرها أن المسئولين حفظوا المحضر ، لعدم توافر الأدلة المادية والشهود .. تم تركها تدير إسطوانة الثورة والخبط والرزع ودخل الحمام .

خلع ملابسه ووقف فى البانيو .

كان يفكر فى إقتراح صديقه همام ، يبدو معقولا ومنطقيا ، يرتفع بالسور بينه وبين منصور عبد الجبار مترا أو مترين فتنتهى المشكلة ، وبطريقة سلمية .

ولكن هل سيسكت الرجل ويتركه فى حاله أم سيعتبر ذلك تحديا لذاته ولقدراته .

أحس بقطرة ماء تسقط على رأسه من الدش ، كانت باردة وناعمة .

ثم سقطت قطرة ثانية ، كانت ناعمة ، ولكنها لم تكن باردة .

وسقطت ثالثة ، ولم تكن باردة ولا ناعمة .

الرابعة كانت دافئة ، والخامسة ساخنة ، ثم توالت القطرات كالجمر ، أحس بها تثقب عظام الرأس ، وتصل الى النخاع .

إرتعب ، وحاول أن يبتعد فلم يستطع .. حاول أن يحرك الرأس بعيداً فلم يستطع .. وضع يده على رأسه ، لا فائدة ، القطرات تثقب اليد وتصل الى النخاع ، تدخل من نفس الثقب ، الى نفس المكان ، تلسعه ، تكويه فى إصرار !

إستجمع قواه وقفز من البانيو مستغيثاً ..

ظلت فايزة تتقلب مسهدة فى سريرها ، تطارد وجه عباس عن خيالها ، ثم تعود فتستدعيه راغبة .

كانت تلوم نفسها ، كيف أعطته الفرصة أن يتقرب اليها ، وأن يرى بوادر الإستجابة تشف فى عينيها ، تتعاطف مع مشاعره نحوها وتباركها ؟

كيف طاوعتها نفسها أن تستميل رجلا تعرف أنه يلازم القطب ويتعلق بأذياله ؟

فى البداية راودتها الفكرة .. وهى تراه يسعى اليها كل يوم ، متحايلا على مراقبة القطب ومشاغل العمل ، مختلقا أذكى المبررات والمصادفات لكى يوصلها بنفسه ، من المعهد الى البيت .. ثم وهى تلمح عينيه تتعلقان بها فى مرآة العربة ، وتودعانها فى تشوق عند باب البيت .

فكرت .. ما دام الرجل قد وقع فى حبها لهذه الدرجة ، فلماذا لا تستفيد من هذا الحب ؟ لماذا لا تطوعه على هواها حتى تصل به ؟ ثم تنساه بعد ذلك ؟

وبالفعل راحت ترخى له حبال الأنثى قليلاً ، ثم طلبت منه أنه يدبر لها زيارة للسجن ، لكى ترى أباها الأسيوطى .

وكان لها ما أرادت فقد إستجاب عباس ، ونفذ ، خاطر بكل العواقب وإنصاع لأميرة القلب .

وبعدها وجدت نفسها تفكر من جديد .. فالواقع أنها لم تستنكر حب عباس ، ولم تصده بل على العكس تمادت فيه ، وأرخت له مزيدا من حبال الأنثى .

وفى هذه المرة أرادت أن تعرف الحقيقة كاملة من فم عباس ، لأن أباها الأسيوطى أشفق عليها فلم يقل الكثير ، لم يطاوعه لسانه وهو يرى حزنها فنسى هم نفسه وراح يطيب خاطرها وينصحها .

وعلى الرغم من مجاهدة عينيه للهروب منها ، إلا أنها تأكدت من حصار تساؤل مؤلم ، يغور فى أعماقهما ويتململ حائراً ، بينما يستطلع أبوها أحوال أمها .

أخذت الوسادة ووضعتها على وجهها .. فعاد وجه عباس يشاغل خيالها رأته رجلا حنونا ، يتقرب فى تشوق ليضمها ويحنو عليها ، ثم متوجسا يحذرها ويخاف عليها .. والشفتان مزمومتان على الحقيقة ، على السر وتحرصان على ألا ينفلت من بينهما أبداً .

عـاد القطب يلتـقط صـورة الحكم ويمعن النظر اليـهـا .. ثم يلقـيـهـا على الترابيزة وقد بدا وجهه منفعلاً .

لم يكن الحكم فى حد ذاته هو سبب الإنفعـال ، فإزاله عشرة أدوار من برج التـوحيد والنور وغرامة مليون جنيه ، لم تكن هذه الأمور لتثير غضبه ، أو حتى لتحرك شعرة من رأسه .

ولكن الشئ الذى أزعجه ، وأثار غضبه ، هو جرأتهم على التحرش به ، إستهـانتهم بشخصية القطب ومكانته .

إمتدت يده الى التليفون ليكلم الوزير ، فكر أن يلومه وينبهه من غفلته ، فماذا يعمل هناك على كرسيه ، إن لم يظل يقظا واعيا لمثل هذه الهفوات الشنيعة .

ثم ما معنى العلاقة القائمة بينهما ، إن لم تكن مجديه فى مثل هذه الظروف ؟

تراجعت يده عن التليفون .. ثم إمتدت الى الدرج وسحبت ملفا تطلعت عيناه الى كشف الحاجزين فى برج التوحيد والنور ، فإنبسطت ملامحه ، وهو يتأكد من معلوماته ، ويبارك بعد نظره ، على أنه اختار لأقارب الوزير شقتى الدور الخامس عشر ، ولإبن المحافظ شقة فى الدور الثامن عشر .

وهز القطب رجلا على رجل وهو يتساءل فى سخريه .

- أرونى كيف تنفذون حكم الإزالة يا غجر .

دخل رمـزى القرمـوطى رئيس الحى ، وعـادل المحـلاوى مسـئول تراخيص المبانى ليستطلعا ما يريده القطب .

وعندما دخلا فى الموضوع ، إعترفا صراحة بأن المهندس مدكور هو سبب المشكلة ، لأنه لم يتفاهم معهما من البداية ، فيما يتعلق ببرج التوحيد والنور ، كما لم يبد أى إستعداد لتغطية الإكراميات المتعارف عليها ، لتسليك العملية فى مراحلها المختلفة ، كما حدث بالنسبة للأبراج السابقة وقال رمزى القرموطى بأنه إضطر لإصدار قرار الإزالة من مدة ، لأنها مسئولية ، ولكنه إكراما لعيون الحاج قطب عمل بأصله ، ولم يتخذ أى إجراء تنفيذى ، حفظ الموضوع برمته فى ثلاجة المجلس ، لحين التوصل الى الحل المناسب .

ثم طمأن القطب فى ثقة ، أن رئاسة الحى لن تتحرك إلا إذا تورطت بالفعل ، وهى لن تتورط أبداً بإذن الله .

وسكت القرموطى لحظات ، بينما يختلس النظرات الى وجه القطب .. ثم قال بطريقة تؤكد مكانته الخطيرة .

وحتى إن حدث لاقدر الله ، فالحل عندنا أيضاً فكما تعرف فكلها شكليات ، مجرد شكليات وحبر على ورق .

تساءل القطب وهو يصوب إليه عينيه .

- ومن الذى أبلغ النيابة .

وضحك القرموطى بإستخفاف .

نحن طبعا يا حاج ، أنت سيد العارفين ، نحن نبلغ ، ونحن ننفذ الأحكام ، ونحن نجمد المواضيع ، حتى يفكها صاحب القدرة بمعرفته .

ناوله القطب صورة الحكم ، فقرأ بغير إهتمام .. إزالة عشرة أدوار وغرامة مليون جنيه . ثم إعتدل فى كرسيه وأشعل سيجارة بالولاعة الذهب ، وقال فى جدية .

- خذ الكلام المفيد يا حاج ، من جهة إبلاغ النيابة وخلافه كان لا بد أن نبلغ أما من جهة تنفيذ الحكم وخلافه ، فهذا كلام آخر ، كلام يخصنا نحن .

تساءل القطب فى حسم

- والمطلوب ؟

قال القرموطى بصوت ناعم

- إعط أحباءك نصف مبلغ الغرامة ، يتركون لك النصف الأخر والعشرة أدوار المخالفة .

أبدى القطب تعاطفا مع موقف الرجلين ، وإستجابة لإقتراح القرموطى وبعد أن خرجا إبتسم ساخراً ، فليس القطب من يقع تحت رحمة الأمر الواقع ، لن يدفع قرشاً ، ولن يهدم طوبة من برجه ، مهما حاولوا .

أما مدكور .. فسيكون له حساب خاص معه ، ولن يتركه يفلت بما فعل . وأحس القطب أن عباس كان محقا عندما حذره منه ، وأنه كان من المفروض أن يتخلص منه ، قبل أن يغيب فى رحلة الحج .

سمع زكريا كلاما كثيراً ومتضاربا حول الحاج قطب ، كان زملاؤه بأرشيف السجل المدنى بالشهر العقارى يتسامرون بسيرته الشهية ، كلما سقط إسمه بينهم ، على أية ورقة أو وثيقة ، تدخل أو تخرج من الإدارة ، بعضهم كانوا يمدحون الرجل فى حماس وتعاطف ، ويشيدون بخدماته وأخلاقه التى يغمر بها الصغير قبل الكبير ، والبعض الآخر كانوا يؤكدون أنه رجل أفاق ، إنتهازى ، يتلون فى براعة متفرده ، ويحتال على فرائسه حتى يوقع بها فى شراكه ، ثم يمتصها على طريقته ..

إنشغل زكريا على خاله أنور وساوره القلق .

فهو يتردد على الحاج قطب يوميا ، ولا يأتى من هناك قبل منتصف الليل .. لذلك قرر أن يجره فى الكلام وأن يذهب معه الى هناك ، ليرى الرجل ، ويتعرف على جوه بنفسه تراخى أنور على الكنبة وراح يدخن ويكح ، كان الإرهاق على وجهه يتركز حول العينين طلب من زكريا أن يقعد بجواره لكى يخبره بموضوع التاكسى .

إندهش زكريا لمبادرة خاله غير المتوقعة ، فلقد سبق أن سأله مرارا عن عربته التاكسى ولكن كان يراوغ فى زهق وتكلم أنور .

- كنت لا أود أن أوجع دماغك بمشاكلى ، ولكنها طلعت في نافوخى الآن أحكى لك ما حصل ، لكى تتعلم ، لكى تعرف كيف تحمى نفسك من ذئاب هذا الزمن . !

المهم ، من حوالى شهر خرجت بالتاكسى مبكراً كالعادة ، ركب معى أول زبون وقال محكمة إمبابة بسرعة يا أسطى ، رأيته يخرج دوسيها من شنطته ويقلب فيه كانت الشوارع مزدحمة بشكل فظيع ، وكان هو يرفع

عينيه لحظة إلى الزحام ، ثم ينفخ فى غيظ ويعود لأوراقه ..

قلت الصبر طيب يا أستاذ ، فحشر الدوسيه فى الشنطة والقاها .. مش باين قلت أعوذ بالله ، وحاولت أن أهرب من الزحام الى الشوارع الجانبية ولكن إرادة ربك فوق كل إعتبار لا أعرف كيف « زرجن » الموتور فجأة وقطع النفس ، نزلت وفتحت "الكبود" وهو يلاحقنى فى عصبية إيه يا أسطى ؟ جرى إيه للعربة يا أسطى ؟

كان الماء يغلى فى الردياتير وأحد أسلاك البوجيه مخلوعا من مكانه .

قلت خمس دقائق حتى يبرد الموتور ومشى .

رأيته ينظر الىّ بغيظ ثم يجرى الى شنطته ويحاول أن يوقف تاكسى آخر .

قلت بركة يا جامع .. وأعدت السلك المخلوع وأدرت العربة فدارت ، وقبل أن أتحرك بها فوجئت به يفتح الباب ويرتمى على الكرسى .

يعنى دارت .. المحكمة بسرعة وبعدها نتفاهم .

أغاظنى طريقته فى الكلام ، قلت أتوكل على الله وأرميه من العربة ، بعد أن أعطيه درساً فى الأخلاق ، ولكنى رجعت وقلت الطيب أحسن .

بعدها بخطوات فردة الكاوتش نامت .

حكمتك يارب ، الكاوتش جديد يا خلق ..

ونزلت لكى أرفع العربة ، فنزل ورائى هائجا زاعقا .. حاولت أن أخذه بالذوق والتفاهم ، ولكنه أطال لسانه وقل أدبه .

المهم ، شتمته وأمسكت فى خناقه لأضربه ، ولكن أولاد الحلال باعدوا بيننا ، وهو يزعق بكل صوته .

أتركونى ، أنتم لا تعرفون من أنا ، والله والله لأجعله يسف من تراب الأرض .

وفوجئت به يهجم علىّ .. الشنطة ، أين الشنطة يالص ؟

وبعدها رحنا القسم يا سيد زكريا ؟

وهناك أهين خالك آخر إهانه ،، إتضح أن الرجل وكيل نيابة ، وأن الشنطة كان بها أوراق هامة .

وطبعا كل من فى القسم أراد أن يجامل وكيل النيابة على حسابى س و ج ، ومحضر ، وخذه يا شاويش تفاهم معه على جنب لكى يقر ويعترف .. وعنها ، ثلاثة أيام في الحجز شربت فيهم المر ، وفي النهاية خرجت بقضية .

رحت أبحث عن العربة فى حوش القسم ، فوجدتها كوم خرده ، عليه نمرة عربتى .

ووضع أنور كفيه على وجهه لكى يدارى دموعه .

أخذه زكريا تحت ذراعه ، وراح يطيب خاطره ، ويحاول أن يبعده عن الموضوع .. لكن أنور أصر على أن يكمل كلامه .

- آه لو تعرف كيف كان حالى يومها .

فلولا لطف الله وحده لإرتكبت جنايه ، وفعلا كدت أدلق البنزين على بقايا العربة وأشعل فيها النار .

بعدها ، رأيت المأمور يخرج من مكتبه ومعه الحاج قطب ، كان يوصله الى المرسيدس الحمراء ، الراكنة بجانب عربتى ، وأحسست أنهما صديقان ، فقلت فرصة ولكى أريهما حالة العربة ، ولكى أقع فى عرض الحاج قطب لعله يتشفع لى عند المأمور .

وفعلا دخلت عليهما فى جرأة ، العمر واحد والرب واحد ، قلت كل ما عندى وإرتحت .

دعك أنور عقب سيجارته فى الطفاية ، وهو يتنهد بكل صدره .

- ربك كريم ، الحاج قطب أنقذنى من يدى المأمور ، وأخذنى معه فى المرسيدس الى بيته .. كانت أول مرة أرى فيها الرجل ، ومع ذلك لا استطيع أن أصف لك ، كيف أن كلامه أراحنى كل الراحة ، وجعلنى أحط دماغى وأروح فى سابع نومة .

خالك كان تعبانا يا زكريا ، كان ميتا من التعب .

- ٢٦ -

رن جرس التليفون ، وفوجئ بركات عبد الهادى بصوت اللواء منصور عبد الجبار يداعبه متردداً ، ثم يدعوه فى تشدد أن يتفضل عنده ليشربا القهوة معا .... ثارت عفاف وهاجت ملامحها وهي تعترض طريقه ، هددت بترك البيت إن هو ذهب هناك ، وحط يده فى يد هذا البنى آدم القذر ..

وعلى الرغم من عدم ارتياح بركات عبد الهادى لهذه الدعوة ، وارتيابه فى طريقة كلام الرجل ، إلا أنه حاول أن يقنع عفاف بوجهة نظره ، فلا بد أن يأخذ ويعطي مع هذا القذر ، لكى يعرف ماذا يضمر لهم ، فقد إتضح أن أسلوب الإستعانة بالشرطة لا يجدى مع هذا الصنف ، لا يمكن أن يقيهم شره .. فلماذا لا يجرب أسلوباً أخر ، لعله يريحهم من إستفزازه وتربصه بهم .

لم يعجب عفاف الكلام ، وتمادت فى ثورتها ، وإتهمت زوجها بالجبن .. فمعنى أنه يذهب إليه صاغراً ، أنه خائف منه ، أنه يذل كرامته ويتمسح به ، وطبعاً سينتهز هذا النذل الفرصة ليركبهم ويهز رجليه .

كان منصور عبد الجبار جالساً بالقرب من الكلب ، يتأمله فى إعجاب وهو يلتهم قطع اللحم المسلوق ، يجرش العظام فى نهم يزوم .

تردد بركات عبد الهادى عند باب الحديقة ، وفكر فى الرجوع .. إلتقطته عيون منصور عبد الجبار ولم تفلته ، ثم سحبته الى الداخل مسلوب الإرادة .

- لا تقترب من كلب يأكل .. وإلا .

ولوح منصور فى وجه بركات بأصبعه محذراً ، ثم ضحك فى إستخفاف .

جلس الرجلان عند حوض الزهور .

وبدت بقايا شعاعات الشمس تنحسر عن أطراف الأشجار .

وراح العسكرى الخدمة يغسل" البيجو" فى همة ملحوظة ويرشها بالخرطوم .

- قهوتك زيادة .. صح ؟

هز بركات رأسه مستجيبا ، وهو يبتلع دهشته قبل أن تفاجئ الوجه حتى القهوة عرف أننى أشربها زيادة .

وماذا عرف أيضاً .

لا بد أنه عرف شئ عنا ، وضعنا تحت المراقبة المكثفة وتوصل الى كل المعلومات والأسرار التى تكشفنا أمامه .

راحت ساق منصور عبد الجبار تهتز على الأخرى ، بينما يطلب القهوة بجهاز لاسلكى كان موضوعا على الترابيزة .

جاءت الخادمة ووضعت أمامهما صينية القهوة فى حذر شديد ، ثم إستدارت ورجعت مسرعة نظر منصور الى الصينية ، ثم إلتقط حصاه وألقاها على ظهرها فتوقفت وتطلعت اليه أشار لها أن تحضر كوب ماء أخر ، فهزت رأسها فاهمة .

- أصلها خرساء ، وإذا أعطتك ظهرها ..

وقطع كلامه بضحكة ساخرة ، بينما يخبط كفا على كف . !

ثم التقط سيجارة من العلبة المارلبورو وأشعلها .

- أعرف أنك لا تدخن ... صح ؟

سرت الدهشة الى ملامح بركات وغمرتها ، سبقته قبل أن يتمكن منها فتضاحك ، لعله يستر شيئاً منها .

- يبدو أنك تعرف كل شئ ي منصور بك .

تطوح منصور بكرسيه الى الخلف وهو يضحك منسجما

- حاشا لله أنا أعرف ما أريد فقط .

ثم راح يتكلم فى تواضع ، وأنه رجل ودود ، مجامل ، يجب أن يسأل عن جيرانه ، وأن يتقصى أخبارهم ، متمنيا أن يقف الى جوارهم عند المحنة ، وأن يشاركهم سعادتهم عند الفرحة .. ولذلك فقد أخذ على خاطره من صديقه بركات ، لإن لم يشركه فى فرحته بعمرو ابنه الذى حصل على بكالوريوس الهندسة بإمتياز ، ولم يعطه فرصة القيام بالواجب نحوهم .

تاه الكلام من بركات ، أحس أن الرجل يورطه فى الغلط ليتسلى عليه .. فكر أن يعتذر ، بسوء التفاهم الذى حدث ، بخصوص موضوع الكلب ، ومحضر البوليس بأنه كان سحابة صيف ، عكرت الجو قليلاً ولكنها لم تصل الى النفوس ، ولم تؤثر فيها .

وقبل أن ينطق بكلمة ، أعفاه منصور بإشارة يده ، وطلب منه أن لا يعتذر ، وأن ينسى كل ما فات ، لأنه نسيه هو بالفعل ، فقلبه الأبيض لا يسمح أبداً لذرة من الشوائب أن تعشش فيه ، مهما كانت صغيرة ومهما كانت حقيرة !

أيقن بركات أن الرجل يقتحم أفكاره فى سهولة ، بل ويلمح له بهذه المقدرة الفذة فى مكر ناعم ، راود نفسه وهو متوجس .. كيف يتوقف حتى عن التفكير أمام هذا الداهية ؟ وفوجئ بصرخة حادة تقتحم أذنيه فإنتبه مفزوعاً .

وإحتارت نظرته المستطلعة ، بين المبنى ووجه منصور عبد الجبار ،

أربكه أن الرجل لم يبد أى إهتمام وكأنه لم يسمع شيئاً ، كما أن عسكرى الخدمة ظل منهمكا فى تلميع العربة ، ولم يتوقف ، ولم يلتفت الى مصدر الصوت .

فكر بركات أن ينحسب ، وهمّ فعلا بالقيام ، ولكن الصوت عاد يقتحم أذنيه ، شهقات متلاحقة ، وأنين مكتوم ينخفض بالتدريج ويذوب .. تساءل فى تخوف

- عندكم . ؟

هز منصور رأس مجيبا . سرح لحظات ثم مال على بركات وهمس فى تأثر ، أن حالة البنت تقلقه .!

وسكت فى ترقب حتى سأله بركات السؤال المتوقع .

- خير إن شاء الله ، مالها .؟

أشعل منصور سيجارة ، وقد بدا مهموما وهو يتكلم .. قال إنه عاش حياته الوظيفية مغمورا فى ضباب الشك ، والحذر ، والتربص . يفتقد الصديق المخلص ، الإنسان الذى يحس بقربه ودفئه وأصالة معدنه ، ويرتاح إليه ، ويطلعه على أسراره وهمومه الشخصية ، بدون حرج ، أو تردد .

ثم فاجأ بركات بسؤال مباغت .

- أتظن حقا آن منصور عبد الجبار احتاج لخرطوم مياه من عندك .؟ أو إن كلبه كان يجرؤ على عبور السور إليكم بدون إذنه .؟

إنزعج بركات .. تساءل وهو يتململ فى كرسيه .

- ماذا تقصد يامنصور بك .؟

- اقصد أننى اتحرش بك .. لقد تأكدت أنك الرجل الذى أبحث عنه ، الإنسان الذى اطمئن إليه ، واستطيع أن اتخذه صديقا حقيقيا لنفسى ، وعندى أن الغاية تبرر الوسيلة .!

تبلد تفكير بركات أمام هذا المنطق العجيب .. وراح الشك ينسج خيوطا متقاطعة فى فى رأسه ويتعبه .!

ماذا يريد الرجل منه بالضبط . ؟

وهل هو يحتاج فعلا إلى صديق حقيقى كما يدعى ، ولماذا الآن بالذات ، وبعد كل هذا العمر ، وهذا المنصب .؟

ثم لماذا إختاره هو لينال شرف صداقته ، ألم يجد إنسانا مناسبا غيره يصلح لهذه المهمة الخاصة .؟

هزه منصور بيده الكبيرة .

– أين كنت ألا يعجبك كلامى .؟

تساءل بركات مستخفا ، ألم يجد سوى طريقة التحرش هذه لتكون رسول المودة بينهما .؟

فأسرع منصور مؤكدا فى ثقة ، أنها أضمن وأسرع الطرق لبلوغ الهدف ، فما محبة إلا بعد عداوة .. ثم إنه لايعرف غير هذه الطريقة .

وربت على يده وهو يطمئنه أن الأمور هكذا تسير على مايرام .

ثم رجع إلى موضوع البنت هبة ، إبنته الوحيدة .. وراح يتكلم فى إنفعال ، وكيف أنه أحاطها بكل الحرص والرعاية ، وضعها بين عينه ويده ، وليحميها من غابة البشر .. وبعدها إكتشف مؤخرا أن شابا مستهترا كان يلاحقها ، كان يستغفله وينصب شباكه من حولها ، حتى أوقعها ولوث سمعته .!

ثم القى بنظرة مستطلعة إلى بركات ، وكانت الدهشة تنسحب على وجهه ، وتربك أى تعليق يهم به لسانه .

أمسكه منصور وهزه ليستحثه على الكلام .. طلب منه المشورة فى هذه الواقعة الخطيرة ، بصفته صديقه وكاتم اسراره .

وقبل أن ينتظر إجابته ، دق الترابيزة فى عنف وهو يقسم أنه سيتصرف بطريقته الخاصة مع الشاب ، وأهله ، وكل من يتشدد له .!

حاول بركات أن يلطف الجو ، وأن ينسلخ فى هدوء من إبداء أية مشورة لايعرف عاقبتها .. فلم يكن يتخيل ، أن يجرؤ أحد على مجرد الإقتراب من إبنة هذا الرجل .!

لذا فقد لاذ بالنصيحة المجردة ، وأخذ يوصى منصور بالتروى ، ومعالجة مثل هذه الأمور بالحكمة واللين ، لعله يصل إلى نتيجة أفضل .

ناوله منصور كوب الليمون وهو يقول في غيظ .

- لا أعرف كيف إستطاع أن يؤثر عليها ، أن يأكل عقلها ويسلبها إرادتها بهذه السهولة . ؟

ثم التقط حصاة والقاها على ظهر الخادمة ، فتوقفت مستطلعة .

أشار لها بيديه ، فهزت رأسها واتجهت إلى العسكرى الخدمة . بدت عيناه تلتمعان فى سعادة وهو يتمطى بصدره العريض ، بينمايومىء إلى هناك ، حيث الرجل والمرأة يتفاهمان .

- كانت ترغبه فزوجته لها .. مارأيك .

وراح يرتشف من كوب الليمون بصوت خشن .. ثم مال على بركات ، وقال فى مرارة مرسومة ، وهو يعود لموضوع إبنته فجأة .

- المصيبة أنه جارى ، الحيط فى الحيط ، وأهله ناس طيبون .. آه لولا ذلك ماترددت لحظة .

دار الكلام بسرعة فى رأس بركات فإنتبه متوجسا ، وتعلقت الكوب فى يده .. الحيط فى الحيط .!

وبدت الابتسامة الصفراء تنقر من الضوء الباهت ، المتساقط على وجه منصور من العامود المقابل .. قال وهو يدير اصبعه على حافة الكوب .

- نعم ابنك عمرو ، للأسف كان ينط السور ، ليلتقى بالبنت هنا ، فى حديقتى تجمد بركات فى مكانه ، وتعلقت عيناه بوجه منصور فأمسكهما بكل الحرص .

قال وهو يتلاعب بملامحه بطريقة غريبة .

- عندى الشهود جاهزون ، والصور أيضا .. هه مارأيك ياصديقى .!؟

- ٢٧ -

كان الاجتماع فى مكتب الحاج ، لوضع اللمسات الأخيرة فى خطة الاستيلاء على قطعة أرض الأجرودى ، بمدينة نصر .

نكس الحاج قطب رأسه ، وقال فى أسى ، إنه مضطر لأن يفعل ماسيفعل ، وبهذه الطريقة ، لأنه تعب كثيرا ، وبذل كل الجهد ، لكى يحصل على قطعة الأرض المناسبة لإقامة مشروعه ، القومى ، الخيرى .. ولكنه فشل ، إما بسبب الارتفاع الفاحش فى سعر الأرض وجشع ملاك وسماسرة أهل الحى ، وإما بسبب الروتين والتعقيدات التى يضعها المسئولون والحاقدون فى طريق المشروع .

ثم راح يحذر الرجال ويشدد عليهم ، أن ينتبهوا جيدا ، وأن يتخذوا كافة الاحتياطات ويتجنبوا كافة الثغرات ، مهما كانت صغيرة ، أو تافهة .. لكى لايقعوا جميعا فى المحذور .!

وسكت الحاج لحظة ، ثم تطلع إلى الوجوه فى ارتياح وواصل كلامه .. قال إنه بعد أن يتم المشروع ، وتظهر ثماره ، ويغمر أهل الحى بخيراته ، عند ذلك سيعرف كيف يواجه المسئولين ، ويضطرهم إلى الوقوف بجانبه ومساندته .

تبادل الرجال نظرات ممتيعة ، تلمح لعدم إكتراثهم بهذه المقدمة الروتينية الساذجة ، وأنهم يبتلعون تبريرات الحاج قطب بمزاجهم . ومادامت هذه الرتوش لاتؤثر على الحسابات المادية البحتة ، فلابأس أن يجمل كل منهم دوره فى اللعبة على هواه .!

لذلك ، ومن أجل إحكام الحبكة الدرامية ، فقد بادروا بالتأمين على كلام الرجل ،

وباركوا تفانيه المخلص من أجل الصالح العام ، وعاهدوه على الوقوف بجانبه ، قلبا وقالبا .!

فتح فهمي عرفات أمين عام السجل المدنى بالشهر العقارى حقيقة ، وأخرج بعض الأوراق .. قال وهو يتعاجب بنفسه ، أنه رجل الأفعال ، رجل المهام المستحيلة ، شعاره أن يعمل فى صمت ، وأن ينهى المواضيع فى سرعة واتقان . لذلك فقد أنجز المفيد ، وماعلى السادة الأخوة إلاأن يمدوا أياديهم إلى أنجر الفته .!

تداخل رمزى القرموطى رئيس الحى فى الكلام ليؤكد مكانته فى إنجاح اللعبه ، ودوره الفعال فى موقعه منها .. وعليه فقد طلب من فهمي عرفات أن يشرح له خلفية الموضوع بالتفصيل .. من هو المالك الحقيقى الأرض الأجرودى ، ومتى أعلن أن هذه الأرض معروضة للبيع .؟

ابتسم فهمي عرفات فى استخفاف ، ثم رفع يده بالعقد ، وصرح بأن أرض الأجرودى قد آلت ملكيتها إلى السيدة إنشراح إبراهيم الأنصارى ، زوجة الحاج قطب ، بموجب هذا العقد الرسمى ، الموثق بالشهر العقارى ، ومنه عشر سنوات تقريبا . أما عن خلفية الموضوع ، وبالتفصيل ، فسيدلى بها فيما بعد .

ثم وضع العقد أمامهم وتراخى فى كرسيه .

انتبهت عيون الرجال ، وهم يغرقون فى صمت مفاجىء ، وتزاحمت فى رءوسهم كل الاحتمالات ، بناء على الوضع الراهن .!

أخذ العقد عادل المحلاوى مسئول تراخيص المبانى ، وفحصه بعين الخبير .. ثم هز رأسه مقتنعا .. وفعل مثله رمزى القرموطى ، وهو يختلس نظرات ماكرة إلى وجه فهمي عرفات .

فى اللحظة الحاسمة ترك الحاج قطب مسجته ، ووضع قبضته على العقد ، ثم قال فى تأن

- نصيب كل منكم مليون جنيه .. يعنى أرنب بالتمام والكمال .. وطبعا شهادة تقدير من المسئولين .. بمجرد وقوف المشروع على رجليه .

ثم سكت قليلا ليستمع بوقع عرضه عليهم .!

هذا التوجس فى صدور الرجال فإنتشت ، واطمأن الصخب فى رءوسهم فإعتدل المزاج .

مليون جنيه لكل واحد .!

وعندما باغتهم الحاج بمد يده .. هه نقول على بركة الله.؟

مدوا أياديهم بلا تردد .. على بركة الله .

وتماسكت الأيدى فى حماس .

أخرج الحاج قطب ثلاث حقائب من تحت مكتبه ، ووضعهم فوقه ، وهو يقول

- لكل واحد شنطة .. نصف مليون بصفة مبدئية .. والنصف الآخر فى الطريق بعون الله .

إمتدت الأيدى الشرهة واستحوذت على المال ، وضمته فى لهفة إلى [illegible]

بعدها تحررت الألسن من كل المحاذير ، وراحت تستمرىء المداهنة الرخيصة بين يدى ولى النعمة ، الحاج قطب .!

إقترح رمزى القرموطى إرسال البلدوزرات وعربات النقل فى الغد ، لهدم أسوار الأرض ، وتشوين مواد البناء بداخلها .

وقال عادل المحلاوى فى حماس ، إنه سيتخذ فورا إجراءات إستخراج رخصة المبانى .

دق جرس التليفون .. فإنشرح صدر الحاج قطب ، عندما عرف من المأ[illegible] ياسر الشاهد أن الخطة تمت بنجاح ، وأنهم قبضوا على أبو العيون متلبسا ، وتم مصادرة شقته ببرج التوحيد والنور ، وإغلاقها بالشمع الأحمر .!

تعمد الحاج أن يرفع صوته ، وأن يحاصر رد الفعل على الوجوه ، بينما يهنئ المأمورعلى كفاءته الفذة ، وحكمته ، وتفانيه فى عمله .. وأيضا على ترقيته المتوقعة فورا بمشيئة الرحمن .!

- ٢٨ -

سمع زكريا صوت خاله أنور ينادى فى بئر السلم فأسرع إليه . وجده يدور حول عربة تاكسى جديدة ، وعيناه تبوحان بفرح طفولى .. وعندما رآه أخذه فى أحضانه وقال وهو متأثر .

ربنا فرجها من أوسع أبوابه ، خالك رجعت له الحياة يازكريا ، تعال ، أنظر ، عربتى الجديدة .

ثم أخذه من يده وظل يدور به حول العربة ، مستعرضا شكلها ومميزاتها فى زهو .

ثم أدخله فيها ليجرب مقاعدها المريحة .

وبعد أن صعدا إلى الشقة ، حكى أنور الموضوع بمزاج رائق . وفوجىء به زكريا يعود إلى سجيته المرحة التى افتقدها منذ أن جاءه .. قال أنور وهو يتربع على الكنبة ويتلذذ بكوب الشاى .

- نصحنى الحاج قطب أن ابيع العربة القديمة ، وأدفع ثمنها مقدم عربة جديدة من بنك ناصر . الرجل الطيب ابن الأصول هو الذى ضمنى بنفسه ، وهو الذى كلم المسئولين فى البنك ، فمشت الإجراءات آخر حلاوة ، وبقدرة قادر استلمت العربة فى يومين إثنين ، أتصدق يامؤمن هذا الكلام .!

لم يهن على زكريا أن يحرم خاله من فرحته بالعربة الجديدة ، وكان قد عزم على أن يفاتحه فى موضوع الحاج قطب ، يحذره من خطورة الاقتراب الشديد منه ، يوصيه بأن ينتبه جيدا لمناورات الرجل ، وألاعيبه التى سمع عنها .. لذلك فقد آثر أن ينتهز فرصة إعتدال مزاجه ، ليجره فى الكلام ، ويعرف منه موضوع الجاز الذى يشربه ، لعله يقنعه بالكف عن هذه العادة المضرة .!

وبالفعل لانت الأمور .. وراح أنور يتكلم .

أول ليلة قضاها في التخشيبة كانت ليلة قطران .. المكان المقرف ، والرائحة النتنة ، ووجوه المتشردين وأصحاب السوابق . كل ذلك جعله ينكمش في الركن مرعوبا ، أول مرة في حياته يحس بأن جيفة فظيعة تملأ جوفه ، ولايستطيع أن يلفظها ، من أعلى ، أو من أسفل .!

جاء رجل يشبه أهل الكهف وجلس بجانبه .. راح يطيب خاطره ويصبره على بلواه .. قال له أنا عاكف ألا تعرفني .؟ عاكف آكل النار ياجدع . أنظر إلى وجهي وأنت تعرفني .. أخذوني مرة في التليفزيون لأعرض لعبتي في برنامج حكاوى القهاوى ، وبعد أن لعبت بالنار و وأكلت عشر شعلات أمام الكاميرا ، صفقوا لي وقالوا كلاما كبيرا .. أنت معجزة زمانك ، أنت تراث الأجيال و أنت مصيبة من مصائب العصر .. إيه .. وثاني يوم يامبارك ، ثاني يوم بالضبط ، أخذوني في البوكس . قلت جبر يكون بوكس التليفزيون وتفرج بقرشين .!

وعنها يامبارك لقيتهم انزلوني هنا .

إيه الحكاية ياخلق .؟

قالوا عرض على النيابة ، أنت متهرب من ضريبة المبيعات .!

ياناس أنا لا أبيع ولا أشترى .!

قالوا اخطرناك مليون مرة ، بأوراق رسمية على محل سكنك .

يابهوات أنا القط رزقي من الشوارع ، وسكني ضاع من زمان .!

قالوا الأوراق الرسمية تثبت أن مهنتك فنان كبير ، وأنك تعرض فنك في أجهزة الإعلام . أتنكر أنك تظهر في التليفزيون .!

وعنها .. القوني هنا يامبارك حتى يظهر لي صاحب .!

ثم سكت عاكف وبان عليه الألم ، فسكب بعض قطرات الجاز في كوزالماء وشرب ، وتجشأ ، ثم ناول الكوز لأنور ، ونصحه أن يشرب الجاز ليطهر جوفه من جو التخشيبة وأهلها ، وإلاخرج منها محمولا على الأعناق .!

دق الباب ففوجيء زكريا بدسوق أبو عيطة وزوجته أم ياسر يدخلان ، وكانت آثار السعادة تبدو واضحة على وجهيهما .

وعندما دخلا فى الموضوع ، إتضح أن المرأة قد تمكنت أخيرا من إقناع زوجها بالذهاب إلى الحاج قطب ، ليحل له مشكلته . وفعلا ذهب ، وقعد مع الرجل ، وحكى له كل شيء .. فما كان من الأمير إبن الأصول ، إلا أن رفع سماعة التليفون وكلم المسئولين ، وثانى يوم كان دسوقي أبو عيطة منقولا ، معززا مكرما ، إلى وظيفته الأصلية ، صرافا لخزينة الشركة .

ولذلك .. فإنهما جاءا إلى أنور ليشكراه ، وليعترفا له بجميله الذى لاينسى ، على أنه دلهما على طريق الحاج قطب .!

على الرغم من أن بركات عبد الهادى كان من سلامة أخلاق ابنه عمرو ، وأنه لايمكن أن يفعل مااتهمه به منصور عبد الجبار ، إلا أنه أراد أن يستشف بنفسه وقع تلك التهمة عليه ، لعل هناك شيئا لايعرفه ، خاصة وأن الرجل يدعى أنه يمتلك الشهود والإثبات التى تدين ولده .!

وفعلا دخل بركات فى حوار طويل مع عمرو ، وتأكد له براءته من هذه التهمة .

قال عمرو أنه لايعرف أحدا على الاطلاق من أبناء منصور عبد الجبار ، ولايعرف حتى إن كانوا صبيانا أم بناتا ، وكل ماهناك أن هذا المنصور قابله مرة واحدة فى الشارع ، واختلق معه كلاما عاديا ثم وعده بوظيفة عظيمة بمجرد حصوله على البكالوريوس .

وهاجت عفاف عندما سمعت بالخبر ، وأقسمت أن تذهب لزوج خالتها عبد العليم خضر ، ليتصل بقريبه النائب العام ، فيتصرف مع هذا البنى آدم الخسيس .!

تضايق بركات وركبه الهم .. فلم يكن يستبعد أن يلفق له الرجل تهمة محكمة ليوقعه ويتشفى فيه . ممكن يفعلها ، أمر عادى ، يتلاءم مع تركيبته المستفزة ، وتفكيره الشيطانى .!

ولكن الشىء الذى أصبح يثقل صدر بركات ، ويربك تفكيره ، هو عجزه عن معرفة مايريده الرجل منه ، ولماذا يصر على مطاردته بهذه الطريقة المثيرة للأعصاب .؟

ذهب بركات إلى الحلاق ، وفى نيته أن يتلمس عنه بعض الأخبار ، التى قد تفيده ، وتضىء له شيئا من الطريق الوعر الذى جره إليه هذا الثعلب منصور عبد الجبار .!

وفعلا كان الحلاق كريما كل الكرم ، فقد بادر طواعية إلى الصندوق المقصود ، ووضعه بين يدى بركات ، صندوق منصور عبد الجبار ، الذى يضم أسراره ، تلك التى جمعها فى حرص من أفواه زبائنه الفضوليين ، ولايبوح بشىء منها لغير الأحباء .

ومع طرقعات المقص المتواترة ، وإنسياب الموس على الجلد الناعم ، عرف بركات سر البنت هبة .!

وأصل الحكاية .. أن منصور عبد الجبار كان فى بدايته الوظيفية ، متزوجا من إمرأة ثرية من أعيان الصعيد ، وهذه المرأة أنجبت له بنتا وحيدة ، بعد الزواج بأربع سنوات ، ثم اختفت فى ظروف غامضة ، وأثارت من الإشاعات ماهو أكثر غموضا حول هذا الاختفاء .

ولكن كان أقربها إلى الحقيقة ، تلك التى ظلت تشير بأصبع الاتهام إلى الزوج منصور .!

وأخيرا حفظت القضية لعدم ثبوت الجريمة ، واستحوذ منصور وابنته هبة على كل ممتلكات الزوجة المختفية .!

بعد ذلك انتقل منصور إلى القاهرة ، وتزوج ابنة رجل معروف ، يحتل مقعداً خطيراً فى مركز السلطة . وعن طريق هذا النسب المشرف ، الفعال ، تمكن من أن يستغل إمكانياته وموهبته الفذة ، فى أن يتسلق بسرعة البرق إلى الموقع المرموق .!

وتربت البنت هبة بين شقى الرحى ، بين أب مسعور بأطماعه ، جاف من عاطفة الأبوة ، ناسى محنة بنته الوحيدة ، وزوجة أب قاسية بطبعها . وزادها عدم القدرة على الإنجاب قسوة وحقدا على البنت ، لدرجة أنها تركت الفرصة لأحد كلاب منصور الشرسة ، لكى يتحرش بالبنت ، ويهاجمها فى حجرتها المغلقة ، فكان أن أصيبت بمرض الصرع ، عض على رأسها ، وامتص عودها ، وحاصرها فى وحدة مضنية ، ليهاجمها فى نوبات هياج مرعبة ، ويفترسها بين حين وآخر .!

وعندما أفاق أبوها أخيرا ، وتحركت فى صدره بقايا من نوازع الرحمة ، حاول أن يعالج البنت ، ينقذ مايمكن إنقاذه منها . !

ولكن كان الوقت قد فات ، فلم يأت العلاج بنتيجة ملموسة .

بدأ بركات يستوعب الموقف .. وينكشف حقيقة الصرخة التى سمعها فى بيت منصور عبد الجبار . وفى نفس الوقت يتأكد من براءة ولده . فالبنت مريضة ، منعزلة ،

لاتتجاوب مع دنيا الناس ، ولادنيا العواطف .. وبالتالى فالرجل منصور كاذب كل الكذب فيما إدعاه ، وفيما يحاول أن يلصقه بعمرو . !

إذن لماذا يحاصرهم الرجل بهذه الطريقة الحقيرة . ؟

لماذا يفترى على الولد ، ويدعى أنه يمتلك أدلة إدانته ، والإيقاع به . ؟

أتراه يمكر ويدبر لكى يزوج البنت للولد . ؟

هل يسوقنا إلى مصيدة الأمر الواقع ليتصرف فينا على هواه . ؟

ممكن يفعلها ، فهو رجل فظيع ، لايتورع عن أخس الأساليب ليصل إلى هدفه ، وليستحوذ على مصلحته .

ومصلحته الآن هى أن يزوج البنت ، يتخلص منها بطريقة شرعية ، تخرس ألسنة اللائمين ، وتخدر صحوة ضميره المريض . ؟

إطمأن الحاج قطب وإنشرح عندما عرف من الطبيب ، الذى يداوم على مباشرة زوجته يوميا ، أن حالة الحمل مستقرة ، وأن الجنين ينمو بشكل طبيعى ، وبالنسبة لأشهر الحمل الأولى .. ولكنه عاد يتوجس عندما أوصاه الطبيب بمراعاة الأم إنشراح ، وبذل مزيد من الاهتمام بصحتها ، لأنه يلاحظ توترا يشوب حالتها النفسية ، مما قد يؤثر على صحة الجنين .

ناوله الحاج قطب مظروفا سخيا ، وطلب منه أن يستعين بمن يشاء من الأطباء المتخصصين ويأتى بهم إلى هنا إلى البيت .

ثم بادر إلى إنشراح ، يلاطفها ويتقرب إليها ، يجس نبضها فى مداهنة ، لعله يعرف مايعكر صفوها . !

ولكنه فوجىء بها تبكى فى مرارة ، وتستحلفه أن يتركها لحالها .. أما من ناحية الولد ، فقد وعدته أن تأتى به ، وستفى بوعدها .

لم يرحه كلامها وأحس أنها تخفى شيئا يضايقها ، فاستهداها بالله ، وعاد يحاول معها فى ملاينة وتودد ، يسترضيها بسخاء وصبر .. فإن كان الأمر يتعلق بها ، فهو رهن إشارتها فيما تطلب ، ومهما تطلب . وإن كان يتعلق بالبنتين ، فهو على إستعداد أن يعطيهما مايكفل لهما حياة طيبة طوال عمرهما . !

ولأنه كان يفهم جيدا طبيعة إنشراح ، وأنها لا تتحمل ضغطه الملح عليها ، ولاتصمد أمام إصراره ومناوراته ، فقد ظل يحاورها ، ويعدها ، وهو فى داخله يؤمن سلامة الولد ، ويتمنى أن يحصل عليه فى أقرب وقت ، وبأغلى تضحية . !

وأخيرا كان ما أراد . فقد عجزت إنشراح عن مقاومة ضغطه ، خافت إن تمادت فى موقفها ، يهيج ويقلب الدنيا عليها وعلى إبنتيها ، كما فعل من قبل . !

لذلك تكلمت ، بينما وجهها يرتعد من الإنفعال .

إنها لم تعد تريد شيئا لنفسها ، فقد ارتضت أن تتزوجه عن طيب خاطر ، رغم إعتراض البنتين ، ورغم علمها أنه تزوج الكثيرات غيرها ، وأهم من كل ذلك ، رغم تأكدها أنه أرادها من أجل الولد . !

وبكت إنشراح وهى تعترف بمدى إخلاصها له ، وتفانيها فى إرضائه وراحته منذ أن دخلت بيته ، وعاشت تحت جناحه ، حتى أنها ظلت تدعو له فى صلاتها ، أن يحقق الله أمله ، ويهبه من يحمل اسمه ، ويمد له فى شجرته .

ولكن الأمر الذى يؤرقها ، ويجعلها تأخذ على خاطرها منه ، هو إهماله لقضية الأسيوطى ، والد البنتين ، وكان أن وعدها بطلب إعادة المحاكمة ، وتبرئة الرجل . !

ثم اشتد بكاؤها وهى تبوح له ، أنها تسعى لذلك من أجل مستقبل ابنتين ،

لأن وصمة العار تظل تلاحقهما وتهددهما مالم تثبت براءة أبيهما . !

ولم يتركها القطب لتكمل .. فقد نفرت ملامحه فجأة ، وتمددت هامته فى إستعلاء ، وراح يزعق ويدق بيده .

فكيف تجرؤ على التفكير فى رجل آخروهى على ذمته ؟

ألاتراعى كرامته وشرفه ؟

أهذا كلام زوجه عاقلة ، مخلصة كما تدعى . !

ثم إن الأسيوطى لبسته التهمة ، ودخل السجن من مدة ، فماذا يفعل لها . ؟

– إسمعى يا إنشراح ، الأولى والأخيره أسمعك تفتحين هذا الموضوع ، والإفستندمين كل الندم ، والولد انت مسئولة عنه من الآن . !

ثم خرج وأغلق الباب فى عنف .

لم تعرف إنشراح لماذا يثور هكذا ويكسر بخاطرها . ؟

ثم ما الذى فعله الأسيوطى ، فجعله لايطيق سيرته ، أو حتى سماع إسمه . ؟

جاءت حسنيه وإرتمت على أمها وهى غاضبة . شكت من أختها فايزه ، لأنها تخرج كثيرا مع عباس ولاتأخذها معها .

إنتبهت إنشراح مفزوعة ، وأمسكت البنت وهزتها .. ماذا تقولين . ؟

- ٣١ -

الدنيا كلها هنا ، فى عينيها ، تناديه وتفتح ذراعيها ، لتأخذه ، لتضمه وتحنو عليه .. وهو متشوق ، أن يضع رأسه ويرتاح ، بعدطول المشوار ، وطول المعاناة . !

أرخت فايزة عينيها وإبتسمت ، لم تستطع أن تتحكم فى عواطفها ، وأن تقاوم دغدغة النظرة المتعلقة بها ، المبتهلة فى محراب صدرها .. وأحست بكل مناوراتها تنهزم ، وتتداعى عن رأسها ، وتودعه فى طواعية .. فيصفى ، ويستجيب للهمس الناعم ، المنساب من عينى عباس .

وواصل عباس كلامه

كان يريد أن يبوح بكل ماعنده ، يفرغ محتويات صدره بين يديها ، فتختار منها مايرضيها ، وتلقى بما تعافها . !

قال إنه بعد موت أبيه ، مرضت أمه وطال رقادها .. فعز عليهم القرش وإشتدت بهم الحاجة .. ولم يعد أمامه إلا أن يترك مدرسته ويعمل أجيرا فى قريته ، ليطعم أمه وأخته .

ولما ماتت الأم ، وسافرت الأخت مع زوجها ، لم يعد له فى القرية مايبكى عليه ، فتطوع فى قوات الأمن المركزى ، ليبتعد عن المكان ، وأهله ، وذكرياته .!

ويوم أن جاء إلى القاهرة ، لم يحمل إلاصرته الوحيدة ، المملوءة بآلامه ، وأحزانه ، وغربته .!

فألقاها مختار فى جب الطاعة العمياء ، التى آل على نفسه أن يحتمى بجوفها ، من كل مايتربص به من عواقب لايعرفها .

المهم فقد ظل فى الخدمة ثلاث سنوات ، مثالا للعسكرى المطيع لرؤسائه ، الخاضع للأوامر الميرى ينفذها كما أنزلت ، بلاتفكير ، وبلاوعى .

وجاء يوم ، وجد نفسه يفيق فجأة على شئ رهيب ، أفزعه ، وملأ دماغه غيظا وإستنكارا . !

فلماذا يزرعونه دائما فى مواجهة الجماهير ، وظهره إلى الموكب الذى يمر بالشارع ، أو إلى الإحتفال الرائع ، أو إلى ماتش الكرة المثير . ؟

لماذا يفرض عليه أن يترصد العيون المتطلعة ، والأكف المصفقة ، والهتافات الصارخة ، ليحرم من متعه الفرجة على موكب الرئيس ، أو على روعة الإحتفال ، أو على حماس تسجيل الجون . ؟

أبدا .. لن يكون بعد اليوم .!

وأحس بلحظة الرفض ، تلفظه خارج الجب ، وتوقد فيه حماس الوعى ، وحتمية إتخاذ القرار .

لابد أن يتفرج على موكب الرئيس ، كما يتفرج عليه كل هؤلاء الخلق .

بل لابد أن يرى الرئيس شخصيا ، ويلوح له بيده ، وليكن بعد ذلك مايكون .!

واستدار .. وبكل الإصرار .

أعطى ظهره للجماهير ، ووجهه إلى موكب الرئيس .

وهب عباس فجأة ، وبدون وعى ، ليمثل لفايزة كيف فعل ذلك . فضحكت فايزة مندهشه ، ثم شدته حتى لايلفت النظر إليهما .

- كانت النسمة الخفيفة تداعب أوراق الشجر ، وترف بشراع الفلوكه الراكنه على حافة الخضرة ، وتشجع رواد الكازينو على المواصلة ، كلا فيما يشتهيه ، ويسعى إليه .. وأخيرا تتسرب إلى صدر فايزة فتريحه ، تلاغيه بصدى الكلمات ودفء المشاعر ، المتهادية من جهة عباس ، فيستكين الصدر فى سعادة ، ويطمئن إلى أن هذا العباس هو الرجل ، وهو المراد ، بكل نقائه ، وكل تلقائيته .

قالت وقد إستهواها سماع صوته ، سماع حكايته .

- هبه .. وبعد أن إستدرت .؟

قال عباس وهو سارح ، أنه لم يعرف كيف سيطر العند والإصرار عليه إلى هذه الدرجة ، ولحظتها أحس بأنه سيقع ميتا ، إن هو تراجع عن موقفه ، أو أن فكر فى عواقب العصيان .!

إستدر يا عسكرى عباس .. ولم يستدر .

أتكسر الأمر يا عسكرى .؟ ولم يستدر ولم يرد .

أنت محبوس ياعسكرى ، سلم نفسك للرقيب حالا .. ولم يتحرك العسكرى من مكانه ، حتى رأى الرئيس بعينيه وأشار له بيده .

تساءلت فايزه فى توجس ، فأجابها عباس بإستهانه ، أنهم حكموا عليه بالطرد من الخدمة ، وبسنه سجن ، قضاها صابرا راضياً .. وعندما خرج ، تعرف على القطب فى مكتب مأمورُ السجن . يومها لم يجد أى مأو يلوذ به ، سوى أن يطاوع هذا الرجل ويذهب معه .!

إنسجم القطب من نفسه وهو يناور رمزى القرموطى بطريقة تناسبه . كان يعرف أن الرجل ليس هينا ، وأنه يزن الكلمة جيدا فى رأسه قبل أن يفلتها لسانه . !

لذلك ضن هو أيضا بالكلام ، وراح يعبث بأوراقه ، ويداعب مسبحته فى تراخ .

وكان كما توقع القطب . فقد أضطر القرموطى أن يتخلى عن تماسكه ، وأن يستجيب لفضوله المتوتر ، الذى شكه القطب فى صدره ، وأخذ يحركه فى مهارة .

تساءل رمزى وهو يبحث عن ثغرة ، يخترق منها خطوط القطب ، ليعرف ماوراءها

- طبعا أنت الذى دبرت كل هذا ياحاج .؟

وتركه القطب لحظات يعايش ملل الترقب ، ثم تطلع إليه فى إستخفاف وقال

- البوليس ياسيد رمزى ، رجل الأمن ، هم الذين يخططون ويدبرون .

هز رمزى رأسه مؤيدا ، وفى نفسه كان يلعن دهاء الرجل ، ويقنع بعدم جدوى المواصلة معه ، فهو لن يخترق خطوطه ، ولن يعرف ماوراءها .

وبعد أن خرج ، كان متأكداً أن القطب لعبها بحرفية شيطانيه ، فقد إستطاع برمية واحدة أن يصيب ثلاث عصفورات فى مقتل .!

أولا .. أوقف حكم إزالة العشرة أدوار المخالفه ، لحين يمكنه التصرف براحته .

ثانيا .. دعم مركزه عند البوليس وأمام السلطة ، بمساعدتهم فى القبض على تاجر مخدرات خطير .!

ثالثا .. وهو الأهم ، أنه أفسد على أحبائه فرصة الحصول على نصف المليون ، وأخرجهم من المولد بلاحمص .!

سمع عباس أطراف الحديث الذى داربين القطب والقرموطى ، بطريق الصدفة ، وفكر فيه ليفهم .

كان كل مايعرفه ، أن أبو العيون وقع فى أيدى البوليس متلبسا ، أما ماعدا ذلك ، فقد كان غريبا عليه ، مثيرا لفضوله .

وعندما إنفرد عباس بالقطب آخر الليل ، وراح يخدر رأسه بمايشتهى أن يسمع ، كلمه عن الجاه والمكانة التى وصل إليها بمجهوده وذكائه العبقرى .

وكلمه عن تزايد محبيه ، الساعين إلى مجلسه ، الحامدين لخيراته وأفضاله .

ثم جنح إلى سيرة ولى العهد المرتقب ، وأخذ يمنى القطب بإمتداد شجرته المباركة ، وإستمرار نموها وطرحها ، بعد أن طال الإنتظار ، وطال التشوق .

وأخيراً دخل فى الموضوع على حذر .

وفهم القطب مايرمى إليه عباس ، إكتشف مناورته فى بدايتها فإبتسم معجبا ،

وأحس بجرأته المشاغبة ، فحن عليه بعينيه مشفقا .

وبدون تردد راح القطب يشرح الخطه التى قام بها .

قال إنه باع لأبو العيون شقة فى الدور الأخير ببرج التوحيد والنور ، ثم دس له المخدرات فى هذه الشقة ، وتحين فرصة تواجده فيها وأبلغ المأمور ياسر الشاهد .

وبذلك وقع أبو العيون الذى كان يضايقه كثيراً ، وتأجل تنفيذ إجراءات الهدم فى البرج ، لأن شقة أبو العيون المحرزة ، أعلى الأدوار المحكوم بإزالتها .

وإستطاع أن يهدى المأمور وجبة شهية على صينية من فضة ، وأخيرا أثبت للقرموطى أنه يعطى ويمنع بمزاجه ، وأن القطب فوق كل المناورات ، وكل الإستغلال الخبيث المدبر .

وعلى الرغم من إعجاب عباس الشديد بعقلية القطب ، إلا أنه كان يشفق على فايزة وأهلها من هذه العقلية ، ويتخوف مما قد يصيبهم بسببها .!

إنطلق البلدوزر الضخم ، يجرى متحمسا بكل قوته ، يكتسح بصوته الهادر المفزع سكون الليل ، ونداء المؤذن لصلاة الفجر ، ومن ورائه طابور عربات النقل تلاحقه وتحتمى به .

بدا أن الهدف كان معروفا ومحددا .. كان أرض الأجرودى .!

وفى لحظات ، وقبل أن ينتبه مخلوق لما يحدث ، كان كل كائن على أرض الأجرودى منهارا ومدكوكا ومستويا بسطح الأرض . السور الخارجى ، والأشجار ، وصهريج المياه ، وحجرة الخفير ، والزير الذى يشرب منه ، واليافطة الكبيرة التى تحمل إسم مالك الأرض . !

وفى لحظات أخرى أفرغت عربات النقل حمولتها . مواد البناء ، والمعدات الخفيفة ، والعمال ، ثم أسرعت لتأتى بالمزيد .. وفورا أقيمت اليافطة الكبيرة ، تحمل إسم المشروع القومى .!

وتحت الأضواء الكاشفه تحول الموقع إلى خلية نحل ، المهندسون يفردون الخرائط ويصدرون التعليمات ، والمساعدون يمدون خطوط الجير ، ويحددون أماكن الحفر ويزرعون خوابير الجس ، ، ويجهزون خراطيم الشفط وخلافه .

وكان الخفير مرعوبا ، يبحث عن أشيائه بين الحطام ، ولايجد من يجيبه .!

- إيه الحكاية ياخلق .. من أنتم يابهوات .. هل قامت القيامة .!؟

وقبل أن تطلع الشمس ، كانت ماكينات الحفر ، والكباشات العملاقة ، تفترس مئات الأطنان من بطن الأرض ، وتلقى بها ، نديه هامدة على الحواف !

أخذ عباس الخفير تحت ذراعه ومشى به ، رأى فيه بعض نفسه فاشفق عليه ، أعطاه في سخاء ونصحه أن يتوكل على الله ، يبتعد بقدر مايستطيع عن هذا المكان . ثم جلس على رأس الموقع ، ليتابع الحركة ، ويتواصل مع الحاج قطب ، من خلال جهاز لاسلكي صغير ، يطمئنه على سير العمل ، ويتلقى تعليماته .

كان عباس قلقا ، يفتقد القدره على التركيز والإنتباه ، يشرد لحظات رغما عنه ، فينقطع عن صخب الجو المسعور ، ويعايش صوت فايزة ، ويتراءى طيفها ، وهي تلاغيه على إستحياء ، تبوح بأسرارها وآلامها ، وتلتمس منه التعاطف والمساندة فتسرى في صدره فرحة ناعمه ، تستثير حماسه ، تؤكد مكانته ، وأهميته ، على الأقل بالنسبة لها ، هى ، حبيبة القلب .! ثم تعود الفرصه فتتخاذل وتنحسر .

هل يستطيع أن يعترف لفايزة بكل ماتريد ، بكل ماتلح عليه وتسعى لمعرفته لايعتقد .. فالحقيقه مرة ، ولن ترتاح إذا عرفتها ، منه أو من غيره .!

بل على العكس ، ستزدادهما وإنفعالا ، وحتما ستوقع نفسها بين أنياب لاترحم .!

هل يكذب عليها ليرضيها ويحل المشكلة .؟

يبعد الشبهة عن الحاج قطب ، ويعلن براءة ذمته من تهمة أبيها والتغرير بأمها .؟

إذن سيبدأ علاقته بالتلون والإحتيال ، مع الإنسانة الوحيدة التى طلع بها من دنيا أنكرته وأتعبته . ثم ستعرف الحقيقة يوما ، وقطعا ستعرفها ، وستكتشف أنه كذب عليها وغرر بها ، تماما مثل الآخرين .!

انتبه عباس على صوت الكباشة الضخمة ، وأنيابها تتكالب وتزمجر لتنهش كتلة كبيرة من جوف الحفرة ، ثم ترتفع بها فى بطولية ، وتلقيها على قمة الكوم ، وتعود مسرعة إلى الحفرة .

وهرول إليه أحد المهندسين ، وقال فى حماس أن كلها ساعة زمن ، وتبدأ الخلاطات عملها لصب حصير الأساس .

فكر أن يطلب الحاج قطب ويطمئنه ، ولكنه فوجئ ببعض العمال يجرون ويصيحون ، وبنافورة من الماء تنطلق من جوف الشارع ، الموازى لموقع العمل .!

قالوا إن البلدوزر حطم ماسورة المياه الرئيسية ، دون قصد ، وأنه لابد من إستدعاء هيئة المياه فورا .

أسرع عباس يكلم الحاج قطب ، وهو منزعج ، وسأله كيف يتصرف . ؟

وكان أن طمأنه الرجل فى هدوئه المعتاد ، ثم سأله عن رمزى القرموطى ، إن كان موجودا عنده . ؟

- ٣٤ -

ظل بركات عبد الهادى يستمع لزوجته عفاف وهو متماسك ، يتجنب إعتراض كلامها لكى لايشتعل النقاش ، وتبقى ليلة .!

ولكن عفاف لم يرضها موقفه السلبى ، وراحت تستثيره حتى نطق ساخرا

- إذا كان البوليس بجلالة قدره ، لم يستطع أن يفعل شيئا مع هذا البنى آدم ، فماذا سيفعل هذا الحاج قطب له ، هل سيقرأ عليه عدية ياسين ، أم سيعمل له عملا .!

وإنطلقت عفاف تمارس هوايتها ، تطيح زعيقا لايلتقط الأنفاس ، بينما تتحرك بعصبيتها فى كل الإتجاهات تلوم نفسها على رضائها من البداية بهذه العيشة الهباب ، وعلى أنها أعطت الفرصة له ولأولاده أن يستمرئوا همتها وعافيتها ، أن يلقوا فوق رأسها بكل مشاكلهم وبلاويهم ، وبدلا من أن يعينوها ، راحوا يسخرون منها .!

ثم راحت تحاصر بركات بالإتهامات والاسئلة المتلاحقة ، وتؤنبه على تهاونه فى حقوق أهل بيته ، وتراخيه فى إتخاذ الموقف الحاسم مع منصور القذر ، ليوقفه عند حده ، والإ ماكان تجرأ عليهم لهذه الدرجة

- أنتركه حتى يلوث سمعة الولد ويفضحنا .؟

أتنتظر حتى تقع الفاس فى الرأس ، ويتورط المسكين فى هذه البلهاء ، يضيع أمام أعيننا ونحن نقف لنتفرج عليه .؟

جاء عمرو وتدخل فى الموضوع ، وكالعادة بدأ بأمه ليهدئها ويفهم منها .

قالت أن هذا المنصور قد ركبهم وراح يهز رجليه ، وأن متاهات التفاهم الودى وشكاوى البوليس لم تعد تجدى مع هذا الصنف ، المتسلط بقوته ، المتبجح بها على خلق الله ، والحل الوحيد لكسر شوكته أن يلاقيه من هو أقوى منه ، فيرغمه على التعقل والتراجع .

إقتنع عمرو بكلام أمه وأيدها فيه ، فإسترسلت تكمل ، أن أولاد الحلال نصحوها بالإستعانه بالحاج قطب ، تروح له وتكلمه ، فالرجل من الواصلين ، أصحاب الكلمة المسموعه ، وهو الذى سيعرف كيف يتعامل مع هذا المنصور ، ويلجمه كما ينبغى .. وذهبت إليه ، لم تنتظر لحظه ولم تتراخ كما يفعل أبوه فى المواضيع الحاسمة ، وكان أن قابلت الحاج قطب بنفسها وتكلمت معه .. ياسلام ونعم الرجال .

تساءل عمرو عمن يكون هذا الحاج قطب ، وماذا قال لها .؟

فتماليت برأسها ، وفى عينيها سخرية تتطاير إلى وجه بركات .

- سترون .. سترون قريبا جدا ، ماذ سيفعل الحاج قطب .

- ٣٥ -

في مكتبه كان الحاج قطب مشغولا على آخره .

يتابع أحدث أرض الأجرودى عن طريق جهاز اللاسلكى ، ويعطى تعليماته لعباس أولا بأول لكى يتصرف . ثم يفكر لحظات ويتصل بالمكشوف ، يطلب منه الإتصال بنسيبه رئيس هيئة المياه ، ويؤكد عليه أن يبادر بإعلان حالة الطوارئ فى الهيئة ، ولحين إصلاح الماسوره المكسورة ، وطبعا الأتعاب على الحساب الجارى .!

ثم يفكر لحظات ويتصل برمزى القرموطى ، وينبه عليه أن يكون مستعدا لكل الإحتمالات غير المتوقعة ، وأن يتواجد بنفسه فى موقع العمل .

وقبل أن يعاود التفكير ، فوجئ بالوزير يطلبه على الخط السرى ، ويسأله عن الشقق التى أوصاه عليها ، ثم يلمح بما يحدث على أرض الأجرودى ، وأخيرا يطلب إليه أن يزوره فى مكتبه ، ليدردشا فى بعض الأمور .

وبعد أن وضع السماعة ، شرد منه الفكر ودن وعى ، وطار إلى حيث إنشراح زوجته .

فراوده القلق من تصرفاتها الأخيرة . إعراضها عنه بالتمارض ، والشكوى المستمرة من آلام الحمل ، وإنفرادها أغلب الأوقات بإبنتها ، حتى وهو معهم فى البيت . ومازاد وغطى ، ذلك « النزناز » الذى ركب رأسها أخيرا ، وراح يشغلها بالنبش فى سيرة الأسيوطى ، ومحاولة إثبات براءته .!

والمصيبة أنها تنتظر منه .. هو .. أن يقوم بذلك .!

يرفع لها القضية ، ويبذل كل مافى وسعه ، لإخراج الأسيوطى من سجنه .

أترها تشك فيه .؟

هل عرفت شيئا عن الحقيقة .؟

البنت فايزة منظرها لايريح ، نظرتها الثعلبية الساهية تتسرب إليه وتلاحقه ، تبحث وتناوش فى بجاحه ، توحى بأنها تعرف وتتربص .

ملعون أبوهم كلهم .. المهم الولد ، ابنه الذى بدأ يتحرك فى مكمنه ، والذى سيحصل عليه رغم أنف الجميع ، وسيأخذه فى أحضانه وينطلق به ، بكل فرحته ، وبكل حماسه ، حتى يحتل مكانه الطبيعى ، والذى لن يتنازل عنه أبدا ، فيتجاوز به مقدمة الحيتان ، كل حيتان البلد .!

وشرب الرشفه الأخيره من فنجانه ، بينما يخطف فكره الشارد ، ليعيده إلى جو العمل ، وبسرعه راوده لحظات ، فلمعت الخطة وإستقرت ، فقام فى حماس وإنطلق .

كان سكان المنطقة حول أرض الأجرودى متزمرين ، يتصلون بالمسئولين ويستنكرون قطع المياه المفاجئ .!

وعلى غير إنتظار ، إقترب الركب المتحمس من الموقع ، تقوده « سارينة » عربة البوليس .!

هاصت الدنيا ، وتدلى السكان من منافذ العمارات .. يستطلعون ويندهشون .. ماذا حصل .؟

كان الحاج قطب راكبا الچيب المكشوف ، ومعه بعض رجاله ، يلاحقون عربة البوليس ، ومن خلفهم عشر عربات « فنطاس » كبيرة مملوءه بمياه الشرب ، وعربة هيئة المياه تحمل العمال والمعدات .

وفورا نزل رجل من الچيب ، طول بعرض ، وفى يده ميكروفون صغير .. وراح يتنقل ويزعق فيه بكل صوته ، وبنغمة مؤثرة .. أن الحاج قطب إتصل فورا بالمسئولين ، وعمل المستحيل لكى تعود المياه إلى مجاريها .. وأن الحاج قطب استصدر أمرا فوريا ، بتشغيل خزانات الطوارىء ، لتكون جسرا بريا ، لإسعاف المساجد والمستشفيات والمدارس بالمياه المطلوبة ، وأيضا المحتاجين من السكان .. وأن الحاج قطب سيظل

منتظرا مع الجميع ، حتى يتم إصلاح الماسورة المكسورة .

أسرع عباس واقترب من الجيب مندهشا .. وكان الحاج قطب يلوح بيديه ويبتسم فى تواضع لكل الخلق .. فقد سارت الخطة كما رسم وتوقع ، وفى سرعة البرق ، كان أهل المنطقة يشيدون برجولة الحاج قطب ، وشهامته ، وانتمائه لأهل حيه .!

تقبلت فايزة ثورة أمها بصدر رحب ، لم تحاول ، ولم تعترض ، وتركت أمها تفرغ شحنة الغضب والإستنكار لكي ترتاح .. ثم أخذتها في هوادة وتحننت إليها ، كانت تعرف حالتها النفسية المتوترة ، فتشفق عليها وتلتمس لها الأعذار ، في كل ما تقول وما تفعل .

لذلك فقد راحت تطيب خاطرها ، وتؤكد لها أنها لاتخفي عنها شيئاً ، وأنها كانت ستبوح لها بحقيقة علاقتها بعباس ، وتطمئنها ، حتى لايساورها الشكوك في تصرفاتها قالت فايزة إن عباس يعرف كل صغيرة وكبيرة عن الحاج قطب ، وأنه ذراعه اليمين ، وكاتم أسراره ، لذلك فهي تستدرجه لكي تعرف منه مايعينهم على حماية أنفسهم ، وحفظ حقوقهم ، عندما تحين ظروف المواجهة مع الحاجة قطب .

ثم راحت تبوح لأمها بما عرفته من أخلاق عباس ، وأنها تختلف تماماً عن أخلاق الحاج قطب .

وأكدت لها أنه يعترف ببراءة أبيها ، وأنه يتعاطف معهم ، ويريد أن يساعدهم لإثبات هذه البراءة ، ورفع الظلم الذى وقع عليهم .

وإستشهدت على ذلك ، بأنه هو الذى جازف ودبر زيارتها لإبيها فى سجنه إطمأنت إنشراح .. دخل الكلام دماغها فاستراحت ، وأن ظل قلب الأم متوجسا فلماذا يتعاطف معهم رجل مثل عباس ؟

أمعقول يكون بدون مقابل ؟

أخذت ابنتها فى صدرها وأوصتها ، وأكدت . أن تنتبه لنفسها جيداً ، حتى لاتقع فى الغلط ، مهما كان الثمن !

تكلمت فايزة مع أختها حسنية على انفراد ، توددت إليها نصحتها أن لاتتدخل فيما لاتعرفه ، وأن لاتستثير أمها بكلام يزعجها ، حتى لاتتعبها .. ثم وعدتها أن تخرج بها للفسحة فى أيام الأجازة .

وقبل أن تفتح كتاباً ، وجدت فايزة نفسها تستحلب كلام عباس ، ويتشربه رأسها فى تمهل .

كان خطيراً ومحيراً ماعرفته منه !

لم تكن تتوقع أن أباها ظل يعمل مع المعلم فرس النبى لعدة سنوات ، يقود عربته الخاصة ، ويصاحبه فى كثير من تحركاته ، وهو يعلم أن الرجل من أكبر تجار المخدرات

أكد لها عباس أن أباها عرف الكثير عن المعلم فرس النبى ، بحكم اقترابه منه .. ولكن الأسيوطى كان كتوماً ، لاينطق بكلمة تجره إلى المتاعب ، وكان لايتدخل فى أعمال الرجل ، ولايقترب بأنفه من أماكن الشبهة . كل همه أن يعمل بإخلاص ، وأن يتقاضى أجره عن هذا العمل .. ولذلك رضى عنه المعلم فرس النبى ، وإطمأن إليه . لم تستطع فايزة أن تفسر هذا الموقف المحير ، والذى يتنافر مع شخصية أبيها وأخلاقه . ولا أن تجد له تبريراً يدخل دماغها ، يقنعها بأن أباها الرجل المتدين ، الحريص على سمعته وطهاره يده ، يمكن أن يتدنى بنفسه إلى هذه الخطيئة ، وأن يستمرىء معايشتها والاستكانة فى أحضانها !

يمكن أن يدخل جبيبه مال ملوث ، وهو يعلم بذلك ويرتضيه .

وفكرت فايزة فيما قاله عباس عن ظروف تورط أبيها .

يومها كانوا عائدين من الإسكندرية بالعربه ، وعند الاقتراب من إحدى كمائن البوليس أسرع المعلم ووضع لفافة « البضاعة » تحت مقعد السائق ، ولسوء الحظ جاءت الطوبة فى المعطوبة ، فأكتشفت اللفافة ، ولبس الأسيوطى القضية بمفرده . وتراءى لفايزة وجه عباس صادقاً ومخلصاً ، وهو يقسم بحياتها أنه لايعرف ، إن كان المعلم فرس النبى قد لفق قاصداً هذه التهمة لأبيها ، أم أن الحظ العاثر هو الذى ساقها إليه :

- ٣٧ -

وصل الكلام إلى دماغ الوزير فإنتبه :

لم يكن يتوقع أن يلقى الحاج قطب بأوراقه أمامه ليلاعبه على المكشوف ، وأن يقطع عليه فى حسم كل سبل المناورة ، متجاهلاً بذلك حيثيته ونفوذه كوزير فى حكومة الدولة . ولأنه يفهم جيداً أصول اللعبة ، فقد أيقن أن الرجل وضعة أمام أحد الخيارين ، لاثالث لهما فإما أن يتنازل عن موقفه ويقبل أن يلاعبه على المكشوف ، فيصبح بذلك ندا له ، الأنف فى الأنف ... وإما أن يتمسك بكبريائه وحذره ، فيرضخ لما يفرضه الأمر الواقع ، مستبيحاً لنفسه حق التدنى .

وكان أن قرر الوزير أن يتجرأ على الخيار الأول .

فرد الحاج قطب خرائطه وحساباته على الترابيزه ، وكان الكلام عن قطعة الأرض المتميزة ، والتى استولت عليها الوزارة من سنين ، لإقامة ناد رياض لابناء الحى ، وأعاد ما قال بطريقه موزونة ، ليسهل مأمورية الوزير ، وياخذ بيده إلى الطريق القانونى المشروع :

وبما أن معاليكم ترون أن قطعة الأرض لم تعد صالحة لإقامة النادى الرياضى ، طبعاً للأسباب الفنية والقومية المبينة بعاليه ، وبعد أخذ رأى اللجنة الإستشارية العليا ، ومجلس المدينة ورئاسة الحى ، عمل دراسات الجدوى اللازمة ، لذلك فقد أصدرنا قرارا وزاريا ثوريا ، يقضى ببيع هذه الأرض بطريق المزاد العلنى ، وشراء قطعة أخرى تصلح لنفس الغرض ، تكون أكبر اتساعاً ، وأنسب موقعاً .

هز الوزير رأسه ، وأبدى استخفافاً بتدخل الرجل ، وعبثه الجرىء فى مفاتيح لعبته :

ورأى أن الفرصه قد حانت ، ليلقى بأوراقه هو الآخر ، ويلاعبه على المكشوف أمسك

الوزير بعينى الحاج قطب فى جرأة .. وقال .

- أتعرف أن قطعة الأرض هذه تساوى خمسة عشر مليوناً ؟

أدخل الحاج قطب عينيه فى عينى الوزير ، فى جرأة أكثر .

- بل تساوى عشرين مليونا .. يامعالى الوزير

خلص الوزير عينيه ، وتراخى فى كرسيه اللين . أنسجم من اللعب بهذه الطريقة ، وهنأ نفسه على حسن الاختيار .. ثم بادر هو بالتساؤل لوضع النقط فوق الحروف .

- وبعد ياحاج قطب ؟

وألقى الحاج قطب " بالجوكر " ليكسب الدور لصالحه .

- نرسى المزاد عند مليونين ، والفرق بالنصف بيننا .. هه نقول على البركه

أبدى الوزير تثاقلاً مرسوماً قبل أن يعطى يده للحاج ، حسب نصيبه بسرعه فكيفه الرقم وعدل مزاجه .

- ماشى ياحاج قطب ، على البركه .

دق جرس التليفون الساخن فرد الوزير .

- أهلا يامكشوف

ثم تهطلت ملامحه وهو يستمع لما يثيره .

- كفى ياغس ، سأرى وأعاين على الطبيعة .

ولما أخبره بوجود الحاج قطب معه ، وأنه قام بالواجب على خير ما يرام .. بادر الحاج قطب ليطمئن المكشوف ، وأخاه أيضاً .

- أخبره أن أتعابه فى الحفظ والصون .

ودق جرس التليفون البارد ، فتمهل الوزير قبل أن يأخذ سماعته إلى الأذن الأخرى ثم ناولها للحاج قطب

- لك ياحاج

أندهش الرجل ، فلا مخلوق يعرف أنه هنا غير عباس :

وكان هو عباس . وإعتذر للحاج فى ارتباك على اتصاله غير اللائق .

- ولكن ياحاج البوليس جاء لأخذ أقوالنا ، وأوقف العمل فى الموقع .. كيف أتصرف ياحاج ؟

وبعد أن وضع القطب السماعه .. أبدى فى غير اهتمام تذكره لموضوع هايف ، وطلب من الوزير المبادرة بالتصرف فيه بأسرع مايمكنه ، وذلك حرصاً على الصالح العام ، وخوفاً على الشقق التى أشتراها لحسابه فى برج التوحيد والنور ، لأهله وأحبابه .

وقبل أن يخرج القطب من مكتبه ، كان الوزير يفكر بعمق ، بحثا عن الثغرة القانونية التى يعطل بها تنفيذ إزاله الادوار المخالفة ، بينما يده تضغط على الجرس لجمع مستشاريه :

- ٣٨ -

كان الانفعال مسيطراً على ملامح إيهاب مكاوى ، بينما الكلام يتدافع من فمه متوتراً .

دخل العسكرى ووضع أكواب الليمون أمامهم ، فبادر المأمور ياسر الشاهد بتقديم كوب إلى إيهاب مكاوى ، وهو يهدئه ، ويطمئنه إلى أن الأمور ستتضح ، وأن صاحب الحق لابد أن يحصل على حقه . ثم قدم كوباً إلى الحاج قطب ، وأخذ عباس كوبه ظل الحاج قطب هادئاً ، يقطر حبات المسبحه من بين أصبعيه ، وعيناه مرخيتان .

وأعاد إيهاب مكاوى كلامه بغير انفعال ، كما طلب منه المأمور .

قال إن أخاه الدكتور عاصم مكاوى اشترى أرض الأجردوى من ورثته ، منذ عشر سنوات ، وأنه سجل عقدها بالشهر العقارى ، وأقام سورا حولها ، ودق فيها يافطة كبيرة بإسمه ، وزرع خفيرا مقيماً على باب السور ، فماذا كان يفعل أكثر من ذلك ؟ وعاد الانفعال يتسرب إلى أعصاب إيهاب مكاوى ويثيرها ، بينما يتساءل بعيون لاتستقر .

- معقول ياناس ، إسألوا الجيران إسألوا الخفير ، إرجعوا للشهر العقارى :

سأله المأمور عن الدكتور عاصم مكاوى ، صاحب الأرض ، أين هو ؟

قال إيهاب أنه يقيم حالياً فى أمريكا ، سافر من سنوات للمشاركة فى مشروع فضائى كبير ، بناء على تكليف من الدولة ، وأنه لايعرف أين يحفظ أخوه بأوراق الملكية .

فكر المأمور لحظات ، ثم راح يتكلم فى رزانه .

كان مدخله لرأس إيهاب أنه وصفه بالرجل المتحضر ، الذى يعرف جيداً الطرق القانونية لإثبات الحقوق . ثم ناوله العقد الذى كان أمامه ، وطلب منه أن يلقى عليه نظرة .

- هذا العقد يعطى حق التملك للسيدة إنشراح إبراهيم الأنصارى ، بصفتها مشترية للأرض من ورثة الأجرودى ، والعقد كما ترى مسجل بالشهر العقارى منذ عشر سنوات .. فما رأيك ؟

تغير وجه إيهاب مكاوى ، وبدا يتشرب بحمرة الغضب ، وهو يتطلع إلى العقد ، ولا يصدق ما يراه .

- مستحيل :

أشفق عباس على الرجل المورروط ، وعيناه تختلسان النظر إلى سكون الحاج قطب وتلبسه حالة الإندماج التام ، فى شخصية صاحب الحق المفترى عليه ، المظلوم كل الظلم وتضايق عباس .. أحس أنه مشارك بشكل فعلى فى ارتكاب الجريمة ، لانه يعرف ويسكت ، يعين الظالم على طغيانه .. وأحس أن ضميره الذى أستمرأ الخمول والتهاون زمنا عاد ينشط ويتبلور فى صدره ، بوجهه ، يتململ ويؤكد وجوده ، منذ أن ضم كف فايزة ، واستنجدت رعشة الظلم المهبضه بكفيه :

قال ياسر الشاهد أن سيبادر بارسال المحضر إلى وكيل النيابه ، لإتخاذ اللازم ونصح إيهاب مكاوى أن يتصل فوراً بأخيه ، ليتأكد من بيانات قطعة أرضه ، وليثبت حقه مستنديا فيما يمتلك :

فكر عباس أنه يستطيع أن ينهى هذه المهزلة بكلمة منه .

يكفى أن يقول أن السيدة إنشراح إبراهيم الأنصارى ، لم تكن على ذمة الحاج قطب حين تم توثيق هذا العقد ، وأنها كانت على ذمة الاسيوطى ، السائق الفقير ، فمن أين كان لها أن تأتى بثمن مثل هذه الأرض ؟

وتعجب .. كيف لم ينتبه الحاج قطب لهذه السقطة ، ولم يحسب حسابها :

ولكن عاد يراجع نفسه ، ويستنكر فكرته .

فمعنى أن أم فايزة أشترت الأرض وهى فى كنف الأسيوطى زوجها ، لكان ذلك اثباتا ماديا لتهمة الرجل فى تجارة المخدرات :

راح إيهاب مكاوى يرجو ياسر الشاهد أن يوقف العمل بالأرض ، حتى يأتى أخوه بمستنداته .. فنطق الحاج قطب أخيرا فى حسم ، وبدون أن يرفع عينيه .

- الأرض أرضى ، وعلى المتضرر أن يثبت عكس ذلك ، ثم هل تتحمل

أنت خسارة تعطيل العمل ؟

لم يعلق ياسر الشاهد ، وهز رأسه مؤيداً كلام الحاج قطب ، وموحياً لإيهاب مكاوى بأن الكرة أصبحت فى ملعبه ، وأن عليه أن يتصرف فيها :

إنتبه فهمى عرفات وحط على وجهه ملامح دهشة متقنة .

- قل الموضوع من أوله ، وماذا قال لك الموظف بالضبط ؟

أعاد إيهاب مكاوى كلامه بينما يجتر صبره ، قال أنه ذهب بالأمس إلى أرشيف المصلحة وقابل الموظف المختص زكريا عبد الدايم ، ليحصل على بعض البيانات الخاصة بأرض الأجرودى والتى إشتراها أخوه الدكتور عاصم مكاوى ، وسجلها هنا منذ عشر سنوات ، وأن زكريا بحث عن سجل القيد ولم يجده ، فوعده أن يجهز له البيانات المطلوبة غدا .

ولما جاءه اليوم ، وجده مايزال يبحث عن السجل الضائع

فى حماس التقط فهمى عرفات سماعة التليفون ، وطلب زكريا وهو يتساءل مستنكراً .

- هل قال لك أن السجل ضاع ، سجل القيد ضاع ؟

دخل زكريا مكتب أمين عام السجل المدنى بوجه متغير .

وقبل أن يلقى السلام باغته بعاصفة من الأسئلة المتلاحقة ، بينما يتململ فى كرسيه ، ويهزه متعصباً بكل أطرافه .

- أين سجل القيد يا أستاذ ؟ هل ضاع حقاً ؟

ومتى ضاع ، وكيف ، ومن المتسبب فى هذه الجناية ؟

ثم لماذا لم تخبرنى فى حينه ؟

تجمد زكريا فى مكانه مذهولاً .. جناية . ! ؟

وأحس بفراغ هائل يتمدد فى رأســه ، تتخبط فيه التساؤلات ويتردد صداها مفزوعاً وتكلم فمه تلقائياً ، حاول أن يسعفه فى ورطته حتى يتماسك ويستعد لأحتواء الموقف .

قال إن سجل القيد لايمكن أن يضيع ، وكيف يضيع وهو محفوظ فى دواليب مقفله وأنه سيبحث عنه ويجده ، لابد أن يجده .

تقرب فهمى عرفات إلى إيهاب مكاوى ، ملاطفا ومطمئنا

إعطنا الفرصة يومين أو ثلاثة ، وسأعطيك كل شيء بنفسى ثم قام وأخذه إلى باب الحجرة ، مودعاً فى حراره .

وحين عاد إلى مكتبه ، بدا وجهه مسطحاً ، وإنثال صوته ناعماً على هواء التكييف ، يلامس رأس زكريا ويتمسح به .

ـ أقعد يابنى نحن الآن بمفردنا .. وأنا الوحيد الذى يمكنه أن يحميك .. قل لى بصراحه .. من الذى ورطك فى هذه المشكلة ؟!

بدأ وجه الحاج قطب متأثراً ، ينظرفي إشفاق إلى الناس ، ثم يرخي عينيه ويتنهد بعمق . !

قال إنه مضطر أن يصرح لهم بحقيقة الموقف ، لأنهم أهله ، وأصحابه ، وأحبابه ، وفوق ذلك كله ، فإنهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى هذا المشروع الخيرى .

كانت الصالتان مملوءتين عن آخرهما وكان الباب الفاصل بينهما مفتوحاً ، لكى يصل كلام الحاج قطب إلى الجميع ، رجالاً ونساءً .

أشار رجل ممتلىء إلـى المخـبرين الجالسـين فـى الخلف فتـبعاه إلى المطبخ . وتقديم بركات عبد الهادى بكرسيه قليلاً لكى يرى وجه الحاج قطب ، عن قرب .

بينما هم أنور بالمساعدة فى تقديم المشروبات والسجائر ، ليبدى ولاءً ملحوظاً للمكان وصاحبه ، فيكبر فى عينى الحاج ، وينال مزيداً من الخير والرضى .

قال الحاج قطب أنه تولى إقامة المشروع من البداية ، وبمفرده ، وأنه بذل فى سبيله قال كل إمكانياته ، المادية والشخصية ، لوجه الله ، ولخدمة أهل الحى .. ولكن للأسف ظهر بعض المغرضين ، الحاقدين من أعداء العمل الخيرى ، فأشاعوا الشائعات ، ودبروا الفتن ، وروجوا لها بأخس الطرق ، لكى ينالوا من المشروع ويصيبوه فى مقتل ! لذلك فإنه يحب أن يطمئن الجميع على سلامة أرضهم ومشروعهم . وحتى يقطع الشك باليقين ، فإنه اتخذ الإجراءات القانونية لإشهار " جمعية الإنشراح " المكونه منهم كلهم ، ليتولوا بأنفسهم إقامة المشروع ، وإدارته ، والإستفادة منه ، وأنه جعل قيمة السهم فى هــذه الجمعية جنيها واحدا ، ليعطى الفرصة للفقير قبل الغنى ، فى أن يتملك ، وأن يدير ، وأن يكسب .

تحمس رجل وانتفض يهتف بأصالة الحاج قطب وكرم أخلاقه .. وانتفض آخر يشيد بنضاله ضد الظلم والظلمة .

رفع الحاج قطب يده فى مواجهة الجميع ، وراح يستغفر الله بصوت مسموع ، ثم رجاهم فى خشوع أن يكفوا عن الهتافات ، ويعملوا فى صمت ، وأن يكون ولاؤهم للمشروع بمحاربة الشائعات المغرضه ، والمساهمة فى رأس ماله ، كل حسب طاقته .

بانت الفرحه على وجه أم ياسر ، وقالت لجارتها أنها ستشترك بعشرين سهماً لأن الكلام دخل دماغها ،

كان عباس يراقب المسرحية وهو ساهم ، مأخوذ بطريقة الأداء وبتأثير الكلام على الوجوه .. وفى نفسه شهد للرجل بقدرته المستحيلة على قلب الباطل إلى الحق ، وعلى تحويل الضربات الموجهه إليه ، إلى ضربات لصالحه !

قال الحاج قطب إن الأسهم جاهزة للتوزيع ، وأن لكل منهم أن يأخذ مايكفيه .

ثم مد هامته وقال فى سماحة لامست الأعطاف .. أنه قد أجل تسديد قيمة الأسهم حتى يستعد الجميع ويسددوا على راحتهم .

صاحت إمرأة يفرح وجهها .

– الله يعمر بيتك ياحاج

قام الحاج ومشى إلى مكتبه فى رزانه .

فكر بركات عبد الهادى أن يلحق به ، ليطمئن على موضوعه ، ثم أرجأ ذلك حتى يروق الجو قليلاً .

قامت فايزة من كرسيها المنزوى واتجهت إلى الباب الخلفى وأسرع عباس ليلحق بها .

تراخى الحاج قطب فى الفوتيه لحظات ، يشد نفسين من الشيشة ، ويجدد نشاطه وصفاء ذهنه .. وفى نفس الوقت كانت أذنه واعيه ، تنتقى من الكلمات ما يدخل المزاج ، وتطيح بعيداً كل مافيه وجع دماغ ، وماأن اكتفت بالمفيد ، رفع الحاج يده ليسكت رمزى القرموطى .. ثم تساءل فى حسم وهو مقفل العينين .

– الخلاصة .. هل وقع مذكور .. ؟

هم رمزى القرموطى بأن يلف ويدور بالكلام ، فأسكته مرة ثانية ، وأصر على تساؤله بطريقة حاسمه .

إعترف القرموطى بأن مدكور لم يقع بعد !

فتح الحاج قطب عينيه وحاصر وجه القرموطى فى قسوه

- مدكور رجل مجرم ، يغش فى المبانى ، ويخالف قوانين الإسكان ، وأنت المسئول ، أنت رئيس الحى ، فماذا تنتظر ؟

لم يسخن الدم فى عروق القرموطى ، ولم تأخذه النخوة للدفاع عن بقايا الكرامة ، كرامة رئيس الحى ، التى اعتلاها الحاج قطب وراح يهز رجليه فى صفاقة .. وكل مافعله أن أبتسم متزلفا ، ليمتص الموقف ، وأى موقف ، مادام صاحبه قادرا على دفع الثمن المناسب !

- ٤١ -

- كانت الرحلة مرهقة لرأس فايزة أكثر مما يحتمل .!

فقد رأى الكثير ، وسمع الكثير ، حتى إمتلأ وثقل عليها .

أسندته إلى حافة السرير ، وأغلقت له منفذى الضوء ، لعله يتخدر ويروح فى غفوة بعيدة ، تقطع صلته بها ، فتريحها منه بعض الوقت !

ولكنه ظل منتبها ، يعاند ، ويجتر محتواه بصوت متواتر ، لايتسرب من أذنيه .. ثم يعيد الإجترار فى دأب مخلص ، لايهمل شيئا ، ولايعفو عن شىء ..

وعاد يتراءى لها وجه الحاج قطب خاشعا فى تواضع ، يحنو على أحلام البسطاء ويسحرها ، يحيلها إلى واقع متجسد ، تكاد تتلمسه العيون والقلوب . وعاد صوته يتردد فى أذنيها ، وهو ينثال رطبا ، بلسما على الجروح اللاهثة ، ويرويها ويشفيها .

كانت المسرحية التى شهدتها فى بداية رحلتها رائعة الحبكة ، أثرت فيها ، وأجبرتها على أن تشهد للبطل أنها وجد بالعبقرية الفذة ، ولولا مباغتة وجهه الآخر القبيح لخيالها ، وصحوتها المفاجئة من تأثير سحره ، لأخذها الحماس وصفقت له مع كل المصفقين !

سألها عباس إن كان أرضاها ما رأت وما سمعت ، فبادر لسانها فى تلقائية عاتبته عليها بعد أن قال وانتهى !

- عباس أنت رجلى الوحيد .. وأنا أريد أن أرى كل شىء ، وأن أسمع كل شىء ، كما طلبت منك .

ورأت أجنحة السعادة ترفرف فى عينيه ، تنطلق صائمة حولها ، تهم بخطفها فى تشوق ، لتحط بها فى بؤرة الحلم الموعود .

واستجاب عباس عن طيب خاطر ، أعطى ظهره لكل شيء وراح يواصل بها الرحلة .. فرأته في صدر الحي شاهقا فخما ، يتطاول على أقزام المباني ويستحوذ على نواحي أربع ، تتوسد أرصفتها عربات الشبح السودا ء اللامعة .

أحست بقلبها ينخطف فى المصعد وهو يأخذها إلى أعلى . حيث قمة التوحيد والنور ، وترددت وهى تقترب من السور ، كان الهواء يدفعها ، ويقتحم أثوابها ، ويعبث بما تخفيها .!

ولكنها تجرأت وأطلت ، ومن الجوانب الأربعة ، ويدها تلوذ بيد عباس !

ورأت العالم من تحتها صغيرا ، لاهيا فى سذاجة عشوائية .. ولأول مرة تتلذذ بطعم الهواء النقي يقتحم صدرها ويغسله ، يناوش أحاسيس جديدة ، تتوالد وتسرى فى الضلوع ، تحمسها وتزيدها إصرارا .

قالت لعباس أنها تريد أن تسكن هنا !

وإعترض عباس فكرتها فى حسم مفاجيء ، وهو يأخذها إلى المصعد .

لمحت في عينيه حرصا يحنو عليها ، وتوجسا من أن يكون رفضه قد ضايقها .. فتحرك فضول الأنثى فيها ، يناوش بسلاح الصمت والإنكسار ، ويؤكد قدرته على المناورة ، والوصول إلى ما يشتهى .

وكان أن لامسها دفء أنفاسه ، تتمسح بها . وتسوق كلمات الإعتذار ، والبوح بما يعرفه عن خطورة السكن في هذا البرج .. وإن إعتراضه كان بدافع الخوف عليها ، وكيف لا يخاف وهى ..

وعاد فضولها إلى سكونه ، متلذذا بما حصل عليه من عباس .

وحين وصلت إلى أرض الأجرودى ، أحست بها تهتز تحت قدميها ، وتئن فى تواتر .. كانت الآلة الضخمة تدكها فى عنف ، والأضواء مبهرة على همة الرجال ، وهدير عربات النقل ، وحشرجة خلاطات الخرسانة !

وهناك قابلتها اليافط الكبيرة ، فإقتربت لتتأكد .. « مشروع الإنشراح القومى » .

وضحكت عينا عباس أمامها فى سخرية ، وهى تسأله .. ثم إعترف بإنه لا يعرف معنى كلمة القومى ، ولكنه يعرف جيدا معنى كلمة الإنشراح ، وأخبرها لأن عقد الأرض بإسم أمها .. فإندهشت ، وإنتفض بملامحها تساؤل حائر ، يلوذ متوجسا بوجه عباس .. ولكن لماذا يفعل القطب ذلك ؟

وتكلم عباس ، بدا مترددا أمام تساؤلها ، عاجزا عن إرضائها بالإجابة الشافية .. ولكنه أكد لها أن مايدور فى رأس القطب لايمكن الوصول إليه بسهولة .

- ضغط الألم على عنق فايزة فرفعت رأسها .. فوجئت بحسنية راحت فى النوم والكتاب على وجهها ، شالته ومشت إلى حجرة أمها .. حنت إلى أن تلوذ بدفئها حتى يطاوعها النوم ، ولكنها وجدتها نائمة هى الأخرى بجوار الشرفة ، ولم تشعر بها .. فتراخت أمامها على الفوتيه وراحت تتأملها .

أعجبها جمال وجهها وهو مستكين لضوء الأباجورة الخفيف ، رغم مايبدو عليه من علامات إرهاق لحوح .

إلتفتت إلى المرآة لتقارن بين ملامحها وملامح أمها . إكتشفت أنها تشبهها إلى حد بعيد ، فابتسمت لنفسها ، وإطمأنت على بقايا نضارتها حين تبلغ الأربعين وتكون فى سن أمها .

وعاد يشاغلها كلام عباس ، وهما فى رحلة العودة من مشروع الإنشراح القومى ، كانت المفاجأة أن يخبرها بهذا السر ، وأن يؤكد لها حقيقته !

وأشفقت نظرة فايزة على أمها كل الإشفاق ، بينما رأسها يحط على ذكريات مضت، عرفت الآن سبب مراوغة أمها ، وتهربها من الإجابة الصريحة كلما سألتها عن سبب زيارات القطب المتكرر لبيتهم ، وخاصة فى غياب أبيها .

وعرفت أيضا لماذا كانت أمها تدعى المرض فى بعض الأحيان وتلوذ بحجرتها لتتجنب مقابلة الرجل ، ولكى لا تثير إنتباه أبيها إذا ما دعاها للترحيب به .

والآن وبعد أن صارحها عباس بأن القطب حط أمها في دماغه ، فجأة وبإصرار عنيد ولم يخرجها أبداً ، فراح يلاحقها بزياراته وهداياه .. ولكنها كانت تتجاهله ، وتهرب من تلميحاته ، فزاد تعلقه بها وإصراره على محاصرتها .

قال عباس إن القطب قد باح له في لحظة صفاء ، أن إنشراح هي المرأة الوحيدة التي تزن رأسه ، والتي يمكن أن تأتيه بالولد . ولكن كيف يحصل عليها -.!

قامت فايزة الى الشباك تبحث عن الهواء النقي ..

كانت الخضرة ممتدة ونائمة ، تعكس شحوب الضوء في إستكانه رطبه .

إذن فالرجل القطب كاد بأبيها ليستفرد بأمها .

كل الشواهد تؤكد أن نيته كانت مبيته ، للتخلص من الأسيوطي ، وأن الإيقاع به كان مدبرا ومقصودا .!

وعلى الرغم مما أبداه عباس من عدم الإعتراف بهذه الحقيقة ، ومحاولته إبعادها عن تفكيرها ، إلا أنها أحست بأن القطب يمكن أن يفعلها .. بل أيقنت أنه فعلها بالتأكيد .!

- ٤٢ -

إندهش زكريا وراح يتطلع الى مظاهر الثراء المبهر ، التى تملأ القصر ، وإلى الخلق المتزاحمين فى الصالة الكبيرة ، يتكلمون ويشربون على راحتهم .

سأله أنور مستطلعا .. أرأيت ؟

لم يكن زكريا يتصور أن القطب وصل إلى هذه الدرجة .. وأن كل ما يقال عنه يمكن أن يكون واقعا ملموسا !

ولم يكن يهتم بثرثرة خاله أنور ، وعلى إلحاحه المتواصل فى أن يأتى معه إلى هنا ، ليرى بعينيه ، وليجرب بنفسه فائدة السعى إلى الرجل ، والتقرب إلى مجلسه .

إعترف الآن أن خاله كان محقا ، وكان واقعيا فى تفكيره .

ولذلك طاوعه وجاء معه ، جاء مضطرا ، يلوذ بالقطب ، ويتلمس العون منه !

فقد أصبحت المشكلة أكبر من أن يحتملها ، أو أن يتصرف فى حلها بأية طريقة .

أشار عباس لأنور ، فخطف ذراع زكريا متحمسا وهم به .. هيا .

دق أنور باب حجرة المكتب ، ثم دخل فى حذر ساحبا زكريا وراءه .

وكان الحاج قطب مشغولا بأوراقه ، فتركها وراح يرحب بأنور ، ويستطع وجه زكريا وهيئته .

- الأستاذ زكريا ؟

فبادر أنور مبتسما فى تودد

- ابن أختى ياحاج .. كلمنى كثيرا لكى يراك .. ولكن كله بأوانه ياحاج .

ورحب الحاج بزكريا ، وأبدى به إهتماما لما عرف أنه يعمل فى السجل المدنى ..

وعندما حانت اللحظة بادر أنور بتشجيع زكريا على الدخول فى الموضوع .

– لاتنكسف يازكريا .. إفتح قلبك لعمك الحاج ، وستخرج من هنا مجبور الخاطر بعون الله .

وتكلم زكريا فى تردد ..

والقطب ينظر إليه من تحت عينيه ، ويستحثه بهمهماته المتواترة على أن يواصل كلامه .

وبعد لحظات صمت وتفكير ، تساءل القطب فى إستعباط مرسوم ، عن مدى أهمية سجل القيد الضائع ، ولماذا لايعملون غيره وتنتهى المشكلة !

وشرح زكريا ماكان يعرفه القطب ..

فالسجل المفقود هو الوثيقة الأصلية الوحيدة ، لإثبات الملكيات فى فترة محددة ، ومن المستحيل عمل سجل غيره لأنها جناية .

أبدى القطب تعاطفا مخلصا ، وهو يجر زكريا فى الكلام .

ولكن زكريا أكد له أنه لايشك فى أى زميل ، فعلاقته بهم طيبة ، ولايمكن أن يكيد به أحدهم ليوقعه فى هذه الورطة الكبيرة ..

وقال زكريا فى تأثر ، إن فهمى عرفات أمين عام السجل ، كان قد أعطاه مهلة للبحث عن السجل المفقود ، فإطمأن وراح يبحث عنه فى كل مكان .. ولكنه فوجىء ..

وفى نفس اليوم .. بتحويله إلى النيابة .. لإجراء التحقيق معه !

وإمتلأت عينا زكريا بالدموع ، فنكس رأسه .

بان الإنفعال واضحا على وجه الحاج قطب ، وراح يستنكر ويتململ فى كرسيه .

– ماذا جرى للناس ؟ أعوذ بالله .. حتى المسائل الهايفه ، تحقيق ونيابة وكلام فارغ .

ثم رفع سماعة التليفون فى حماس ، وهو يتساءل .

- قلت لى فهمى إيه ؟

ولاحقه زكريا وهو يجفف عينيه

- فهمى عرفات ، أمين عام السجل المدنى .

كان أنور منسجما ، يتابع جديه القطب فى إرتياح ، ثم يسعى بعينيه ليطمئن صدر زكريا ، وليبرهن له على حقيقة طوق النجاة ، الذى ألقاه بين يديه فى الوقت المناسب !

وانتبه زكريا .. أدهشه أن يطلب القطب من أمين عام السجل المدنى أن يأتيه فى قصره .. وأدهشة أكثر أن يستجيب الرجل ، أن يلبى طلبه هكذا فى بساطة .

وبدأ القلق يستكين فى صدر زكريا ، وعندما خدره القطب بالجرعة المؤثرة .

- لا تحمل هما .. كل المسائل ستكون على ما يرام .

ورفرف قلب زكريا فى صدره !

وبدون وعى ، ساقته عواطفه فهب مندفعا وارتمى على القطب ، واحتضن كفه بين يديه ،

وراح يقبلها فى عرفان جياش .. بينما تتعثر بلسانه عبارات الشكر المتلاحقة .

بعد أن خرجا إلى الصالة .. همس أنور لزكريا ، والسعادة تملأ عينيه ، أن الحاج قطب مبسوط منه ، وأنه سيدبر له عملا بعد الظهر ، هنا فى مكتبه .

ولما رآه ساهما يفكر ، قال وهو يدفعه ليجلسا .

- يا شيخ .. من يطول العمل عند الحاج قطب .

وفهم منصور دوره وتحمس له ، إقتنع أن يكون حائط الصد لأرض الأجرودى ، وإعتبرها فرصة لكى ينشط مواهبه ، ولكى يسترد لياقته فى المناورة والمحاصرة ، بعد أن أثقلها الخمول وأثر على حيويتها .

ثم إن الأجر السخى الذى عرضه القطب عليه ، كان كفيلا بإرضاء غروره ، وبإشاعة الزهو فى صدره ، فلا شك أن الرجل يقدره كما ينبغى لأنه يستحق ذلك بالفعل ، ولأنه يعترف بكفاءته المتفرده لهذه المهمة .

وإقتنع القطب أيضا بسخاء الطعم الذى قدمه لمنصور . إعتبره تضحية هينه لصيد عنصر فعال ، لضم رجل متميز لقوته المدافعة .

وبعد أن دس منصور مقدم الأتعاب فى جيبه ، وهم بالإنصراف ، إستوقفه القطب وبدا يتذكر أمرا عابرا .

ثم تكلم فى إيجاز ، فراح منصور يتساءل بدهشة ضاحكة .

- بركات عبد الهادى ؟ جارى ؟

أيشكونى لك .

هز القطب رأسه فى تأثر مفتعل ، فواصل منصور ساخرا

- أما رجل معتوه ، كنت أتسلى !

قال القطب فى حسم ، أنه لايريد أن يخسر إنسانا بعد اليوم ، سواء أكان معتوها أو متزنا ، وأنه يعتمد على رجاله فى مراعاة هذه السياسية والعمل بها .

تطلع منصور إليه لحظات ، بينما يحاول أن يصل سريعا إلى ما وراء الكلام ، ففوجىء بيد القطب تصافح يده ، معلنة إنتهاء الزيارة .!

لم يكن القطب يعرف عن اللواء منصور عبد الجبار أكثر من فئات الأقاويل المتناثرة ، التى لم تحرك شهوة فضوله ، أو حتى تعلق بأذنيه لحظات .!

ولما أضطر لسماع الشكوى ، وبالتفصيل ، من فم عفاف زوجة بركات عبد الهادى ، إنتبه ، واستوعب رأسه الكلام ، فتحركت شهيته ، وراح يسأل ، ويستوضح ، والمرأة تتمادى فى ثرثرتها ، وتصف بإنفعال ما عمله فيهم منصور وكلب منصور !

وأعجب القطب بشخصية الرجل قبل أن يراه . فقد تخيل هيئته الصخرية ، وفطن لقدرته ، التنمرية ، على المناورة والمشاغبة ، وأيضا على التبجح والتسلط ، ولذلك دعاه لمقابلته .

وعندما جاءت العين فى العين ، إنسجم القطب ، وهنأ حاسته الفذة على سلامة التقدير والتوقع . فقد بدت تركيبة الشخصية ومواهبها الطبيعية والمكتسبة ، مطابقة تماما لما تخيله ، ولما يبحث عنه .. وإقتنع بينه وبين نفسه ، أن هذا المنصور سيكون حائط الصد المثالى ، لتلقى الضربات المتلاحقة ، وتشتيتها ، دفاعا عن أرض الأجرودى ، وغيرها مما يخطط للإستيلاء عليها .. كما أنه يمكن أن يستفيد بعلاقاته المتشعبة ، وصلته الوثيقة برجال الشرطة ، عندما تحين الإنتخابات ، ويدخل فى صراع جمع الأصوات مع منافسيه !

وتم الإتفاق سريعا بين الرجلين .

وكان من الطبيعى أن يتم ، فكل منهما يعرف تماما مايريد ، ويعرف أقصر الطرق للوصول إليه !

كما لعبت لغة العيون دورها فى تعرية المستور ، وتقييمه ، وتحديد أبعاده من كل الوجوه .

- فوجىء بركات عبد الهادى بزوجته عفاف تهرول إليه ، وتسحبه من يده وهى تلهث بكل صدرها .

- تعال .. هيا تحرك .

طاوعها بركات وراح معها .. أخذته إلى السطح ، وإقتربت به من السور المطل على فيلا اللواء منصور عبد الجبار .

- أنظر .. ألم أقل لك أن الخوف بالعين .

ولم يعرف بركات إلى ماذا ينظر .. فسألها مستخفا .

إستنكرت عفاف ضعف ملاحظته .

- يارجل استعمل عينيك جيدا ، ألا ترى إلى أين أخذوا الكلب .. ؟ ونظر بركات إلى الحديقة المجاورة ، فرأى الكلب مربوطا فى السور المقابل ، بعيدا عن السور المشترك بنيهم وبين منصور عبد الجبار ، وبجواره الكشك الخشبى الذى ينام فيه .. إندهش بركات .

- أهكذا بسرعة ؟

قالت فى حماس يؤكد ذاتها .

- ألم أقل لك ؟

وفوجئا بمنصور عبد الجبار يخرج من خلف الجراج ويلتقط أعينهما ، ثم ظل يتطلع إليهما لحظات ويبتسم فى موده . إقترب قليلا من السور وأومأ إلى مكان الكلب برأسه .

- أيعجبك هذا الوضع يابركات بك ؟

لاحقته عفاف بصوت مسموع .

- قل له أن يضع كمامة على فمه .

وتردد بركات محرجا ، وهو يبادل الرجل إبتسامته ، ويهمس لعفاف .

- معقول ياعفاف .!

بدا منصور صاغرا ، ورأسه يهتز بين كتفيه ، مؤكدا سماعه لصوت عفاف .

- ممكن .. ممكن يابركات بك .. على عينى .

ثم أمسك خرطوم المياه ، المفتوحة على الزرع ، ولوح به فى سعادة

- ألا تبارك لى ... المياه وصلت .

وبتلقائية رفع بركات يده مهنئا .

- ألف مبروك ياباشا

فشدته عفاف فى غضب لتبعده عن السور .

- وتقول له ياباشا ، ياشيخ أضعت هيبتنا !

وعندما نزلا إلى الصالة كان بركات غاضبا .

أثاره أن تشده عفاف بهذا الحمق ، وأن تقطع كلامه مع الرجل .

حاول ينفذ فى رأسها ليفهمه أن إظهار العداء لمنصور عبد الجبار بالذات ، يفتقد الحكمة والصواب ، وأنه من الأصلح عدم إستشارته ، ومعاملته بحذر حتى تنتهى الأزمة .. ومادام الرجل قد أبدى تراجعه عن مضايقتهم ، فلماذا يقطعون عليه هذه المبادرة ؟

وأخفق بركات كالعاده فى إختراق الرأس الصلب !

كانت المكابرة العنيدة تصد منطقه وتحبطه .

- إذا كان القطب قد حط أنفه فى الوحل من أجل خاطرنا ، فتأتى أنت وتقول له ياباشا .

طبعا له الحق أن يفعل بنا أكثر مما فعل !

ونادت على عمرو فى حماس .

أخبرته أنها كلمت القطب عنه ، وأن الرجل رحب به ، وحجز له مكانا محترما فى مشروعه الجديد .. وأن عليه أن يستعد لمقابلته غدا .

وتنهدت عفاف بإفتعال ، لتؤكد مدى معاناتها فى تحمل المسئولية ، ومدى جدارتها برفع كيان هذا البيت .

ثم قالت وهى تلقى بنظرات الإستخفاف إلى بركات

- وأنا التى ستذهب معك ياعمرو !

- إبتسم الحاج قطب وبدت ملامحه متأثرة ، وهو يتطلع إلى وجه وكيل النيابة ، ويحنو عليه فى سعادة أبويه .

- الخالق الناطق الحاج إبراهيم الخشاب ، الله يرحمه !

كان وكيل النيابة مشغولا بأوراق تزحم مكتبه ، ولما سمع إسم أبيه يأتى على لسان القطب ، إنتبه ورفع عينيه .. فبادره القطب .

- أنت أحمد ، مسك الختام .. إيه فين أيامك ياخشاب .!

تخاذلت إبتسامة المجاملة على شفتى أحمد الخشاب ، فهز رأسه مستجيبا .

كان قد سمع عن القطب كلاما متضاربا ، ولكنه لم يره ، ولم يصل فيه إلى رأى خاص .

أخذ القطب راحته فى كرسيه ، وقال فى تلقائية لاتتحرج .

- الخشاب كان يعرف أن قهوتى سادة ، وأنت الآن عرفت .

لم يتقبل أحمد الخشاب بجاحة القطب ، لم يعتد على مثلها ممن يجلسون أمامه ، يترقبون فى حذر وتخوف من وكيل النيابة .. ولكن إصبعه إمتد إلى الجرس ليستدعى الساعى .. وعندما أخرج صورة العقد ليدخل فى الموضوع ، بادره القطب بصوت مؤثر .

- أنت لا تذكرنى يامسك الختام .

كنت صغيرا أيامها ، وكان الخشاب يأتى بك فى صلاة العشاء ، فى الحسين فيسطلك هواء المراوح ، فتحط رأسك فى حجر أبيك ورجليك فى حجرى ، وتروح فى سابع نومه .

ولما لاحظ أن أحمد الخشاب يراقبه فى حيادية ، وهو سارح بذاكرته ، مال على المكتب وقال فى تعاطف .

- أبوك هو الذى سماك مسك الختام ، لأنك جئت بعد أربع بنات ، وكان قلبه مشتاقا للولد .. الله يرحمك ياخشاب .

ووارى القطب عينيه ، لكى لايرى أحمد الخشاب دموعه .

على رشفات القهوة المتأنية ، راح القطب يحبك الصور الخيالية المؤثرة ، لصداقته المتينة بالحاج إبراهيم الخشاب ، أيام أن كان يقيم فى البيت الكبير فى الجمالية ، وكيف أنهما كان متلازمين ومتفاهمين إلى أبعد الحدود .!

كان القطب يستعين بكم المعلومات الوفير ، الذى جمعه عن سيرة الأب ، ليقنع الإبن بصدق روايته .

وفعلا فقد إستجاب أحمد الخشاب لذكريات والده ، تركها تلاغى دماغه بحذر حنان مفتقد ، لم يلحق منه سوى بقايا خيالات وأمنيات لاتتحقق .!

وضع القطب فنجانه وتنهد متحسرا.

- كنت صغيرا أنت ، يوم أن مات الخشاب ، يوم أن راح وتركنى وحيدا .
وتمددت صور الخيال فى دماغ القطب ، وإستهواه طواعية الحكى وإستجابة المتشوق للسماع .

فقال إنه لم يطق فراق صاحبه ، ورحل إلى طنطا حيث أقام زمنا ، وعندما عاد لم يجد بيت الخشاب ولا أحدا من سكانه .

دخل العسكرى ووضع بعض الأوراق على المكتب ، فإنتبه وكيل النيابة ونظر إلى ساعته .. فأحس القطب أن خاتمة الكلام قد حان وقتها .

قال وهو يبدى عرفانا صادقا ، إنه إذ أصبح من أصحاب المال والجاه ، فإن الفضل فى ذلك يرجع إلى الخشاب ، فهو الذى نصحه ودله على طريق المقاولات وتجارة المبانى .. ولذلك فإن فى رقبته دينا لهذا الصديق لاينساه ..

ثم تنحنح القطب وإعتدل فى كرسيه .

- نعود لموضوعنا يابني .. أنا تحت أمرك .

إنتبه وكيل النيابة وبدأ يركز ذهنه في الأوراق .. قدم العقد إلى القطب ، وقال إن إيهاب مكاوى سلمه بالأمس للنيابة ، كوثيقة إثبات لملكية أخيه عاصم مكاوى لأرض الأجرودى .

نظر القطب إلى العقد بإستخفاف .

- هذه صورة يابنى .. أين الأصل ؟

قال وكيل النيابة إن إيهاب مكاوى عثر على هذه الصورة في أوراقه ، وأن أخاه الدكتور عاصم مكاوى سيأتى بنفسه ومعه الأصل ، وعموما فإن النيابة قد رجعت إلى أمانة السجل المدنى ، للكشف عن المالك الحقيقى .

بان الغضب على وجه القطب ، فأخرج مسبحته وراح يفرك حباتها .. قال إنه رجل يحرص على سمعته ومكانته بين الناس .. وأنه جاء إلى هنا فقط من أجل خاطره ، من أجل أن يلتقى بإبن صديقه الحميم .. أما ما دون ذلك فهو لايهمه على الإطلاق ، ثم هب القطب واقفا يحمل إنفعاله .

- إسمع يابنى ، الأرض أرضى ، وأنا صاحب الحق ، ومن يجرؤ على أن ينال من حقى أو سمعتى ، فسأعرف كيف أوقفه عند حده .

وأخذ يد وكيل النيابة ليصافحها فى حرارة .

- أعرف أنك هنا لتؤدى واجبك يابنى ، ولكننا سنلتقى قريبا فى ظروف أفضل ثم ترك المكتب وخرج ..

- وتملاها وهو مأخوذ .

كانت أمامه جنة فواحة متألقة ، كتلك التي وعدها الرحمن أحباءه وأصفياءه .

ولم تشبع العينان ، ولم تطرفا لحظة .

في البداية ترددت اليد في سعيها اللاإرادى ، إشفاقا على بكارة الجنة ، ونضارة مروجها وحياء أعطافها .

ثم لم يلبث القطب أن أقنعها ، أنه يستحق هذه الجنة ، وبكل جدارة .. وإلا فلماذا وهبها الله له ، وزينها بهذا الفن والجمال ؟

وخرجت خاشعة من صدره الدافي .

- تبارك الخلاق فيما خلق .

فارتجف الجمال العارى خجلا ، ثم إستكان فى عفوية مثيرة .

قال وهو يستمتع بلذة الإنتظار .

- ماذا تتمنين من دنيانا ؟

هزت كتفيها وبدت حائرة .. فشجعها بحنان عينيه .

- اطلبى ياحلوة ، إياك أن تفلتى الفرصة من يدك ، قالت فى إنكسار زاد إثارته .

- الستر .. أتمنى الستر .

دخلت الكلمة مزاجه فضحك وملأ الحجرة

- وأنا عند وعدى ياحلوة .

واقترب هائما ، ينظر ويتأمل ، وملامحه تزف الفرحة بها .. ومد يديه فى جسارة ، فسرت إلى أشيائه رجفة اللمسة الأولى ، فباركها وتلذذ بها .. ثم راح يطرح العود الخرزانى النابض ، ويمدده فى حرص شديد ، بعرض الفراش ، ويساوى خصلات الشعر الحرير على امتداد الظهر الناعم ، فطالت أطرافها منعطف الخصر النحيل .

وتراجع بظهره .. وعيناه تجوسان فى كل تضاريس الفتنة .. والتقط شنطته فى هدوء ، ثم عاد يتقدم ، ويجلس على السرير .

فتح الشنطة وكانت مملوءة برزم الفلوس .. أخذ منها وحط على جسم الفتاة . بدأ بالرأس وانتهى بالقدمين حتى غطاها كلها .

- أيكفيك هذا الستر ؟

وظلت رزم الفلوس تنبض فى هدوء فوق الظهر ، وهو ينظر إليها سعيدا ، حتى بلغ التشوق مداه .. قال وهو يتأهب لأخذها .

- هل أدخل جنتى ؟

.. وبعد فترة هياج ومجاهدة ، تكسر خلالها الضوء الوردى وارتمت ظلاله فى كل الاتجاهات ، راح يسبح متزنا فى جو الحجرة ، متلذذا باستعادة أنفاسه ، متمسحا بالجسمين الهامدين ، منعكسا على رزم الفلوس المبعثرة فى كل مكان .

وكانت هى مستكينه على ذراعه .

وكان هو يقلبها فى رأسه مندهشا .. من أين يأتى المكشوف بمثل هذا الصنف ؟

سألها عن اسمها فقالت .. أم الخير .

فابتسم وضمها إلى صدره .

- من أين يا أم الخير ؟

قالت إنها من الواحات ، قرية القصر ، وأنها يتيمة الأبوين ، وأن خالها هو الذى باعها للمكشوف .

لتفت إليها القطب متعجبا .

- أتقولين باعك ؟

قالت إنه اعترف لها بنفسه ، لأنه مضطر ، فلا يجد مايصرفه على أولاده ولامست دمعتها ذراع القطب وانزلقت عليها .!

- هل يأخذ المشكوف هذه الفلوس ويتركنى أعود ؟

قام عليها القطب وأخذها بقوة فى أحضانه .

- أنا الذى سآخذك .. أترضين ؟

.. وبعد الفجر كان المكشوف يدق الباب فى حذر .. ثم يدخل مبتسما ، ومن ورائه بعض النساء ، يتثاءبن ويسترن أشياءهن بغير خجل .

اقترب من القطب وهمس مداعبا وهو يلوح إليهن .

- الطقم كله تحت أمرك .. ولكن ألا تريد المساعدة ؟

جلس القطب فى وسط السرير ، وبدت على وجه جدية لم تعتدها النساء منه .

وبعد أن رحب بهن ، طلب منهن الجلوس فجلسن .

قال إنه إختارهن بالذات ليوكل إليهن عملا مهما ، ولأنه يحب لهن الخير ، ولأنه متأكد من قيامهن بهذا العمل كما ينبغى ، لذلك فسيكون الأجر مجزيا .

انتبه المكشوف ، أحس أن بوادر الكلام لا تطمئن .!

لم يكن يعرف لماذا طلب منه القطب أن يأتيه بطقم النساء بعد الفجر ، ظنها إحدى نزاوته المجنونة فطاوعه .

قال القطب إنه تنازلا عن رغبة أهل الحى ، وإلحاحهم الشديد عليه ، فقد اضطر لترشيح نفسه لعضوية مجلس الشعب .. ولذلك ، وبعد أن فكر جيدا ، رأى أن يعتمد عليهن كل الإعتماد فى حملته الإنتخابية فهن أهله وأحبابه ، وعلاقتهن الوثيقة بكثير من الأصوات الهامة والفعالة ، ستكون لصالح الجميع . تبادل النساء نظرات التعجب .!

فلم يكن يتبادر إلى أذهانهن مثل هذا المطلب ، من القطب أو من غيره .. ولكن ما أن وجدت كل منهن رزمة الفلوس تلقى فى حجرها ، حتى فرحت الوجوه وانتشت ، ورحن يؤكدن بذل كل مايتمتعن به من مواهب فذه ، لإرضاء القطب وإنجاحه .

وربت المكشوف على كتفه ، مهنئا ومشجعا ، رغم إستنكار صدره لهذه البادرة الحمقاء من القطب ، والعدوانية فى نفس الوقت .

وكان القطب يحس بهذا الاستنكار ، ويعرف جيدا أسبابه وأبعاده .

وعند باب العوامة قال القطب للمكشوف لكى يطمئنه ، أنه رشح نفسه فقط من أجل خاطر الوزير ، وأنه دبر فكرة ترشيح نفسه ليضمن نجاح أخيه فى الإنتخابات ، ثم عاتبه على ظنه السيء به .

- أحسبتنى يمكن أن أنافس أخاك فى دائرته ، معقول أواجه الوزير بهذه الصورة .؟

تاه فكر المكشوف ولم يهتد إلى بر الحقيقة ، إذ كيف يرشح القطب نفسه ليخدم أخاه الوزير ؟

ولم يجد غير إستجابة المضطر فابتسم .

قال القطب لينعش رأس المكشوف ، أنه استعد لمزاد أرض النادى ، وأنه ربط مع المنافسين لحبك الشكل القانونى ، وكلها يومان ويدخل ذمة أخيه الوزير إثنى عشر مليونا ، ويدخل ذمته هو مليونان .

ثم تركه القطب ساهما وأسرع إلى عربته .

- ٤٧ -

كان قصر القطب مملوءا لآخره بالرجال والنساء ، مختلف الأعمار والأوساط ، يتزاحمون ويثرثرون على راحتهم ، يحومون حول مائدة مذهلة بطول الصالة ، وعليها أفخر الأصناف من الحلوى والمشروبات والسجائر .. فيملأون الأطباق ويحملون الأكواب ، ثم يترقبون بقية الأصناف الأخرى الواردة ، والتى تحط على المائدة فى سخاء مبهر .

وبدأ المحترفون يستلون أكياسهم النايلون ، ويملأونها بسرعة ، ويدسونها فى مكمنها . !

وفوجىء عباس بالكم الرهيب من الخلق ، يتوافدون سعيا إلى القصر ، فاضطر أن يطلب كمية إضافية من الكراسى ، ويضعها فى الحديقة ، لعلها تخف ضغط الزحام فى الداخل ..

بدا القصر مغمورا بأضواء تخطف الأبصار .. وعند الباب توقفت عربة الشرطة ، تراقب ، وتشارك فى إلتهام مايخرج إليها من صوان منتقاة .

وكان القطب فى مكتبه ، يلح على المأمور ياسر الشاهد فى التليفون بضرورة حضوره ، ويؤكد له أن تشريفه الليلة لقصره فى منتهى الأهمية ، وأنه لن يندم على هذه الزيارة ..

ولما أقنعه أخيرا ، وتأهب للخروج ، عطلته مكالمة معالى الوزير المفاجئة ، وقد بدا صوته متوترا ساخرا .

- مبروك مقدما ياحاج قطب ، بالتوفيق إن شاء الله .

وصل القطب ما يعنيه كلام الوزير ، واستوعبه جيدا ، ثم ابتلعه فى برود ، وراح يؤكدلمعاليه أنها مجرد مناورة إنتخابية ، لمنع تشتيت الأصوات ، وتجميعها لصالح معاليه ، وأنه لايجرؤ مطلقا على منافسة معاليه فى دائرته ، بل سينسحب فورا فى الوقت المناسب .

ثم ختم المكالمة بإلقاء طعمه الجديد .. فهو يريد أن يلتقى بمعاليه فورا ، لتصفية باقى حسابات أرض النادى ، التى رسا مزادها عليه .. والأهم من ذلك ، لأنه فوجىء بالأرض تنشق تحت قدميه ، وتخرج سربا هائلا من الأرانب السمان ، وأنه لن يلاحق على تجمعيها بمفرده . !

ولما وضع القطب السماعة ، فرد هامته فى إستعلاء ، بينما يلقى بنظرة إستخفاف إلى التليفون .

- خلاص راحت على معاليك .. كفاك ما أخذت .!

كان عباس مرهقا .. فلم يستكن لحظة طوال اليوم .. كان عليه أن يجمع كل من يستطيع من المعارف ، ومن رواد القصر ، ومن أهل الحى .. وأن يملأهم بالطعام والشراب ، ثم يضعهم أمام القطب ، ليعلن عليهم نبأ ترشيح نفسه لعضوية مجلس الشعب .

ولم يكن هذا النبأ مفاجئا لعباس ، ولا مثيرا لدهشته ، فهو يعرف القطب جيدا ، ويعرف أنه حط موضوع مجلس الشعب هذا فى رأسه ، منذ أن طلع رحلة الحج ، ولذا فإنه لن يتنازل عن مقعد فيه مهما كلفه ذلك .. ولكن الأمر الذى أدهشه حقا ، والذى أثار الحسد فى نفسه على موهبة القطب ، هو كيف إستطاع الرجل أن يؤثر على كل هؤلاء الناس ، وبهذه الدرجة ، خلال زمن لايصدق .!

كانت فايزة مستكينة فى ركنها المنزوى ، تختلس عيناها النظرات إلى الوجوه ، ثم تعودان إلى حيث يتحرك عباس .

وملأ أنور طبقا ممتازا ، ودفعه إلى زكريا وهو يحثه على المواصلة .

- كل يازكريا .. خير ربنا كثير

وشدت عفاف كوع زوجها بركات لكى يلتفت .. ففوجىء بابتسامة اللــواء منصور عبد الجبار العريضة تحاصرهما ، بينما يتجه فى همة إلى حجرة القطب .

- أرأيت كيف يحاول أن يسترضينا ؟

- نعم رأيت

لا ولسه .. سأعرف كيف أربيه . !

فى لحظة الذروة خرج القطب إلى الصالة .

فإستبشرت الوجوه ، وتراخى المضغ ، وإنسحبت الأقدام .

وبعد لحظات صمت وترقب .. قال القطب كلمته .

وكانت تخرج من القلب ، لأحبائه ، وأهله ، وشركاء أمواله ومستقبله .

إعترف لهم صراحة بأنهم دخلوا قلبه ، تمكنوا منه واستحوذوا عليه ، فلم يعد يملك من أمره شيئا ، وأصبح لايحس إلا بإحساسهم ، ولاينبض إلا بنبضهم .!

وإعترف لهم بأن الحقيقة مرة ومؤلمة .. فبعد أن ساد الفساد والتضليل والكذب ، وبعد أن تآمر المسئولون على أرزاق العباد ، وسلبوا أطيبها ، ثم حرموا على الناس حتى حق الشكوى .. فماذا تبقى لهم ؟

وارتفعت يد القطب تعتصر الإنفعال ، وهب صوته يغمر المكان .

- حرام .. وحق العباد حرام .!

شبابنا يضيع أمام أعيننا ياناس .!

أبناؤنا فقدوا الأمل فى الوظيفة المجزيه ، والمأوى الآدمى ، والقدوة المخلصة ، فراحوا يفرون من البلد ، وقد لايرجعون أبدا إليها .

أما بناتنا ، زهرات عمرنا ، كان الله فى عونهن .!

ثم سكت لحظات ، وبدا يمسح عينيه وهو منكس الرأس ، بينما يتخلص الصدر العريض من تنهيدة أرهقته .

وظلت الوجوه شاخصة ، مشدودة فى تعاطف تلقائى ، إلى حيث يعانى القطب ، أثر ملامسة الجروح الحية ، والمتقيحة فى صدور البسطاء .

رفع القطب رأسه ، وقال فى تأس يسيطر على نبرات صوته وملامح وجهه ، أنه لم يسع أبدا إلى المقاعد العليا ، لأنه يكرهها ، ويكره أهلها .. ولكن للضرورة أحكامها فهو الآن مضطر لأن يعتلى أحد هذه المقاعد من أجل خاطرهم ، من أجل أن يصرخ بصوتهم وينتزع حقهم من فم الأسد .

هب أنور واقفا يصفق فى حماس ، فامتلأت أرجاء القصر بالتصفيق والتأييد ، ولمعت الفرحة بالعيون .

تساءلت عجوز وهى حائرة بوجهها بين الوجوه .

- ياخرابى .. هل سيأتون بالأسد إلى هنا ياولاد . ؟

لمح القطب ظهر المأمور ياسر الشاهد ينسل بعيدا عن الأعين ، ويدخل حجرة المكتب ، فاستأذن الناس وذهب إليه .

وهناك أخذه بالأحضان ، وغمره بعبارات الترحاب والعرفان على استجابته لدعوته وأبدى المأمور إعجابه الشديد بنشاط القطب ، وحرصه المخلص علي الصالح العام وخدمة أهل الحى . ثم هنأه في حرارة على قرار ترشيح نفسه لعضوية مجلس الشعب ، وطمأنه بالفوز الأكيد .

بدا التواضع مترددا على كبرياء الملامح ، بينما القطب يعترف بأنه لم يعد يجد نفسه إلا فى هذا الطريق ، والذى إكتشف أخيرا أنه قدره المكتوب ، ولا حيلة له فى التراجع أو إعادة التفكير فيه .!

- ٤٨ -

بدأت الحركة تهمد وتستكين فى قصر القطب ، والأضواء تخف بالتدريج من الصالات والحديقة ، وعمال النظافة ينتهون من أعمالهم ويجمعون أشياءهم .

تمطى القطب فى إرهاق ، ثم أسند رأسه على حافة المقعد وأغلق عينيه .

كان يحس أن نشاط ذهنه بدأ يتسرب منه ، لايسعفه على أن يواصل التفكير والتدبير كما يشتهى ، وأن ماقام به اليوم من مجهود لايرضيه كل الرضا ، ولايلاحق سرعة الأحداث التي راحت تسابقه في غير هواده . رواده مفاجئنا طيف أم الخير فانسجمت ملامحه ، وترك خياله يجوس فى تكويناتها الفاتنة ويتلذذ على مهل ، بينما خبرته العريقة فى عالم النساء تستسلم فى غير مكابرة ، وتعترف بداخله لكل طحموحات هذا العالم ، أنه وصل إلى فصيلة الأنثى الحقيقية ، وأنه حط أخيرا على خيرات جنة بكر ، ترضيه ، وتسعده كل السعادة .

إنفتح الباب فجأة فهرب جو الخيال عن رأس القطب ، واصطدمت عيناه بالرجل يهرول إليه غاضبا ، بينما عباس يلاحقه ويعجز عن مقاومته ..

- الملك لله والعظمة لله يا عبد الله

وارتمى الرجل على المقعد وهو يلهث ، وعيناه تتسعان وتجوسان فى ثراء المكان .

وتجمدت الدهشة والاستنكار بوجه عباس ، تستطلعان فى تخوف رد الفعل على وجه القطب .

ابتسم القطب مرحبا بالرجل ومطمئنا عباس .

كما يعترف أيضا وبدون خجل ، أنه رجل خام فى موضوع المعارك الإنتخابية ، وأنه يعتمد كل الإعتماد على خبرة حبيبه المأمور وعلاقاته ، فى مساندته ، وفى الوقوف إلى جواره ، لما بينهما من صداقة حميمة .

وحرص مشترك على الإرتفاع بمستوي الحى وأهله .

وسكت القطب ليستمع لتجاوب المأمور مع مناورته ، وليتأكد من قابليته لمزيد من التطويع المفيد ، ولما تأكد ، بدا يتذكر شيئا جعله يعاتب المأمور فى تأثر شديد ، فكيف هان عليه أن يحرمه من القيام بالواجب ، والمشاركة فى حفل الخطوبة الذى أقامه المأمور لولده فى الأسبوع الماضى .

- أهذا كلام ياباشا ، أكنت تغفرها لى ، لو أننى نسيت دعوتك لفرح ابنى .!

تضاحك المأمور وهو يبدى إعتذاره . فالمسألة لم تتجاوز العائلتين، ثم إن الحاج قطب سيكون الشاهد الأول على عقد القرآن إن شاء الله .

ولم يقتنع القطب بالاعتذار .!

وظل يتمادى فى موقفه ، آخذا على خاطره من فعلة المأمور .. فهو لن يسامحه حتى يقبل منه هدية العريس ، ولده ، والتى نذرها على نفسه من مدة ، وتعتبر دينا فى رقبته للولد .

ثم سحب من مكتبه ورقة مطوية وقدمها للمأمور.

- هدية العريس ياباشا ، وقسما بالله ، لا أريد أن أسمع منك كلمة واحدة .

فرد المأمور الورقة مستطلعا ، ثم بدت ملامحه تفور وتندهش.

كانت الورقة عقد تمليك شقة ، بإسم العريس ، وفى برج التوحيد والنور ..

- الشيخ دردير ، صديق عزيز ياعباس

خرج عباس متثاقلا ..

وظل الشيخ دردير قابضاً بكلتا يديه على عصاه الغليظة ، المزروعة بين فخذيه المنفرجتين ، بينما يزوم من جوفه في غضب . !

ترك القطب مكتبه وجلس فى مواجهته .

قبض معه على العصا بقوة ، وظل يسأله العفو والسماح وهو يتطلع إليه فى مداهنه .

- من لا يعرفك يجهلك يامولانا .

كانت اللحية متنافرة الأطراف ، والحاجبان منكفئان على عطب العينين ، وحين راح يطوح الرأس فى تواتر ، تأرجحت الحلقة المعلقة بحلمة الأذن .

- البيوت لأهل الله .. والضيوف ضيوف الله .. وأعوذ بالله من غضب الله .

ثم مد يده بغتة إلى كوب الليمون الموضوعة على المكتب وتجرعه على مرتين بصوت خشن .

تركت أصابعه المتسخة بصماتها على الزجاج الشفاف ، ولم يطق القطب رائحة ثيابه المتقيحة فتراجع فى كرسيه . !

تجشأ الشيخ دردير مرات متلاحقة ، بينما يحمد الله ويشهق وهو مغمض العينين .

سأله القطب عن حاله ، ومتى جاء إلى القاهرة ، وكيف عرف عنوان قصره . ؟

ففوجىء بصوت شخيرة يرتفع بالتدريج حتى أصبح مزعجا . !

تطلع إلى قمة المنفرج ، وشعره المليد النافر من تحت العمامة الكالحة ، ثم هم بالقيام .

شهق الشيخ درديز بكل صدره ، ومسح فمه بكفه ، ثم أمره بالبقاء فى مكانه .

- تكلم .. أنا أسمعك يافرس النبى

ابتلع القطب ضيقه ، لم تعجبه طريقة الكلام .. فطلب فنجان قهوة لعله يعينه على الزيارة المفروضة عليه ، وطلب ينسونا للشيخ .

تساءل الشيخ درديز وهو يهرش رأسه بأظافره السوداء

- كيف حال المال والولد ياعبد الله .

قال القطب إن المال ينمو بفضل الله ، أما الولد ...

وإنفرجت ملامح القطب فى تشوق ، فمال على الشيخ وأخبره فى عرفان أنه استجاب لنصيحته الغالية وأخذ إنشراح ، فاستقرت بذرته أخيرا فى رحمها وتمت ، وقريبا ستأتيه بالولد .. ثم راح يتشفع ببركات الشيخ وبصيرته المكشوف عنها الحجاب .

ومرة ثانية فوجىء بصوت الشخير يرتفع حتى أصبح مزعجا . !

أمسك العصا وهم أن يهزها ، فشهق الشيخ ومسح فمه بكفه ، ثم نظر من تحت جفنيه وتساءل .

- إنشراح من . ؟

تراجع القطب متعجبا ..

وأخذ الشيخ كوب الينسون الساخن وتجرعه على مرتين بصوت خشن .. ثم اعترض على رغبة القطب فى أن يأخذه لينام ، والصباح رباح ، يتكلمان فيه على راحتهما .. وقال أنه سيظل على كرسيه حتى يؤذن الفجر فيرحل .

سأله القطب متعجبا ، لماذا يسارع بالرحيل مادام قد جاء لزيارته . ؟

فعاد الشيخ يطوح رأسه فى تواتر

- جئت أرى فرس النبى ، ولكنى لم أجده .

ثم مال بجذعه إليه .

- إنشراح من ياعبد الله . ؟

ارتبك رأس القطب .. فكيف لايجده وهو جالس أمامه . ؟

وحاول أن يذكره بنصيحته له ، وهما جالسان فى رحاب السيد البدوى .

- ألم تقل لى خذ إنشراح تأتيك بالولد . ؟

هرش صدره فى تكاسل ، ثم راح يدور بالعصا بين فخذيه فغاص طرفها فى ليونة السجادة

- أنا قلت . ؟

- نعم قلت

- وأنت فعلت . ؟

- نعم فعلت

- أى إنشراح . ؟

- التى وجدتها .. والتى ...

وتردد القطب فسكت ، لم يرحه تلاحق الأسئلة المصوبة إليه ، ولا رائحة الرجل ، ولا إصراره على أن يظل فى مقعده حتى أذان الفجر . ولكنه كان لايملك غير الصبر ، يتذرع به مجبرا حتى يأتى الولد وتنتهى المسألة على خير .. وإلا فقد يغضب عليه هذا الجلف فيحدث مالايحمد عقباه .!

قال الشيخ مستحثا

- والتى ماذا ياعبدالله

ثم لاحقه قبل أن يجيب

- وهل أخذت . ؟

- سآخذ إن شاء الله

أراح الشيخ جبهته على رأس عصاه ، وبدا صوته يغالب النعاس

- إعط قبل أن تأخذ يافرس النبى

قام القطب إلى درج مكتبه وأخرج عدة رزم ، وضعها فى كيس ومدها للشيخ فى تودد .

- خذ يامولانا .. مد يدك وخذ

لم يمد الشيخ يده ، ولم يفتح عينيه .. وتساءل وهو يتمايل برأسه المرتكز على عصاه

- آخذ ماذا يافرس النبى .؟

- أبدا يامولانا .. مبلغ بسيط .. وحين يتم كرم الله فسأعطيك الكثير

رفع الشيخ رأسه وتطلع إلى القطب باتساع عينيه ، ثم ابتسم ساخرا

- لاتكلمنى حتى يؤذن الفجر

ثم القى برأسه على ظهر المقعد ، واحتضن عصاه بين ذراعيه ، وارتفع صوت شخيره بالتدريج حتى ملأ الحجرة .!

- ٤٩ -

كان القطب يتطلع إلى الصورة فى تأثر واضح . !

يقربها من عينيه وهو سارح فى تشوق ، بينما يجيش بالصدر صهد دافىء ، وتتهدل الملامح منسلخة عن جهامتها وتجبرها .

كانت صورة أخيه عبد التواب ، الأخ الأكبر والوحيد ، بعد أن مات الاخرون ، أكلهم القدر فى حوادث متلاحقة ، الواحد تلو الآخر ، إجتثهم فى غير رحمة من شجرة العائلة ، ليبقى هو البرعم الوحيد فى شجرة أبيه .!

حرك القطب جمرات الشيشة بأصبعه ، وشد نفسا متراخيا .

ومن يدرى .. فقد يباغته القدر ويأكله هو أيضا ، فى أى لحظة ، وكما أكل كل إخوته .

معقول يأكله قبل أن يرى الولد ، ويضمه إلى أحضانه ، ويتأكد أنه يحمل ملامح أبيه ، أو جده ، أو ملامح عمه عبد التواب .!

معقول يأكله قبل أن يعتلى مقعده فى مجلس الشعب ، ويتمكن منه ، فيقطع بذلك السنة أهل بلدته التى تطاولت على عائلته ، عائلة فرس النبى ، وحاصرت أباه حتى مات مقهورا . !

وتراءى له من خلال الدخان وجه عبد التواب ، منطرحا على ذراعه ، والدماء تغرغر فى حلقه . وتنزف من أنفه وفمه ، والعين المذعورة تتلهف ، والعين المكلومة تقاوم ، ثم تنطفىء .!

آه لو عرف من الذى أطلق عياره على أخيه عبد التواب ، ولماذا فعلها .؟ عبد التواب كان قلبه نقيا كالحليب ، وكلامه حلوا كالشهد ، كان عطوفا وحنونا ، ملاذه الأخير كلما ضاقت به الدنيا وتكالبت عليه .

ويومها أحس أن العيار كان يقصده هو ، كان موجها إليه من عدو يتربص به ، ولكن حركة عبد التواب المفاجئة جعلته يتلقى العبارة فى مقتل ، وينهار على صدره مهيضا .!

طوح القطب ذراعه ليشتت تهويمات الدخان من أمامه ، والقى بمبسم الشيشة على الترابيزة . فتح الصندوق الصغير والتقط خاتم عبد التواب وساعته ، كان الخاتم كبيرا من الفضة ، له فص غريب الشكل ، تماما كخاتم القطب ، والخواتم التى يهديها للمقربين إليه ، والساعة أيضا من الفضة ، ساعة جيب أثرية ، لها كتينة طويلة ، ومنقوش على طرفها من الداخل اسم الجد الأكبر فرس النبى ، انتقلت من الجد إلى الأب ، وبعده استقرت على صدر عبد التواب .

فتح القطب ظرف الساعة من الخلف والتقط فى حرص وريقات الحجاب المثلث ،كانت صفراء متهرئة منها رائحة بخور معتق .. وعادت العين الحنونة تحتضن العين الحائرة وتطيب خاطرها ، بينما الصوت يتلمس حلق الاذن .

- كله بأوانه ياقطب ياخويا ، الرزق والولد بيد الله .. اسمع .. زر السيد البدوى ، ابحث عن الشيخ دردير وكلمه ، افتح له قلبك ، ومن يعرف ، فعلى العبد أن يأخذ بالأسباب .

وقتها لم يعجبه كلام عبد التواب ، فلم يطاوعه ، يعرف أنه متواكل وعلى نياته ، ويمكن التأثير عليه بسهولة ، وخاصة إذا وقع فى يد أحد دراويش الموالد أو مدعيى الكرامات والشفاعات .. ولكن بعد أن مات عبد التواب على ذراعه ، وبسببه ، ظلت عقدة الذنب تطارده وتؤنبه ، فراح يسترضى روحه بكل الوسائل .. فواظب على إقامة ختمة المولد النبوى بنفس السخاء وفى نفس المكان الذى كان يقيمها فيه عبد التواب . إهتم بزوجته وابنته الوحيدة ، ورصد لهما مايكفل معيشة طيبة . زار السيد البدوى عدة مرات حتى عثر على الشيخ دردير ، وباح له بمشكلته . وعلى الرغم من أنه لم يقتنع بجو هذا الشيخ ، ولم يستوعب الكثير من لغته وتهويماته ، إلا أنه عمل

بنصيحته ، إستولى على انشراح الوحيدة التى عرفها ، فتزوجها لكى تأتيه بالولد ، وفعلا ستأتى بالولد .

إبتسم القطب ساخرا وهو يعيد وريقات الحجاب فى ظرف الساعة .. الرجل الملتاث عاد بالأمس يتنصل من نصيحته ، يشككه فى المرأة التى اختارها له وحددها بالاسم ، وبعد أن استجاب بطنها لبذرته وظهرت البشائر .!

عاد القطب يتطلع إلى صورة عبد التواب فى عرفان ، فلولاه ماالتقى بالشيخ دردير وماتزوج إنشراح ، أم الولد المرتقب . !

وخايله وجه عباس عندما التقى به لأول مرة ، فأدهشه ذلك التشابه الغريب بينه وبين وجه عبد التواب ، ومن يومها وجد نفسه متعلقا به ، لايملك إلا أن يقربه إليه ويرعاه ، إكراما لوجه أخيه المفتقد . !

إنتعشت ملامح القطب وسرت فيها حموة التشفى .. ثم مالبث أن إمتصت رعونتها وتبلدت . سيطر القطب عليها قبل أن تبوح بمدى حرصه على الإيقاع بالمهندس مدكور ، وقبل أن يتصيد رمزى القرموطى فرصته لينتفخ ويأخذ حجما أكبر من حجمه .!

تساءل القطب فى تثاقل متزن .

فراح القرموطى يشرح له بالتفصيل ، مباهيا بقدراته الفذة فى السيطرة على أمور الحى ، كيف أنه ظل يراقب وينبش وراءه بكل الطرق ، حتى أوقعه أخيرا فى قضية محكمة ، جريمة تعريض الأرواح للخطر ، أثبت عليه تعمد استخدام الخرسانة المضروبة فى هيكل برج يشرف على إقامته .

ثم قال فى زهو يتمسح بإسترضاء القطب .. إنه قام بمهمته على أكمل وجه ، وأن المذكور أعلاه أصبح فى خبر كان .!

إرتاح صدر القطب فتنهد ، وطمأن القرموطى أن مكافأته محفوظه .. ثم ضغط على « الدكتافون » وسمح لمنصور عبد الجبار أن يدخل .

إنتبه القرموطى ، وبدا كأن الفكرة حطت عليه لتوها ، وأنه يبادر بها مخلصا قبل دخول الرجل .!

ومال على القطب هامسا أن يوكل قيادة حملته الإنتخابية لمنصور عبد الجبار ، فهو رجل خطير فى مثل هذه الأمور .

ثم قام لينصرف .

أخذ القطب الجريدة من يد منصور ليقرأ الخبر بنفسه .

- معقول .. لاحول ولا قوة إلا بالله

قال منصور فى برود وهو ينفخ الدخان إلى أعلى

- أعمار .. جاء من أمريكا ليموت فى بلده

ثم تراخى فى مقعده وقال بصوت متلون النبرات

- عموما .. أراح وإستراح

تطلع إليه القطب متوجساً .. أحس أنه يناور فى خبث ، ثم عادت عيناه إلى الجريدة .

المسألة تبدو ضربة حظ مفاجئة ، هدية من السماء جاءته فى وقتها يموت الرجل قبل أن يصل إلى النيابة ، أو حتى إلى بيته ، فيوفر عليه مزيدا من المشاكل ووجع الدماغ .

وإنشرح صدر القطب ، فحمد العاطى على هديته ورضائه .

قال منصور وهو يضع قناع التأثر على وجهه .

- شئ بشع ، الرجل إنسحق هو وحقيبة أوراقه تحت عجلات عربة الزلط .

ثم هرس عقب سيجارته فى الطفاية .

- أه .. قضاء وقدر .

قال القطب ليقطع خط الرجعة على تلميحات منصور السمجه ، بينما يده تجث فى درج مكتبه عن دفتر الشيكات .

- عموما موت الدكتور عاصم مكاوى لايفيد قضيتنا فى شئ .

لأن أرض الأجرودى أرضنا ، وأورقها تحت يدى ، كل ماهناك أن ربنا قصر علينا طريق المشاكسه ووجع الدماغ .

ثم باغته بالسؤال عن سير العمل ، وماتم إنجازه على أرض الأجرودى .. وقبل أن يهم منصور بالكلام ، وقع القطب على الشيك ومده إليه .

- دفعه تحت حساب المصروفات ، من الآن أنت المسئول عن تغطية حملتى الإنتخابية .

تطلع منصور إلى الشيك فبهره الرقم ، وفهم أن القطب أراد أن يسوى المسائل المعلقة فى ذكاء مدروس .

ظل القطب وحيدا فى الحجرة ، ورأسه يجتر ملابسات الحادث ويقلب أبعادها .

هل حقا مات الرجل قضاء وقدرا ، أم أنها عملية مقصودة ومدبرة .؟

ثم من الذى دبرها .. ولماذا .؟

من صاحب المصلحة غيرى فى القضاء على عاصم مكاوى .؟

هل تطوع لها أحد الثعالب لينال رضائى ومكافأتى .. ولكن من يعرف الحقيقة ومن يجرؤ .؟

هل فعلها فهمى عرفات .؟

هل هزته ثورة مرؤسه زكريا ، واتهاماته الخطيرة له ، حين أحاله للنيابة بتهمة سرقة سجل القيد .؟

ولكن هل يمكن أن تصل الأمور لهذا الحد ، للقتل ، وبهذه الطريقة .!؟

- ٥١ -

بدا التوجس يطفو ويتسع فى عينى الوزير .!

لم يقتنع بكلام القطب ولم يدخل دماغه .

كان متأكد أن الرجل يمكر به ، ويتأهب فى خبث لسحب البساط من تحت قدميه ليوقعه .!

كل الظواهر توحى بذلك وتؤكده .. حماسه المتزايد فى تلبية خدمات أهل الحى ، عيون رجاله وألسنتهم المزروعة فى كل مكان ، وكل تجمع ، الأموال السخية التى يبعثرها على الخلق ، المشاريع الوهمية التى يروج لها .. معقول يفعل كل ذلك من أجل سواد عينيه ، وبدافع الإخلاص والولاء كما يدعى .!

ثم منذ متى كان بينهما هذا الإخلاص والولاء .؟

إرتشف القطب من كوب الليمون فى تمهل .. قصد أن يترك الوزير ليراود نفسه على هواها ، كان متأكدا أنه يحسبها جيدا ، وبذكاء الوزير الحريص على كرسيه كل الحرص ، وأنه لابد أن يزعن ، ولو غصبا ، وإلا فتح على نفسه أبواب جهنم .!

قال الوزير وهو يضع ابتسامة مترددة على وجهه .

- أتعدنى أن تنسحب فى الوقت المناسب .؟

ورد القطب فى جدية متثاقلة .

- وتفوز معاليك بالتزكية .. وألف مبروك مقدما .

وفتح القطب حقيبته ، وأخرج أوراقه ، وفردها أمام الوزير

- بيضة الديك ، ها هو إثبات حسن النوايا

ثم راح يشرح للوزير تفاصيل العملية العبقرية ، التى درسها واستعد لها بكل إمكانياته .

حديقة أبو عافيه على أطراف المرج ، مائه وخمسون فدانا من الفواكه تملكها الشركة الأهليه للإنتاج الزراعى ، شركة قطاع عام ، أقنع رئيسها أن يبادر ببيعها ، تفادياً لخسائرها المتلاحقة ، وتخلصا من مسئولية إهدار المال العام . السبت القادم سيدخل المزاد الصورى خمسة من كبار الأسماء ، يمثلون معالى الوزير ، والحاج قطب ، وثلاثة آخرين . مهمة هذا المزاد الصورى أن يخلص الأرض من يد الحكومة بأقل سعر ، على إعتبار أنها أرض زراعية ، وستستخدم لنفس الغرض .

ثم بعدها نعقد المزاد الحقيقى فيما بينهم هم الخمسة ، والقادر يشيل .!

عبث الوزير بشاربه بينما يغرق فى التفكير .. فبادره القطب مطمئنا

- لا تقلق .. كله فى السليم .

ثم إن العقد الذى جهزناه لايخر نقطة ماء واحدة .

ودخل القطب فى التفاصيل ليلهب حماس الوزير ويسيل لعابه .

أخبره أنهم إتفقوا على حد أقصى لشراء الفدان من الشركة بربع مليون ، بما فيه الإكراميات طبعا ، وحسبوا مصاريف تجهيزه لأرض مبانى مئة ألف .

فإذا كان متر أرض المبانى فى هذه المنطقة يساوى حاليا خمسمائة ، فهل تتخيل كم يكون المكسب .

وتمدد القطب فى مقعده منتشيا

- ألم أقل لك أنها بيضة الديك .؟

سرح الوزير لحظات مع الأرقام فأدهشته ، واقتنع أنها بالفعل بيضة الديك .

ولكن مالبث أن راوده التردد وسيطر عليه .!

إشتم أنفه المدرب خطورة المغامرة ، ووعورة الخوض فيها إلى بر الأمان ، فاللعبة ليست هينة كما تبدو .. وإلا فلماذا لم يفعلها القطب بمفرده .؟

لماذا آثر أن يستعين به هذه المرة بالذات .؟

أن يبوح له بسر اللعبة ويشركه في دور البطولة .؟

لابد أنه يدبر شيئا خطيرا ، شيئا يفوق تلك الملايين التي يساوم عليها .!

إنتبه إلى القطب وهو يتكلم في ثقة القابض على إمكانياته .

– تجفيف الترع وردمها ، تقطيع أشجار الفاكهة وتسوية الأرض أسبوع واحد بمشيئة الرحمن ، نذيل كل معالم الحديقة ويصبح كله في السليم .

وفوجئ به يلتقط يده في حماس ويحثه على قراءة الفاتحة .!

إستطاعت فايزة أخيرا أن تلين دماغ أمها إنشراح ، أن تخفف من مخاوفها وترددها فتجعلها توافق على طلب عباس ، فى أن يذهب لأبيها الأسيوطى ويكلمه ، ويطلب يدها منه ويحصل على موافقته ورضاه .

ففى البداية فوجئت إنشراح بما يرمى إليه كلام البنت ، بما يوحى إليه من تعاطف صريح مع عباس ، لم تكن تتوقعه .!

ولما جرتها فى الكلام عرفت أنها تميل اليه وأنها سمحت له أن يتقدم ليطلب يدها ، فثارت عليها وحذرتها ، إن هى تمادت فى هذا الموضوع أو حتى إن فكرت فيه ، لأن البنت كانت تعرف مخاوف أمها ، وأسباب هذه المخاوف ، وتلتمس لأمها الأعذار ، لذا أخذتها بالصبر والهوادة ، وراحت تبوح لها أن الظروف هى التى إضطرتها لأن تقترب من عباس ، وأن تتعرف على شخصيته ومعدنه ، فتأكدت أنه شاب نقى ومخلص ، وأنه حين وقع تحت جناح القطب ، وقع مضطرا ومتأزما .

- صدقينى ياأمى ، عباس ، ابن حلال ، ولايرضى أبدا عن أفعال القطب وألا عيبه .

واستمرت فايزة تلح وتستعطف ، وتؤكد لأمها أن عباس بدأ يبنى مستقله بطريقة شريفه ونظيفة ، وأنه يقوم ببعض أعمال المقاولات لحسابه الخاص ، وبمجرد أن يقف على رجليه سيترك القطب ويستقل بذاته .

- إفهمينى ياأمى ، عباس يعرف ظروفنا وقلبه علينا ، هو الوحيد الذى يمكنه أن يساعدنا ، أن يحمينا من غدر القطب .

ولما بدا التوجس علي وجه إنشراح ، وراحت تتساءل ،إن كان عباس قد فاتح القطب في هذا الموضوع وأخذ رأيه ، وإن كان قد وافق ، إستنكرت فايزة تخوفها ، وأكدت لها أن عباس يعرف كيف يتصرف مع القطب ، ثم إن القطب لاشأن له في هذه المسألة ، ولن يستطيع أن يفعل شيئا ، إذا لم يأت هذا الزواج على مزاجه .

ظلت إنشراح متردده ، تراود العواقب بقلب قليل الحيلة ، وعين ترفرف على البنت وتحنو عليها ، تخاف أن يجرفها التيار إلى دوامة عباس ، فتفلت من يدها وتروح ، تنجرف ، كما جرفتها هي دوامة القطب وإبتلعتها .!

فمن يدرى مايخبئه هذا العباس لهم .؟

وقد يطلع أمكر من القطب وأخس .. قد يغير جلده ويظهر على حقيقته بعد أن تقع الفأس في الرأس ، فتضيع البنت ولاترجع .!

القطب .. الحاج قطب .. إتضح أنه تاجر في المخدرات ، وأكل من حرام ، وغدر بالأسيوطي ، حبيبه وأمين سره كما كان يدعى ، وتزوج الكثيرات قبلها .

وعباس هذا عاشره زمنا وإختلط به ، ولابد أنه تأثر بأفعاله وشرب من خصاله .!

ويريد الآن أن يبدأ بالبنت ، يجرب عليها حيل سيده وخبثه ، والافكيف إستطاع بهذه السرعة أن يطوى رأسها ويستميله إليه .!

أشفقت فايزة على تردد أمها فأخذتها في أحضانها ، إضطرت أن تبوح بما أسره عباس لها ، عن فعلة القطب الأخيرة ، حتى تبرهن على إخلاص عباس لهم ، وتكشف دناءة القطب لأمها ، تثبت لها أنه لايبقى على كرامة أحد ، ولايحس بمشاعر أحد .!

وراحت تستحثها على أن تنتبه لإثبات وجودها ، ولاتتغافل عن حماية حقوقها ، كزوجة شرعية لهذا المخادع .

إنكفأ رأس إنشراح ممتلئا بالمرارة ، وهمدت في الصدر أشباح أحاسيس ظلت حائرة ، تلح وتحذر في جسارة ، تؤكد حقيقتها وتعبث بكرامة الأنثى ، تسخر منها .. همدت في قاع الصدر ، ككتلة صماء شامته ، مسنونة الأطراف .!

أخذت إنشراح رأس البنت بين يديها ونظرت فيه ، أوحت له بالموافقة على أن يبادر عباس إلى أبيها الأسيوطي .. ويكلمه .!

- ٥٣ -

فوجىء المكشوف بثورة أخيه الوزير تهب عاتية عليه ، تحاصره بالأسئلة المتلاحقة والتوبيخ المستفز ، بينما معاليه يهتز بكرسيه الفخم ، ويضرب صدر مكتبه فى عصبية .

- كسر عينك القطب ، إشتراك وجرك وراءه .

أنت تقف أمامى يامكشوف .؟

تتنكر لأخيك على آخر الزمن وتشمت به الأعداء .؟

طيب يامكشوف ، حسابنا فيما بعد .

تطلع المكشوف لأخيه وهو ساهم .؟

تجمد لسانه وفارت دماء وجهه .. لم يكن يتوقع أن تصل الأمور لهذا الحد .

لأن يتطاول عليه أخوه الأصغر ويهينه بهذه الطريقة .؟

لم يفعلها من قبل ، مهما اعترضهما من خلاف أو سوء تفاهم .

لايهم .. كل الأمور واردة ، ومحسوبة .؟

وتماسك المكشوف بسرعة وإبتسم فى برود ، إرتشف القطرات الأخيرة من فنجانه بصوت ممطوط ، ثم هم بالقيام .

- نتكلم بعد أن تهدأ .

ترك الوزير كرسيه ، أسرع ليواجه المكشوف فى الكرسى المقابل ، ويشده لكى يبقى مكانه .

- أي كلام يامكشوف ، هل بقى كلام يقال .؟

تميعت ابتسامة المكشوف ، وراحت عيناه تخطفان نظرات الترقب من تحت الجفنين .. كان قد اخفى على الوزير مسألة إغراء القطب لنساء الكازينو ، وسخاء عطائه لهن ، ليستفيد بإمكانياتهن فى حملته الانتخابية ، فهو لم ير يومها جدية واضحة فى كلام القطب ، أو على ملامح وجهه ، فظنها إحدى نزواته الاستعراضية أمام نساء الكازينو ، أو على الأكثر تكون مداعبة للوزير ، قبل أن يدخل معه فى صفقة جديدة .

ولكن يبدو أن الجو قد تعكر بينهما ، وأن أخاه أحس بغدر القطب ، تأكد أنه سيأكله فى المعركة الانتخابية ، لو أنه إستمر فى لعبته ، ولم ينسحب من المعركة قبل فوات الأوان .!

قال الوزير فى حسم وهو يحاصر وجه المكشوف .

- اغلق الكازينو اليوم وسرح نساءك

بدأ التعجب على المكشوف ، ساخرا من الكلام وطريقته ، ثم عاد يهم بالوقوف ليتجنب الرد عليه

- قلت نتكلم بعد أن تهدأ

إنتفض الوزير ودفعه إلى الكرسى ، وهو يزعق فيه

- سننتهى الآن

طاوع المكشوف حركة أخيه فى بلاده ، ثم همس له محذرا

- نحن فى مكتب معالى الوزير .!

إنتبه الوزير ومسه تحذير المكشوف ، ثم مالبث أن إستخف به وعاود

- اغلقه الآن ، وبعد الهوجه أنت حر .

تساءل المكشوف وهو يبرم سيجارته فى تكاسل

- ولماذا اغلقه .؟

ثم مادخل الكازينو المحترم فى مسألة الانتخابات .؟

راح الوزير يستحلب صبره ، وهو يجاهد مكر أخيه .. فإعترف بأن القطب قد غرر به ، استدرجه بحيله إلى الموقف الصعب ، وعده أن ينسحب عن منافسته فى الوقت المناسب ولم يفعلها ، ومعنى ذلك أنه أسفر عن نواياه الدنيئة ، عن إصراره فى خلعه عن دائرته الانتخابية والاستيلاء عليها ، وبكل الطرق غير المشروعة ، ومن ضمنها عقد إجتماعات مشبوهة فى الكازينو ، للتأثير على رواده وتجنيد عاهراته .

تضاحك المكشوف ساخرا .

- عقد اجتماعات مشبوهة فى الكازينو .؟

هز الوزير رأسه مؤكدا ، ثم تساءل .

- أتعرف ماذا يعنى سقوطى فى الانتخابات .؟

أبدى الكشوف توجسا مفتعلا ، فواصل الوزير وهو يبتلع خبث أخيه ، أن سقوطه فى كسب ثقة دائرته ، يعنى أن يهتز به كرسي الوزارة ويطيح به فى أقرب فرصة ، فيخسر كل شيء .؟

قال المكشوف فى استخفاف ، بينما يدفع بعود الكبريت أحشاء السيجارة إلى جوفها ، بعد أن رطبها بزيت الحشيش النقى

- معالى الوزير يقدر البلاء قبل وقوعه .

راح الوزير يجتر إنفعاله وعينه على سيجارة المكشوف .. قال إن القطب مقامر محترف وخسيس ، جمع كل أوراق اللعبة فى يده ، ولم يترك له سوى الهزيمة المهينة ، أو أن يقلب الترابيزة عليه ويحطمه .

قال المكشوف وهو ينفخ دخان السيجارة فى تلذذ

- ولماذا لاتفعلها .؟

قام الوزير وفتح شبابيك الحجرة ، وأدار مروحة التكييف على آخرها لتطرد الدخان ، ثم ارتمى على الكرسى منهزما .

- المصيبة أنها ستصيبنى فى مقتل قبل أن تمس شعره من هذا الأفاق .. ألم أقل لك أنه مقامر محترف .!

ظل المكشوف غارقا فى كرسيه ، يتلذذ بسيجارته ، ويتلذذ أيضا برد إعتباره ، وهو يضع معالى الوزير على الصفيح الساخن ، فيوقفه عند حده ، ويلجم غطرسته وتطاوله عليه .

قال وقد استهوته سخونة المشاغبة

- ولكنك معالى الوزير ، وكلمتك ستكون الأعلى والأصدق

أخذ الوزير سيجارة المكشوف وشد منها نفسا عميقا .. فتخدرت الملامح وبدت متهدلة ، وظلت الهواجس ترعى فى الدماغ وتقلقه .

هل يبوح، للمكشوف بصفقته الأخيرة مع القطب فيشركه فى التفكير والتدبر ، أم ينتظر لعل الأمور تسير كما يشتهى .؟

العملية كبيرة ، بيضة الديك كما قال الملعون ، ابتلعت كل رصيده وتركته عاريا ، لذلك آثر أن يخفى الأمر عن المكشوف ، ينساه هذه المرة ، ويستحوذعلى أرباح العملية بمفرده . فمن حقه أن يكون لنفسه رصيدا معقولا ، يسنده وقت الشدة ، ويعينه على غدر كرسى الوزارة ، ثم إنه لم يبخل على المكشوف بشىء أعطاه الكثير وسهل له الأكثر ، فماذا يريد .؟

إنتبه إلى أخيه وهو يأخذ منه السيجارة

- أين ذهب معالى الوزير .؟

قام الوزير وتمشى فى الحجرة ، تجاهل إلحاح التليفون ولم يرفع السماعة .. يبدو أن المكشوف يعرف موضوع صديقه أبو عافية ، عيناه تلمحان فى خبث ، تؤكدان إصرارهما الدائب على ملاحقة ظله ونبش اسراره، خاصة تلك التى تدور فى فلك القطب .!

هل يجره فى الكلام ليجس نبضه ويستطلع نيته .؟

أم من الأفضل أن يبادر هو فيقطع عليه طريق المناورة السمجة .؟

وبعد عدة خطوات متأنية حسمها الوزير مع نفسه .. فعاد إلى كرسيه فى هدوء أيقن أن التخوف من القطب يهدده ويثقله ، وأنه يعجز عن حمله بمفرده ، كما يعجز عن التخلص منه أو إغفاله . وأن الملاذ الوحيد لأزمته هو المكشوف ، ولا مخلوق سواه . !

- ٥٤ -

إنتـهى منصـور عـبد الجـبار من كـلامـه ، أخـذ راحـتـه فى إثبـات ذاته ، وإستعراض إمكانيـاته الخارقة فى إدارة دفة العمل بموقع أرض الأجرودى ، فلولا خبرته وحسمه ، لما إنتهى صب الهيكل الخرسانى فى هذه الفترة المذهلة .!

ثم إنتظر أن يتلقى عـبارات الإعـجاب والثناء من القطب ، ولكنه فـوجئ به منشـغـلا عنه ، يداعب مسبحته ويقلب أوراق النتيجة وهو شارد .!

فكر أن ينسـحب ، أثر أن يؤجل باقى مـاعنده حـتى يروق القطب ، وينعـدل مـزاجـه ، فينتبه إلى كلامه وبلاغيه .

وقبل أن يتحرك رصده القطب وأمره أن يجلس .

ثم باغته بتساؤله عن أخبار الحملة الإنتخابية ، وماذا فعل إلى الآن .؟

عـاد منصـور يفـرد قـامتـه ويتـأهب ، وجدها فـرصـة لغـزو دمـاغ القطب ومناوشـة وتره الحساس ، بعد أن لاح الطريق إليه .

قال فى حسم لايشوبه شك .

- ستنجح ياحاج .. إطمئن

نقر القـطب زجـاج المكتب بطرف أصبعـه ، لم يكن مـسـتـعدا لإضـاعـة الوقت فى كـلام عـائم ، أو إعطاء الفرصة لهذا الثعلب أن يدغدغ حواسه ويربط رأسه .

- هات المفيد يامنصور

أبدى منصور دهشته وإستياءه .!

أزعجه أن يتشكك القطب فى إمكانياته ، أن يراجعه خطوات خطته الخاصة ، بهذا القلق وهذه الإستهانه .!

- هل سبق أن خاض الحاج حرب الإنتخابات .؟

تأفف القطب معلنا نفاذ صبره ، من مراوغة منصور ، ومن إستهانته بحساسية الموقف وخطورته .!

أخذه فى عينيه وضغط عليه فلم يتركه

- هات المفيد .

طاوع منصور فهز رأسه ممتثلا ، وإن تنافر على ملامحه بوادر إبتسامة مفتعلة مع رفض مكبوح لضغط القطب وملاحقته .!

كان لايريد أن يشعره بالأمن ، بل يتركه ليستوى على نار هادئة ، فيستنزف منه على قدر مايستطيع .

ولكن بدا أن الرجل منتبه له أكثر مما توقع .!

أولى منصور بجزء من خطته ، وفى حرص شديد وإعتزاز راح يمن به على القطب .

قال إنه إتصل بمكاتب سجلات وزارة الصحة ، وحصل على عشرة آلاف صوت من عالم الأموات ، حديثى الوفاة ، وغدا ستصله بطاقاتهم الإنتخابية .

كما حصل من نفس المكاتب على عشرة آلاف صوت ممن بلغوا سن الإنتخاب قبل يوم التصويت ، وبطاقاتهم تحت يده .. وأنه جمع أكثر من خمسة آلاف صوت من فئة ربات البيوت ، اللاتى لم يستخرجن أصلا بطاقات شخصية ، واتفق مع عشرين إمرأة مأجورة ، لينتحلن هذه الأسماء ويتواترن بها على اللجان . ثم باغته منصور وعيناه ترصدان رد الفعل على وجهه .

- أيرضيك هذا العدد بصفة مبدئية .

ترسب الكلام فى صدر القطب رطبا منعشا ، أحس أنه وقع بالفعل على الرجل المناسب فى الوقت المناسب .. وفكر .. إن كان هذا الداهية قد حصل له على خمسة وعشرين ألفاً من الأصوات غير المتاحة ، فكم يمكنه أن يحصل عليه من الأصوات المتاحة .!؟

هدأت لهجة القطب وبدت متوددة ، تسترضى غرور منصور وتستحث همته ، قال إن منافسه الوزير نزل بكل ثقله هذه المرة ، وأن معاليه يعتبرها حربا ضارية بينهما ، لذلك لن يتورع عن إستخدام أخس السبل للإحتفاظ بماء وجهه ولإثبات جدارته بكرسى السلطة .

قال منصور وهو يحك مؤخرة رأسه ويرخى عينيه

– عجيبه .. حسبت أنكما صديقان متفاهمان ، وأن الأمور بينكما مستقرة ، ومحسوبة جيدا

إنتبه القطب ، إلتقط بسرعة طرف خيط التلميحات الخبيثة ، الذى ألقاه إليه منصور ، مؤكدا أنه لايلعب ، وأنه مايزال يستغل إمكانيات منصبه السابق كل الإستغلال ، ويطوعها لصالحه ، وعلى هواه .

قال القطب مبديا عدم الإهتمام

– مجرد مصالح وإنتهت

ثم راح يؤكد لمنصور أن الصداقة فى نظره شئ خطير ، لذلك فهو لايصادق إلا من يكون أهلا لثقته ، بئرا لأسراره ، من يكون رجلا حقيقيا عند الشدائد .. وفى المقابل فإنه لايتردد عن التضحية حتى بعينيه لإرضاء هذا الصديق .

هز منصور رأسه فى تأثر ، بينما تسخر نفسه فى مكمنها من لزاجة الكلام وكذب اللسان .!

واصل القطب ، ويده تسحب مظروفا منتفخا من الدرج ، وتضعه تحت عينى منصور ، إعترف بأنه أحس ببوادر الصداقة تشده إلى منصور ، منذ اللقاء الأول بينهما ، أن هذه الصداقة ستنمو بسرعة رهيبه ، وتفتح أبواب الخير لهما على مصراعيها .

ثم باح له بأن فوزه فى الإنتخابات يعتبر مسألة حياة أو موت ، لأنها تتعلق بسمعته وكرامته ، فإن خسرهما ، لن يبقى له شئ يعيش من أجله .!

لذلك فهو لايتردد عن التضحية بكل ماله ، إذا إقتضى الأمر ، للحصول على هذا الفوز .. ثم دفع المظروف إليه

- خذ تصرف كما ترى

تطلع منصور إلى المظروف ووزنه ، خمن مقدار المبلغ فلم يملأ عينه .

وفى تلقائية نشطه تطوعت ملامحه ، بدت وجه الصديق الشهم الأبى

- خيرك سابق ياحاج ، المسائل فى بيتها .

تاه القطب لحظات فى مناوشة منصور ، غير المتوقعه ، لم يسعفه ذكاؤه أن يستنكه ماوراءها .. ولكنه إستبعد أن يكون عن تعفف حقيقى ، حط عليه فجأة ليطهر جوفه ، أو عن إبتلاعه طعم الصداقة الزائفة ، الذى أدناه من فمه .!

سحب المظروف بيد مضطره ، إحتراما لرغبة صديقه منصور

- ليكن .. عموما إعتبرنى جاهزا فى أى لحظة ، وبكل ماتريد .

قام منصور لينصرف .. وعند الباب توقف ، بدا يتذكر شيئا فعاد

- على فكره ياحاج ، عثرنا على أوراق تخص أرض الأجرودى ، أرضك يعنى ، للأسف نسيت أن أحضرها لك .

- أى أوراق .؟

أبدى منصور إستهانة مفتعلة .

- مجرد عقود قديمة ، باسم الدكتور عاصم مكاوى

تفزعت تساؤلات متلاحقة فى رأس القطب .

فمن الذى عثر على الأوراق .؟

وكيف وصلت إلى منصور ، ولماذا منصور بالذات .؟

ثم لماذا يدعى منصور أنه نسيها ، وهل له علاقة بالحادث .؟

إستأذن عباس ودخل متعجلا ، همس للقطب بأن سيادة المحافظ على التليفون .

إمتدت يد القطب لترفع السماعة ، بينما عيناه ترصدان وجه منصور .!

رفض الأسيوطى أن يزوج ابنته فايزة لعباس .

ثار عليه وحذره إن هو خاض فى هذا الموضوع مرة أخرى ، أو إن إستغل ظروف غيابه وتحايل ليؤثر على البنت وأمها .. ثم قطع الزيارة ساخطا ، لاعنا القطب وأذنابه وكل من يتعامل معه .

وإنسحب عباس من السجن متأزماً .

حز فى نفسه أن يرده الأسيوطى بهذه الطريقة ، وأن يباغته برفض متسرع يحرمه فرصة الأخذ والعطاء فى الكلام .

كان فى نيته أن يتقرب اليه ، ويبوح بما يكنه له ولأسرته من تعاطف صادق لمحنته ورغبه ملحة فى التخفيف عنه وإسترضائه ، وفى نفس الوقت يعلن رفضه لسلوك القطب ، وأفعاله ، ويعترف عن إقتناع بإستحالة المواصلة فى خدمته ، والخنوع تحت جناحه .. بعد أن عرف عنه ما عرف ، وإبتلع مما لا يرضيه الكثير .

إرتبك التفكير فى رأس عباس ، وهو يواجه رفضا لم يتوقعه ، ولم يحسب حسابه وعلى الرغم من أنه إلتمس العذر لموقف الأسيوطى ، ولإعتراضه طريق سعيه المشروع لحبيبة القلب ، إلا أنه إستبعد أن يأخذه الرجل هكذا بجريرة القطب ، ولدرجة أن يطيحه بجذوة طائشة من غضبه ، متناسياً بذلك ما كان بينهما من تفاهم وتودد ، ومتجاهلا كونه لا حول له ولا قوة ، فيما يفعل القطب برجاله أو بغيرهم .

فى طريق العودة من المعهد كان عباس متردداً .

هل يخبر فايزة برفض أبيها لزواجه منها .. أم ينتظر ؟

وإذا حاول الإنتظار ، فهل يصبر عليه .. وإلى متى ؟

ثم هل يمكن أن يغير الإنتظار موقف الأسيوطى منه ؟

فاجأته فايزة بسؤالها الغاضب ، لماذا لم يخبرها بزواج القطب الجديد ؟

قال عباس أنه آثر أن لا ينكد عليهم ، ثم إن المسألة قد تكون مجرد نزوة عابرة من نزوات القطب ، ثم تنتهى سريعاً .

سرح عباس لحظات ثم سألها كيف عرفت بهذا الخبر ؟

قالت إن القطب لم يدخل البيت منذ ثلاثة أيام ، ولأنه لم يفعلها من قبل ، فقد ذهبت الى القصر لتستطلع ، وهناك لم يعص عليها إكتشاف الخبر السعيد !

وعاد عباس يسألها إن كانت قد أخبرت أمها ؟

فبدى عليها الإنفعال والحسرة ... وكيف لا تخبرها ؟

أتتركها لتكون آخر من يعلم ؟

أليس من حقها أن تعرف ، لتنتبه لنفسها وتحطاط ، قبل أن تدهمها أرجل القطب ؟

حاول عباس أن يطيب خاطرها ، طمأنها بأنه يرتب الأمور كما ينبغى ، وأنه حريص على حقوقهم ، وراحتهم ، ولن يغفل عن ذلك لحظة .

وقبل أن ينزلا من العربة أخبرته فايزة بأن أمها تريد أن تراه .

أحس عباس أن إنشراح تقاوم الإنفعال والحزن ، تحاول أن تتستر على كرامتها المجروحة ، لتبدو طبيعية أمامه ، وكأن موضوع زواج القطب لم يشغلها ، أو يؤثر عليها .

قالت إن كلام فايزة عنه ، وتقربه المخلص إليهم ، جعلها ترتاح اليه ، وتطمئن على أسرارهم معه ... ولذلك فهى تريد أن تشاوره فى موضوع يهمها .

ثم سكتت إنشراح ، فبدا التحرج يطفو علي ملامحها ويربكها !

ظن عباس أن الأمر يتعلق بموضوع زواج القطب ، وأنها تريد أن تستطلع منه بعض الأخبار عما حدث ، وكيف ، ولماذا ؟

ففكر في سلامه نيه أن يسهل عليها الموقف ، فيبادر هو ويخبرها بما ينقذها من تردد الخجل .

قال في أسف .. إن القطب فاجأه بالخبر يوم الفرح .. وأنها تدعى أم الخير ، ولم تتزوج من قبل ، وأنهما يقيمان حاليا ..

قاطعته إنشراح في مرارة ، وهي منكسة الرأس .

يا بني إعمل معروف أنا لم أطلبك لكي أعرف الأخبار الحاج أو غيره ، كل واحد حر في أعماله ، أنا طلبتك لموضوع أخر .

ثم إستجمعت شجاعتها وهمت باللسان في غير تردد

- أريد أن أرى عمك الأسيوطي ، لو لدقيقة واحدة .

فوجئ عباس بطلبها ، وبتوسل الملامح يستطلع في تعفف . بنمسح به حذرا . يتوارى .. وهي لا تكاد تستقر على مقعدها ..

- البنت لا توافق ، تقول إن الزيارة تفتح علينا مشاكل كبيرة .

وأنا محتاجة لكي أراه

فكر عباس في طلبها فساوره القلق !

لو أن القطب عرف فستكون المشكلة ، ولن يغفرها له ..وقد يضطره الى الانفصال عنه قبل الأوان ، قبل أن يتم إستعداده لهذا الإنفصال .

ثم أخذه التفكير الى موضوعه ، الى مشكلة زواجه المرفوض من فايزة .. فلاح له الأمل . قد تستطيع الأم أن تؤثر على الأسيوطي ، تستهديه وتفهمه حقيقة الموقف حتى يقتنع ويوافق .

فلا بد أن يوافق ... ولا بد أن تكون فايزة من نصيبه .

وهم عباس بأن يخبرها برفض الأسيوطى ، ويرجوها أن تتوسط له ، أن تسترضيه بكل السبل ، ثم تزف اليه البشرى .. لكنه أمسك عن الكلام ، خاف أن تعتبرها مساومة فيجرح مشاعرها .

قال فى إستجابة متوددة .

- على عينى .. سأتدبر الأمر وآخذك بنفسى .

دخلت فايزة لتضع الصينية ، فبدت ملامحها غاضبة ؛

سمعت أذناها ما قاله عباس فعرفت أنه طاوع أمها .

طلب منها عباس أن تجلس ، حاول أن يعرف سبب إعتراضها على زيارة أمها لأبيها ، ولكنها تركت الصينية وأسرعت في عصبية .

وإحتار عباس .. هل يستأذن الأمر ليلحق بفايزة .. أم ينتظر ؟

فوجئ عباس بكلام القطب يحاصره ويضغط عليه ، فتلجم لسانه وتنكست عيناه .. عجز أن يجد مبرراً منطقياً يسوقه ، ليدافع عن نفسه .

وعلى الرغم من أن القطب بدا مترفقا به و لا يثور ولا يتوعد ، إلا أن طريقته الساخرة في الكلام ، وهدوءه البارد المنفعل ، جعلاه يتوجس منه شراً ، يتوقع هجوم العاصفة في أقرب لحظة !

- أتحسبني نائماً على أذني يا عباس ؟

خسارة .. خيبت ظني فيك .. ليس لأنك فعلت ما فعلت ، ولكن لأنك تجرأت على حدود فراستي ، وإستهنت بإمكانياتي .

حاول عباس أن يتماسك ، وأن يمتص لحظة المواجهة مع القطب ، والتي باغتته قبل أن يستعد لها .

رن جرس التليفون فأخذ القطب سماعته الى أذنه .

- نعم ؟

وجاءه الصوت مغليا في الصدر .

- فعلتها يا قطب ؟

تميعت الإبتسامة على شفتي القطب ، بينما يتشرب وجهه ملامح إستغباء مدرب .

- معالي الوزير ؟

- خير إن شاء الله .

ولاحت فرصة الإنسحاب لعباس ، فهدأت الدماء فى عروقه وإطمأنت .. وبدأت قدماه تنسلان الى الخلف فى هدوء .

قال القطب وهو يحك متلذذاً

- الموقف كان أكبر منى يا معالى الوزير .

المحافظ حطنى فى « خانة البيك » يا معالى الوزير ، ثم لا تنسى أننى رجل ضعيف ، قليل الحيلة .

تطاير الصوت الغاضب ، وداهم أذنى عباس ، فأربك تراجعه

- تأتينى فوراً ، فاهم يا قطب ؟

وضع القطب السماعة فى تراخ .. قال ساخراً يشهد عباس على تطاول الوزير .

الوزير يهدد القطب .. أرأيت ؟

وتقدم عباس متضطراً ، رأى عينى القطب تقبضان عليه ، وتنتظران تعليقه .

تساءل وهو يبدى دهشته وإستنكاره

- معالى الوزير ؟ معقول يا حاج ؟

أخذ القطب الجريدة بين يديه ، وتطلع اليها وهو يزهو بصدره فى شموخ .

- ولكنى أكلته !

تصيد عباس الفرصة ليداهن غرور القطب ، فيسترضيه ، ويؤكد ولاءه الدائم وحرصه الشديد على إرتفاع مكانته يوما بعد يوم .. ثم من يكون هذا الرجل الذى يحاول أن يتجرأ على القطب ، أو حتى يرفع عينيه فى مواجهته ..

إنسجم القطب من نفسه ، فراودته الرغبة أن يفكر بصوت عال ، وأن يحكى كيف أكل الوزير بكل بساطة ، يستعرض مكره وذكاءه ويتلذذ ببريقها ، أمام نفسه، وعلى مرأى من عباس وسذاجته . وبعد أن إعتصره ، وإستثار قلقه وتخوفه ، فضمن عطاءه المحسوب للمعركة الإنتخابية .

ولكنه إنتبه لساعته فجأة !

فالوقت يتبخر سريعاً ودقات المعركة الحاسمة تلاحق أذنيه وتملؤهما .

إنفتح الباب ودخل أنور مهرولاً ، ومن خلفه رجل يعجز عن منعه .

- الحقنى يا حاج ، إعمل معروف يا حاج، زكريا راح فى شربة ميه يا حاج .

تلقاه القطب فى أحضانه وحمايته ، وراح يربت على ظهره فى مودة ، ويحط فى أذنيه كلاما حلواً مهدئاً .

ولما أخبره أنور أن زكريا ابن أخته قد وقع ولبسته التهمة ظلماً ، أبدى القطب إنزعاجا هائلا ودهشة .

- عملها فهمى عرفات الكلب

تساقطت دموع أنور على يدى القطب ، وهو يتوسل بحرقه

- مستقبل الولد ضاع يا حاج ، ربنا يبارك لك يا حاج

أمسكه القطب من كتفيه وهو متأثر

- جئتنى فى وقت مزنوق جداً

عموماً إطمئن ، كلها يومان وتنتهى زوبعة الإنتخابات

ثم أخذ كفه بين يديه وحفظها فى إستثاره .

- المهم همتك معى الآن ، لابد أن نصل الى مقعد مجلس الشعب ، لنعرف كيف نطهر البلد من تلك الحشرات الوضيعة من فهمى عرفات وأمثاله .

- وزكريا يا حاج .

- لن يمسه مخلوق وأنا موجود

سرى الحماس الى صدر أنور ، فراح يقسم أنه سيفعل المستحيل ، ليناصر القطب فى تجميع الأصوات ، وفى إعلاء كلمة الحق .

لم يجد عباس سوى أن يبتلع إشفاقه على أنور وابن أخته ، وأن يبتلع معه غيظه المرير من القطب .

نقر منصور الباب وإستطلع وجه القطب .. هل يدخل . ؟

أشار القطب لعباس ، فأخذ أنور ودعواته المتلاحقة الى الخارج .

بدا منصور متوثباً ، يلتمع الإعجاب فى عينيه وهو يومئ إلى الجريدة .

– ضربة معلم .. أكلت الوزير يا رجل .

قابل القطب إعجابه بتثاقل الواثق من عبقريته المتفردة .

قال إن المسألة لا تحتاج سوى مخ نظيف صاح ، وتحرك سريع .. وهذان متوافران والحمد لله .. ثم إنه فى النهاية لا يصح الا الصحيح !

تساءل منصور ليداعب نشوة القطب فى مكمنها .

– معقول يقدم إستقالته قبل الإنتخابات . ؟

طوح القطب يده لا مباليا

قبل الإنتخابات بعد الإنتخابات لا تفرق .

ثم إستدرك بعد أن سرح قليلا مع نفسه ، ورح يحذر منصور من الإستهانة بهياج الثور المذبوح لأنه لا يعى إلى أين يوجه ضربته ، ومن يصيب بها ، وتجاوب معه منصور بكل حماسه ، قال إنه أبرع من يتعامل مع مثل هذه الثيران الهائجة ، لأن المواجهة أصبحت على أرض ملعبه ، وفى مجال قبضته ثم مال على القطب ليذكره بالمفيد .. فلم يبق على دخول المعركة سوى يوم واحد .. من ناحيته فقد أمسك عن الطعام والشراب والنوم ، ليتفرغ لمطاردة الأصوات اللابدة فى جحورها ، ويحثها على الخروج.

ومال منصور أكثر ليهمس بصوته المجروش ، نافحا القطب آخر خبطاته الفذة والتى لا يقدر عليها سواه فقد إستعان بإمكانياته للتعرف على أعضاء لجنة القسم ، لجنة الإنتخابات الرئيسية ، وتفاهم مع بعضهم بالفعل ، ودبر له لقاءً معهم ، ليتم التفاهم بطريقة عملية .

دخل عباس وهمس فى أذن القطب فطلع إليه متسائلا ، ثم أومأ اليه برأسه .

هم منصور أن يواصل كلامه ولكن القطب لاحقه ، طلب منه أن ينتظره قليلاً في الحجرة المجاورة .

بدا المشكوف متوتراً وهو يجامل ترحيب القطب بإبتسامة مستعصية .. وعندما وصلا الى المنطقة الساخنة فى الموضوع ، أبدى القطب تأثره الشديد لما حدث ، فلم يكن يتوقع أبداً أن يحاصره المحافظ بهذا الشكل ، وأن يتسبب فى إحراج الموقف بينه وبين أخيه الوزير لهذه الدرجة .. ثم تساءل مستنكراً .

- لا أعرف من الذى هيج المحافظ عليها هكذا . ؟

بدت المراوغة تنكسر فى عينى المكشوف ، وتتلمس طريقا ممكنا إلي رأس القطب ، رأفعة راية المهادنة لمشكلة الوزير ، ومعلنة ولاءها وخضوعها لمقتضيات الأمر الواقع .. قال بدون مبالاة

- أيا كان ماحدث ، فلا يمكن التراجع .

إرتاح القطب لتعليق المكشوف . أحس به يطوع ضميره ويستعد به ، قبل أن يبدى تنكراً لأخيه الوزير ، وأن يضع مصلحته الشخصية فوق كل إعتبار .

قال القطب إن معالى الوزير سيظل أخاه وحبيبه ، ومن جهته هو فقد عمل المستحيل لكى تمر عملية أرض أبو عافية بسلام ، أرضى كل الأطراف فى سخاء غير معقول ، بما فيهم أصحاب الأراضى المجاورة للحديقة ، أدار العمل بسرعة مذهلة ، فإقتلع الأشجار وهدم الأسوار وملأ الأرض بالرمال والزلط والأسمنت .. ولكن للأسف !

وخبط القطب كفا على كف .. لا شك أن المحافظ يكن حقداً دفينا لأخيه الوزير ، لا بد أنه يتربص به ليورطه ويلوث سمعته .. وإلا فلماذا يتصيد بعض شكاوى المغرضين ليشن عليهم هذه الحرب المسعورة ،وليثير ضدهم الرأى العام بهذا الشكل .؟

لماذا يتهمهم بتدمير الأرض الزراعية ، وإستغلال النفوذ لكسب غير مشروع ؟

ثم أين هو القانون الذى يدينهم .؟

ومن الذى يعمل بهذا القانون . ؟

إذا كانت الشركة التى باعت لهم الأرض ، وهى شركة حكومية ، لم تلزمهم بطريقة إستغلال هذه الأرض ، لم تضع فى العقد شرطا صريحا يمنعهم من إقامة المبانى عليها ، لأنه كان منتبها لهذا الشرط الخطير ، وضحى بالكثير ليتجنب إثارته ومشكلاته .

ثم جذب القطب الجريدة والقاها أمامه وهو يشيع الإنفعال على هيئته .

– كنت مضطراً .. هذا الكلام قلته تحت ضغط شديد من المحافظ ، الملعون أبلغ الجهات العليا ، وأجبرنى على أن أعترف أمام الصحافة بمن هم وراء العملية .. وإلا !

وسكت القطب ليلتقط الأنفاس ، وليستشعر وقع كلامه على المكشوف ، بينما أخذ المكشوف قهوته وأراح ظهره الى المقعد .

كان يعرف جيداً حقيقة ما حدث فى مكتب المحافظ . !

فالقطب هو الذى استغل فرصة غضب المحافظ ليتمادى فى إستشارته ، ليشعل طرف الفتيل ويظل ينفخ فيه حتى ينسف الوزير ، ويفر هو ببراءة ساحقة !

والقطب هو الذى حرك الصحافة ، ليدلى لهم بأقوله ويطلعهم على مستنداته ، فمن جهة يطعن الوزير فى مقتل ، ومن جهة أخرى يقطع على المحافظ خط الرجعة إن هو تراخى فى إتخاذ الإجراءات الرسمية . !

وكان المكشوف يعرف أيضاً أن أخاه قد خسر المعركة ، وإن الحكومة لن تتركه يفلت بفعلته هذه المرة . !

وضع الفنجان فى تراخ وهو يحس بمرارة القهوة تترسب فى حلقه ، وبعيون القطب المنكسة تختلس النظرات اليه ، توحى بأن الدور قد أصبح عليه ، وأنه على وشك السقوط ، بعد أن تعرى ظهره وفقد حاميه . !

قال المكشوف وهو يبدى إرتياحاً .

– عموما يا حاج الخيرة فيما إختار الله ، ومن يعرف . ؟

أيده القطب فى حكمته ، وأثنى على تعقله وذكائه ، وأبدى إستعداداً مخلصاً بأن يفعل المستحيل ليخفف الخسائر عن أخيه معالى الوزير ، وأن يدافع عن سمعته بأعز ما يمتلك . !

ثم تساءل وهو يشد على يد المكشوف فى تودد

– أكان من الأفضل أن تخسرنا نحن الإثنين ، أم أن يتبقى لك واحداً منا ؟
هز المكشوف رأسه متفهما ، ثم راح يطمئن القطب ويعده بالوقوف بجانبه فى الإنتخابات ، وبكل إمكانياته . !

بدا القطب متوجسا من كلام منصور ، عجز رأسه أن يهضمه أو أن يلفظه ،.. ولأول مرة يشعر أن الرجل يجره إلى كهف مظلم ، ويتركه تائها حائراً ، بينما يراقب تخبطه بإبتسامته السمجة . !

فكر أن يهجم عليه ويخنقه ، ليعتصر الحقيقة من جوفه . !

ولكنه عاد يستمهل تماسكه قبل أن يفلت منه ، وفكر أن يتيح لنفسه فرصة المناورة ، لعله يهتدى الى شعاع ضوء يخرجه من هذا المأزق .

قال وهو يتطلع الى العقد ويتأمل بعض كلماته .

- إحك لى مرة أخرى ، وماذا حدث بالضبط . !

تهاون منصور فى برود ، وهو يبدى تعاطفا مع ظروف القطب الحرجة ، ونصحه أن يركز مشغوليته فيما هو أهم من موضوع أرض الأجرودى .. قال مطمئنا القطب .

- بعد نجاحك إن شاء الله سأشبعك حكيا ، لا تقلق يا حاج .

ثم قال وهو يتململ ، إنه يواجه حركات عيال من المأمور ياسر الشاهد ، فقد خيب هذا النذل ظنه فيه . !

- لا أعرف ماذا جرى للناس يا حاج . !

هذا الرجل بالذات كان لا يجرؤ أن يرفع عينيه فى مواجهتى ، من كثرة ما غمرته به من خدمات .. والآن أفاجأ بهذا الناكر للجميل يتنصل عن معاونتى ، يبدى تعففا ونزاهة فى موضوع الإنتخابات ، ويلوذ بعبارات

الشرف والوطنية الصالحة . أتتصور يا حاج . ؟

تساءل القطب ورأسه مازال مشغولا بالعقد ، الجاثم تحت عينيه .

- ماذا تريد منه . ؟

قال منصور ويده تحك ذقنه فى خشونة .

- هو المشرف على اللجنة المركزية ، وإستقطابه يسهل لنا الحركة ، ويهيئ لنا حرية التصرف .

باغتة القطب بنظرة متأنية .

- دعه لى .

دق جرس التليفون .. فهم منصور ومال على القطب ، قبل أن ينشغل بالمكالمة .

- لا تنس إجتماع العاشرة ، اللمسات الأخيرة فى منتهى الأهمية ، سلام وأسرع الى الخارج فى حماس .

كان المتكلم غليظ الصوت ، فاجأ القطب بطريقة مستفزة

- أنت فرس النبى .. إنطق . أنت فرس النبى . ؟

تساءل القطب مستنكراً

- من أنت . ؟

رد الصوت الغليظ مقتحماً أذنه فى تثاقل .

- صديق صديقك يبقى صديقك ، ومحسوبك يبقى صديق أبو العينين ، مفهوم يا أبو الأفراس . ؟

توتر القطب وهو يسمع إسم أبو العينين ، ثم مالبث أن إستجمع تركيزه وزعق فى حسم

- أبو العينين من . ؟

طلباتك بالضبط . ؟

ضحك الصوت الغليظ ساخراً .

- ألا تعرف أبو العينين يا حاج قطب .. على راحتك .. عموماً لا يضر .. خذ المفيد .. معى أمانة لك ، من صديقنا أبو العينين .. وأنا رجل أمين هوايته أن يؤدى الأمانات الى أصحابها .. ما قولك يا حاج . ؟

وقبل أن ينفعل القطب ويثور ، باغته الصوت الغليظ بضحكة متدفقة ، قبل أن يصعق السماعة ليقطع الاتصال ؟

تزاحمت التساؤلات المتوترة فى رأس القطب ، عاجزة عن صيد الإجابات الشافية متكالبة على بؤرة التفكير .

من يكون هذا البنى آدم .. وماذا يريد منه . ؟

أهو حقا صديق أبو العينين ، أرسله لينتقم له ، أم تراه مبتزاً يسعى للإصطياد فى الماء العكر. ؟

قد تكون نزغة شيطانية من منافسة الوزير ، ليشغله عن الإنتخابات فى الوقت الحرج ويشتت تفكيره . !

إنسحبت عينا القطب الى عقد أرض الأجرودى وإستقرت عليه .

عادت رائحة التربص والمخادعة تفوح من كلام منصور وتقتحم أنفه . !

أه لو يعرف ماذا يدبر هذا الثعلب ، وإلام يرمى مكره الغويط .

أهذا الكلام يدخل الدماغ . ؟

أيمكن أن تأتى مصادفة ، أن سائق عربة الزلط التى قتلت الدكتور عاصم مكاوى ، يتضح أنه أحد عساكر منصور القدامى . ؟

وإن كان .. فما هو الدافع الذى جعل هذا السائق يستولى خلسة على حقيبة القتيل ، ويخفيها قبل وصول رجال الشرطة . ؟

هل يكون دافع السرقة . ؟

وهل كانت الظروف تتيح للرجل أن يتصرف بهذا المنطق ، وهو متورط فى حادثة قتل .. إلا إذا كانت هناك خطة مرسومة ومدبرة . ؟

ثم لماذا لجأ الرجل الى منصور بالذات ليطلعه على سره ويعطيه الحقيبة بما فيها .؟

وكيف تسنى له ذلك ، وقد تم القبض عليه فى مكان الحادث . ؟

لا .. المسألة وراءها لعبة مدروسة .

وراءها دماغ ذكى ومدرب ، وكفاءة عالية .

ماذا يريد منصور بالضبط . ؟

قطعا يريد أن يستبزه ، ، ولأطول مدة ممكنه ، وبأكبرقدر من المال .

ولكن لماذا لا يلاعبه منصور على المكشوف ، فأوراق اللعبة كلها فى يده ، كما أن بجاحته لا يمكن أن يردعها تخوف أو وازع

ببساطه كان يمكنه أن يصارحه ببروده المعتاد ، متباهيا فى صفاقة أنه دبر هذه الخطة من أجله ، ليريح دماغه من مشكلة عاصم مكاوى وأوراقه الرسمية ، ثم يطالبه بإتعابه المناسبة .

أتراه يرمى لشئ غير المال .. أم يريد أن يؤجل موعد المحاسبة . ؟

ينتظر الفرصة المناسبة ليضرب ضربته .

معقول ... فالجوف المتسخ لا يكشف محتواه ، لا يبوح بما يتقيأه ، ولامتى ، ولا أين يرمى به . !

دخل منصور نشطا ، والتقط كف القطب بين كفيه فى حماس

- الناس ينتظرون ، الوقت سرقنا يا حاج .

وعند الباب . أمسك بكتف القطب وشد عليها فى جرأة ، بينما يخبره بكل ملامح وجهه ، أن معالى الوزير فى طريقه الى الشد الى عروسة الجلد . !

خرجت إنشراح من باب السجن وهى تجر رجليها .. توقفت وتطلعت .. كان عباس ينتظرها هناك ويتكلم مع سائق التاكسى ، ولما رأته مشغولا حطت الفكرة على رأسها وسيطرت عليه ، وبدون تردد أولته ظهرها وأسرعت هاربة فى الطريق المعاكس . !

كان وجهها شاحبا ، جامدا ، خاليا من أى تعبير ، بينما عيناها مفتوحتان على إتساعهما ، لاترمشان ، والشفتان مزمومتان ، والأنف يتنفس بصوت مرتعش متلاحق ، واليد تسند أسفل البطن المنتفخ ، تقاوم رجرجته المؤلمة .!

وظلت مندفعة ، تهرول بكل عافيتها ، ونظرتها المستقيمة متحكمة فى كل حواسها ، تفر بها وتستحثها على المواصلة ، تنشط هرولة رجليها ودقات قلبها ، تطارد أشباحا تلاحقها وتفسح طرقا من أمامها .!

وفى الرأس طنين لا يكل ، يؤنبها ، ينهش خسة القطب ونذالته ، يتعلق برقبة الأسيوطى ويعنفها فى ذهول .. كيف صدقت .. كيف هان عليك أن تصدق .! ؟

إلتوت رجلها فهرسها الألم .. وتكاثف الضباب فى عينيها فغبش الرؤية ، وأحست بأنها تصطدم بأشياء لاتراها ، وبأن شرخ الصدر يتسع ، يتمدد إلى بطنها ، وتنحره أنفاسها المتلاحقة .. أنا أطلب الطلاق منك يا أسيوطى ، ماذا أصابك ، ماذا جرى لك .؟

وبدون وعى راحت يداها تحاصران صخب البطن وتقلصاته ، نضغطاته بقوة وعصبية مرتعشة ، فيزداد الألم بداخله ويزداد تحجره .. وحتى لو كنت طلبت منك الطلاق يا أسيوطى ، طلبته بلسانى وعينى فى عينك ، هل كنت تصدقنى ، هل كان قلبك

يطاوعك هكذا في بساطة ، يسمح لك أن تتخلى عن إنشراح ، أن تدوس كرامتها وتضطرها لركوب الصعب . ؟ يا حسرتي عليك يا أسيوطي .!

تلاحقت دقات القلب في صدرها ، عنيفة تتخاطف الأنفاس ، تضخ دما ساخنا مملوءا بالغيظ .. تحرم على معاشرتك يا قطب بعد اليوم ، لن تمس جسدي ، ولن تقع عيني على وجهك الكريه .. ،ولن أعطيك الولد ، سأقتله في أحشائي وألفظ بذرتك النتنة.

تماوجت بها المرئيات ودارت أمام عينيها ، فقد جسمها توازنه وإنهار ، حاولت أن تتعلق بشئ فلم تسعفها أطرافها المتخاذلة ، وإهتزت وسقطت على الرصيف . !

- ٥٩ -

ترك منصور عبد الجبار أعضاء لجنة الإنتخابات وإنسحب إلى الخارج ، ناحية باب القسم .

إطمئن إلى إنه غذى كما ينبغى بذرة الحماس فى الرءوس المعطوبة ، وسقاها نشوة إستحلاب الأمانى الشرهة .. فقد لاحت بوادر الخير ، والقطب فى طريقه إلى المقعد المنتظر ، ليصبح كل شئ متاحا وممكنا . كما لم يفته تزجيه نبض الحذر فى صدورهم ، فهو صاحب الإتصالات الخطيرة ، واليد الطويلة ، فأين يذهبون منه ، إن حدث أى تلاعب فى العملية الإنتخابية .!

أسرع أحد العساكر واختطف له مقعداً ، فجلس منصور مفرود القامة ، وعيناه تحومان على شباك المأمور ياسر الشاهد ، وتتفرسان فى وفود الناخبين ، وتراجعان نقاطا هامة فى أجندة العمل ، وتتصيدان الوجوه التائهة فى الساحة .

نظر منصور فى عينى أحد رجاله المتصدرين باب القسم ، فإشتعل هتاف الحناجر ، وتراقصت اللافتات والأعلام ، وصرخت متناغمة أبواق الميكروباسات ، المحتشدة على جانبى الشارع ، والمملوءة بأصوات الناخبين والناخبات ، والكل يؤيدون نجاح القطب .

تحركت إلى الداخل طوابير الرجال والنساء ، متزاحمة لتدلى بأصواتها ، فنظر منصور إلى عجوز ملتح ، يعتمد بوهنه على عصا قصيرة ، فإنهار العجوز متألما ، ساخطا مداهمة الهمج لشيخوخته ، ثم ما لبث أن راح يسخط على الوزير ومن يؤيدونه ، ذلك الظالم الجاحد الذى أضاع حقه وشرد عياله ، ثم زعق بكل صوته

- أرونى من ينتخب هذا المفترى فآكله بأسنانى

وإنبرى رجل عفى الهيئة ، ليعين العجوز ويطيب خاطره ، بينما يحاول أن يثب بصوته إلى أبعد الآذان المتجمعة .

- قم يابا الحاج ، قم كل حى وله يوم ، ربنا على الظالم

وأسرع رجل آخر ليساعد فى رفع العجوز ، بينما عيناه المثيرتان ، تشاغبان تجمع الوجوه المستطلعة .

- ربنا لايساعد المتواكلين ولا الغافلين عن مصالحهم ، أفيقوا يا خلق ، كفانا خضوعا وإستسلاما لأصحاب السلطة ، أصحاب الكراسى والمناصب الرفيعة .

تماوت العجوز بين أيدى الرجلين ، وسرت الهمهمة والتعليقات بين الناس ، وهو يتوجع ويستثير شفقة المحيطين به .

- حسبى الله ونعم الوكيل ، حسبى الله .!

صاح رجل يرسم الشهامة على وجهه بشكل محبوك ، بينما يناول العجوز عصاه

- إطمئن يابا الحاج ، المفترى خلاص ، إنتهى وغار .

وفى لحظات إتسعت دائرة اللفظ المتسائل ، فتطاير الخبر وإستشرى ، يناوش عطب الرءوس الساذجة .

الوزير تورط فى مشكلة رهيبة ، والحكومة على وشك أن تنحيه عن كرسى الوزارة .!

كلها يوم أو يومان وتجره النيابة ليتلقى جزاءه .!

لعلمكم القطب رجل نادر الوجود ، رجل القلب الأبيض واليد الطاهرة .!

يا عم قل يا باسط ، القطب منا وعلينا ، معلوم ، القطب عاش وتربى بين أوجاع الفقراء والمساكين ، ومن مثل القطب يا ولداه .!

توقفت عربة كبيرة أمام القسم ، وتعالت الزغاريد وتدافع النسوة من جوفها وهن يتضاحكن ويثرثرن ، وهياج أجسادهن ينفر من حشمة الجلاليب المتواضعة ، الصارخة الألوان .

تطلع منصورإليهن فى مواربه ، وهو يناور بإبتسامة ماكرة ، بينما يستعرض أمامه الحماس واثبات الذات .!

كان يعرف أنهن تباشير بضاعة المكشوف ، وقد بدأن فى ممارسة دورهن التنكرى للمشهد الأول من الحفل الكبير .

ورجعت عيناه ترصدان شباك ياسر الشاهد ، فوجده يبث تعليماته للصول القصير المشدود أمامه ، بينما يختلس النظرات إلى الهرج الذى يملأ الساحة .

دارى منصور رأسه خلف جذع الشجرة ، وراح يتصل بالقطب ، ليطمئنه على جو الإنتخابات فى اللجنة الرئيسية ، وأنه سيبدأ جولته على باقى اللجان . جاء عسكرى مهرولا لاهثا ، وطلب من منصور التفضل بمرافقته إلى مكتب الباشا المأمور .!

تلقى منصور حماس العسكرى فى فتور ، بينما يبتسم لوجه بركات عبد الهادى وهو يفوت فى الزحام ، ومن ورائه وجه عفاف زوجته .

ثم دفع بإبهامه منتصبا إلى أعلى .. تمام كده .

فتجاوب معه بركات عبد الهادى بإيماءة مؤكده .

تدفق الدم ساخنا في عروق القطب فكادت أعصابه أن تفلت منه .

أزعجه أن يرتكب منصور هذه الحماقة ، أن يطيش على هواه ويتصرف بهذه الجسارة ، وبدون الرجوع إليه ومشاورته .!

وضغط على صدره إحساس التخوف ، من أن تأتى العاقبة من الطريق المخالف فيضيع كل شئ . وبأسرع مما يتصور .

- ألم نتفق على التشاور يا منصور .؟

وبدت الإستهانة متميعة على وجه منصور ، بينما يستخف بتوجس القطب ، قال إن المواقف هى التى تفرض نفسها . ومثل هذه المعارك لا يواجهها سوى القلب الميت ، القلب الذى يشب فى غير تردد ، وفى غير تراجع .

وقبل أن يترك الفرصة للأخذ والعطاء ، تساءل منصور ، مناوشا منبت العصب فى دماغ القطب .

- ألا تريد أن تعتلى المقعد .؟

وحين تراءت له بوادر التشوق ، تصهد من صدر الرجل وتموج فى عينيه ، راح يطمئنه فى يقين المتحكم فى أسرار لعبته ، ليمتص إنفعاله ، ويسحبه فى طريقه .

قال منصور إن الأمر فى منتهى البساطة ، مجرد تخطيط عبقرى ، وفرصة ذهبية ، وعين لا ترمش .. وقد كان .. فتمت العملية اخر حلاوة .

لم يقتنع القطب بالكلام ، ولا بطريقة منصور فى إبداء إستهانته بما فعل ، فإزداد توتره

وإحتد صوته ، وهو يؤكد أنه صاحب الكلمة الأولى والأخيرة ، وأنه يعرف مصلحته جيدا ، ويعرف كيف يديرها كما ينبغى .

إتسعت إبتسامة منصور وظلت معلقة على وجهه ، تعلن حصانة صاحبها وتؤكد جدارته بهذه الحصانة .. وتثاقل صوته وهو يعترف بأنه لم يكن ليتصرف على هواه ، وأن ما فعله لابد أن يكون تلبية لإرادة القطب ومتفقاً مع كلمته الأخيرة .

ثم إقترب من أذن القطب وأرخى صوته .. قال إنه فوجئ بلجنة مدرسة البنات تخرج من تحت سيطرته ، لإتساع العيون وزحمة المكان وحزلقة أعضاء اللجنة ، فركبه الشك وأزعجه .

كم تراها عدد الأصوات التائهة ، والهارية ، والمعارضة .؟

فتخوف ، وفكر ، ودبر ، ولم يجد سوى الطريق الوحيد ..!

وقع بعض رجاله الأمناء لإختلاق المشاجرة المحبوكة ، وتبديل صندوقين بآخرين فى منتهى السرعة ومنتهى الحذر .. وتمت العملية بسلام .

ثم تراجع منصور وشد صوته مؤنباً

- هل أخطأت .؟

أكنت تريدنى أن أترك هذه الهفوة الخطيرة لتفسد كل شئ ، وتضيع كل شئ .

حاسب يا حاج ، منصور عبد الجبار لا يعترف بالفشل ولا بالتراجع ، المسألة مسألة سمعة وإثبات ذات ، وأنا سمعتى كالجنيه الذهب ، لابد أن ترتفع قيمتها رغم أنف الكبير .

لانت ملامح القطب ، وهى تستمرئ حماس منصور وتتشربه . كان يعرف أن معركة الإنتخابات لا هوادة فيها ولا تردد ، وأنه إما أن يثبت إلى المقعد فينجو ، وإما أن يفلت فتنكسر رقبته ويضيع .. ولذلك آثر أن يبتلع الموقف كما هو ، وإن ترسبت فى الأعماق بذور الشك والتخوف ، مما قد يستغله منصور عنده ، حين يستشعر تهاونه وإنصياعه تحت جناحه .

تسا ءل القطب وهو يجنح لموازنة موقفه .

- ومن أين أتيت بالصناديق ، وكيف ملأتهم .؟

رن جرس تليفون العربة ، فرد القطب ، ثم ناول السماعة لمنصور ، وظل يرقب وجهه ، وهو يصدر أوامر للرجال ،ويشدد على الإلتزام ، ثم يضع السماعة فى عنف .

وعندما هم بإعادة التساؤل ، لم يعطه منصور الفرصة

- أتظننا نلعب يا مولانا .!

الصناديق كانت مملوءة ومختومة بالشمع الأحمر منذ الأمس ..

إصح يا حاج .!

إنتقض القطب ، بوغت وهو يرى هيبته تتهشم فجأة وتسقط عند قدميه ، فى اللحظة التى إنطلق فيها منصور خارج العربة ، وهو يردد في حماس .

- يريدوننى هناك ، الرجال يريدوننى حالاً ، سلام يا حاج .

ظل القطب جامدا ، يتابع صدى الصوت .. إصح يا حاج .. إصح يا حاج .. وهو يعبث بحطام هيبته ، مؤكدا فعلته فيها .!

تحامل القطب على نفسه وراح يطيب خاطر المأمور ياسر الشاهد ، يسوق حق الصداقة الممتدة التى تربط بينهما ، والذى يحرص على أن لا ينال منها حاقد أو تمسها مكيدة ، يبوح فى إخلاص بأن منصور عبد الجبار مجرد أجير عنده ، يؤدى دوراً محددا ، وسيتخلص منه فور أن ينتهى هذا الدور .. ولذلك لا ينبغى أن يضعه فى رأسه .!

كانت عينا القطب شاردتين من الشباك ، تحومان هناك ، على وجوه الناخبين ، وتحطان على مجموعة النسوة ، المتدافعات فى صخب وحماس ، بقيادة نساء المكشوف ، وعلى نشاط أم ياسر وهى تتصيد بعض الناخبات ، وترشدهن إلى كيفية الإدلاء بأصواتهن .

قال ياسر الشاهد إنه إستدعى منصور إلى مكتبه ، وحذره إن هو تمادى فى حركاته السخيفة ، ليؤثر على إنضباط اللجنة ونزاهة العملية الإنتخابية ، وأنه يراقبه بنفسه ويضيق عليه الخناق .!

وتجاوب القطب معه فيما يقول ويفعل ، بينما رأسه مشغول بإختفاء عباس المفاجىء .!

فأين ذهب .. ولماذا لم يخبره أو يتصل ، وهو يعرف ظروف هذا اليوم بالذات .؟

وعندما رجع إلى العربة عاود الإتصالات ، وأصابعه تفرك حبات المسبحة .

فلم يعثر على عباس .!

تساءل المكشوف بينما يفتح باب العربة ويجلس بجوار القطب

- هل أعجبك شغلى .. هه ما رأيك .؟

شد القطب ستارة الشباك ليتجنب تصيد العيون المشاغبة . !

في إعياء شديد تسبلت العينان وإرتعشت الشفتان .

وكان الوجه شاحبا ينفض حبات العرق في هوادة ، وفي إستسلام .!

أحست بوخز يؤلم ذراعها ، وتراءى لها السقف زاحفا لأسفل ، متماوجا يسبح في ضوء فضي ، ينكسر على جفنيها و يثقلهما .!

- آه .. أين أنا .!

أسرعت فايزة تحتضن أمها في تلهف وتغمرها بقبلاتها

- سلامتك يا ماما .. ألف سلامة .

وإقترب عباس من السرير مستطلعا ، يبدي تأثراً صادقاً لما حدث ، ويحمد الله على سلامتها .

بعد طول تمنع أخذت إنشراح رشفتين من كوب العصير ، إرضاء لإلحاح فايزة وعباس ، وكانت عينها ترقب بطنها ، ثم مدت يدها تحت الغطاء لتتأكد ، فوجدت ما توقعت ، بطن فارغ منكمش ، والألم ما يزال ينبح بين رجليها .!

تلاقت عيناها بعيني البنت فتم تفاهم خاطف .. همست لها

- هل مات .؟

خافت فايزة من مفاجأة أي إنفعال قد يؤثر على حالة أمها ، فتجاهلت سؤالها وراحت تلفق الأخبار المتناثرة لتشغلها عنه . كلمتها عن أختها حسنية وتلهفها على رؤيتها ، طمأنتها على حصولها على أعلى الدرجات في الإمتحان الأخير .

إنطـرح رأس الأم إلى الكتف منكســرا ، لم يهن عليــه أن يلاحق البنت فى دروب التهرب ، فيزهقها ويضغط عليها .

قالت فى إستهانة صادقة

- أعرف أنه مات .. لا تشغلى بالك .

خرج عباس .. وراحت فايزة تجفف وجه أمها وتسرى عنها ، وأحست ببوادر الإرتياح تسرى فى ملامحها ، وهى تتمتم بهمسات الحمد والشكر لله ، على إنه خلصها من بذرة القطب ، إنتزعها بطريقة تلقائية ومشروعة .. ثم تجهمت الملامح فجأة وفارت ، وخرج الصوت من الصدر ملتاعا محموما .!

فلقد ذبحها القطب وسلب روحها .. النذل .. إستغل ظروفها وبراءتها ليوقعها ويستفرد بها .!

حاولت فايزة أن تهدئها ، تتوسل إليها أن ترجئ موضوع القطب حتى تسترد عافيتها ، ثم يكون الحساب .

ولكن دم إنشراح ظل يغلى ، وأنبوب الجليكوز يرتجف ويهز الزجاجة المعلقة على الحامل .

- الملعون غشنى .. جعلنى أبصم على طلب الطلاق من الأسيوطى على إنه توكيل للمحامى .!

أنا أطلب الطلاق من الأسيوطى .؟

أنا أطلب الطلاق من أبيك يا فايزة .؟

وهاج فى جسدها هذيان جامح ، لم يستطع صدر البنت أن يهدئه بضماته وتوسلاته .!

- لابد أن أفضحه على رءوس الأشهاد .!

لابد أن يعرف كل الناس أن القطب غشنى ليتزوجنى .!

ثم باغتت البنت بتساؤلات تنزف اللوم والأسى ، تتهمها بأنها عرفت الجرم الذى إرتكبه القطب فى حقها ودارته عنها .!

عرفتـه من عباس الذى لم يعد يخفى عنها سرا ، ثم تكتمت عليـه فى صدرها ، وضنت به حتى على أمها .!

- حسرتى عليك يا إنشراح ، حتى البنت هان عليها أن تتركك تتمادين فى ظلم الأسيوطى وظلم نفسك .!

وهبت فايزة منفعلة ، تحلف لأمها وتتقطع ، فهى بريئة من ظنون أمها ، ولم تعرف بهذا التصرف الخسيس سوى الآن ، ومن فم أمها كما أكدت لها أن عباس أيضا لم يعرف ، وإلا لكان باح لهما عن طيب خاطر ، وما كان ليكتمه فى صدره أبدا .

- عباس يعتبرك أمه .. صدقينى يا أمى .

ثم راحت تذكر لها أن عباس هو الذى أسرع بها إلى هنا ، إلى المستشفى ، بعد أن وقعت فى زحام الشارع .!

كما أن عباس هو الذى لاحق الأطباء ، وظل بجانبها يرعاها ، حتى أنقذها الله وتجاوزت الأزمة .!

استكانت إنشراح فى رقدتها .. هدأت أنفاسها وبدأت الدماء تنساب بادرة فى صدرها ، وتمتص توتر الدماغ وغليانه .!

وعادت يدها تزحف إلى بطنها

- خلاص .. لم يعد هناك ما يربطنا بذيل القطب .. سنرجع لبيتنا القديم يا فايزة .

دخل عباس يحمل أكياسا مملوءة بالفاكهة والمعلبات ، وعلى وجهه تبدو ملامح الإطمئنان والسعادة .

أخذ يد إنشراح وقبلها

- سلامتك يا أمى

نظرت إليه بإتساع عينيها ، وهى تضغط على يده فى إستجداء وعرفان

- لا أريد أن أراه أبدا بعد اليوم .. أتعدنى يا بنى .؟

هز عباس رأسه مؤكدا ، ومقتنعا برغبتها ..

بعد أن غفلت إنشراح ، أخذت فايزة عباس جانبا لتكلمه ، فبدا الإستنكار على وجهه وهو يستمع لها .

قالت إن أمها لن تخرج من هذه الأزمة بسلام ، فالقطب أصابها فى مقتل ، يومها ، يوم أن دخل أبوها السجن ، جعلها القطب توقع على طلب الطلاق من أبيها مدعيا أنه توكيل لمحامى القضية ، ثم أخبر الأسيوطى أن زوجته لم تعد تريده ، وأنها لفظته وتخلت عنه ، وظل يستثيره ويؤجج الغيظ فى صدره حتى سمع منه يمين الطلاق ، طلاق زوجته إنشراح .!

- وهو ينهى مكالمته التليفونية ، القى منصور بالخبر المفاجىء فى أذن القطب .

فإنشرح صدره ، وسرت الدماء منتشية فى ملامحه ، تفضح فرحة الشماته والسخرية .

إنزاح أخيرا معالى الوزير عن طريقه .

سقط ولن يقوم أبدا .. ترك الجمل بما حمل وراح يلعق جراحه بعين منكسره وأنف فى التراب .

خسارة .. كان يتمنى أن يراه فى هذا الموقف ، وهو يقدم إستقالته مجبرا ، لكى يربت على كتفه ويواسيه ، يؤكد له أن اللعبة أكبر منه بكثير ، ومن كل إمكانياته وذكائه ، وأن المبارزة بالعقول تختلف كثيرا عن مبارزة الجعجعة والإحتماء بحصون المناصب ..

ولكن للأسف ، فالظروف لم تعد تسمح ، وما يشغله الأن أهم .

تمدد القطب فى مقعد العربة ، وراح يتلذذ بهواء التكييف فى إرتياح .

إنتبه إلى وجه عباس يتطلع من خلف الزجاج مترقبا .. وعندما دخل وقعد بادره وهو يرخى عينيه .

- أين كنت ؟

قال عباس فى ثبات ، وعين لاترمش .. إن هناك ظرفا طارئا أخره .

وعاد القطب يسأل وهو يبدى هدوئا مفتعلا .

- ماهو هذا الظرف الطارىء ؟

ورد عباس فى تثاقل ، إنه ظرف خاص ، وسيخبره به فيما بعد .

ناوش القطب شعيرات ذقنه .

- ظرف خاص .. آه

ولابد أنه أهم مما نحن فيه

تساءل عباس وهو يبدى إستعباطا متناهيا ، بينما أصابعه تعبث بأكرة الباب .

هل تأخر عليه كثيرا ؟

وهل كلفه بشىء ولم يفعله ؟

ثم هل يريد منه شيئا الآن ؟

تضاحك القطب ساخرا ، ويده تربت على رجل عباس

- رائحة كلامك لاتعجبنى ياعباس .. عموما ليس وقته ..

تجاهل عباس مايرمى إليه القطب ، من تلميح بالوعيد ، وظلت أصابعه تعبث بأكرة الباب فى صوت متوتر ، ثم بادره فى جدية .. أنه محتاج لأجازة فورية ، ليوم أو يومين .

بدأ الإنفعال يتسرب إلى رأس القطب ، ويعكر صفوه .

- نعم ؟

أتقول أجازة ياعباس ؟

هز عباس رأسه مؤكدا ، وفى عينيه يتجمد الإصرار .. فإنفلت زمام القطب رغما عنه .

- وتتبجح بها أمامى ياعباس .. أجازة .. وفى هذه الزنقة بالذات ؟

أكيد أصابتك لطشة فى نافوخك وأفقدتك وعيك .. لا .. فق لنفسك وإنتبه ، واللقمة التى ابتلعتها أكبر من حلقك سأجعلك تتقيأها ، وبأسرع مما تتصور.

هاج جوف عباس ولم يعد يحتمل محتواه ، أيقن أن اللحظة قد حانت ليقذف به ساخطا

فى وجه القطب ، ليستنزف سمومه التى سرت فى عروقه زمنا ولم ترحمه ، فلعله يتمكن أخيرا من إنقاذ ماتبقى من نفسه ؟

وفى اللحظة التى هم فيها بالإنفجار ، دق جرس التليفون ، وتدفق الصوت الغليظ فى أذن القطب .

- أنا صديق صديقك يا أبو الأفراس ... فاكرنى ؟

توتر وجه القطب وإندفعت يده تصفق السماعة ، لتقطع الإتصال .

وعاد الجرس يزعق فى إصرار ، والقطب يتطلع إليه فى غيظ .

وإرتعدت السماعة على وجهه وهو يتوعد بكل فمه .

- إبتعد عن طريقى ياجبان أحسن لك .

سمع عباس ضحكات الصوت الغليظ ، وهى تصطدم بأذن القطب وتتطاير من حولها .

- أنا جبان ياأبو الأفراس ؟

وماله .. لا يضر .. أصل كلامك عسل .. قل كمان .

إحتارت عينا القطب بين وجه عباس وأرضية العربة .

- لآخر مرة أحذرك ، لا تلقى بنفسك فى فم الأسد .

وعادت الضحكات تسوق سخرية الصوت الغليظ .

- أن كنت أسدا بحق فإخرج من عربتك وواجهنى .

تلفت القطب فى إستخفاف ، يستطلع الخارج من خلال الزجاج ، فلم يجد أحدا يرقبه أو يتربص به ، كما لم يشر إنتباهه أى تحرك مريب ، فى الطريق أو بداخل حوش القسم ، فتراخى فى مقعده وعيناه تشاغبان وجه عباس من تحت الأجفان ..

وقبل أن يهم بالسخرية من صاحب الصوت الغليظ ، فوجىء به مبادرا مستفزا .

- هل خفت ياأبو السباع ؟

* أتخاف أن تنزل من العربة ؟

ياخسارة الرجال .. ألف خسارة ..

ثم فوجىء بعينى عباس تحاصرانه ..

ألقى القطب بالسماعة ودفع باب العربة منفعلا ..

وقبل أن تنتصب قامته مزق الهدوء صوت طلق نارى مباغت ..

- ٦٤ -

أقبل المأمور ياسر الشاهد متحمسا يجتر إنفعاله ..

وكان منصور منهكما فى حديث جانبى مع رئيس لجنة الإنتخابات ، بجوار حجرة فرز الأصوات .

وعندما وصل إليهما تشاغل بإلقاء نظرة على الصناديق ، يراجع عددها ويتأكد من سلامة هياكلها وأختامها .

همس منصور لرفيقه بأن الغذاء جاهز للجميع ، وينتظرهم على تشوق فى الغرفة المجاورة .

- أهذا كلام ؟

يارجل لابد أن نخطف لنا لقمة تسندنا ، قبل أن ندخل فى معمعمة الفرز ووجع الدماغ .

إقترب منهما ياسر الشاهد ، وهو يثير نظرة موحية إلى ساعته ، بينما لاتبدى ملامحه إرتياحا لحديث الرجلين معا ..

قال لينهى الموقف .

- أظن نبدأ العمل

تباسم رئيس اللجنة فى نعومة لازجة ، وعيناه تداهنان وجه المأمور ..

قال إن الرجال لم يذوقوا لقمة واحدة منذ الصباح ، وإذا جاعت البطن ياMolانا ، تاهت الدماغ .. ثم إن عشر دقائق زيادة لن تقدم أو تؤخر فى مصير العباد ..

تبادل منصور وياسر الشاهد نظرات خاطفة متلاحقة ، تفاهما من خلالها جيدا بلغة عتاولة الكار الواحد ..

فأخرج منصور من جيبه ورقة مطوية ، وقدمها لياسر الشاهد ، وهو يهتز بقامته المتوثبة فى إستعلاء .

- الشغل شغل ياباشا .. تفضل .

تراخى ياسر الشاهد فى مد يده ، وتصدت عيناه لترقب الوجه المستخف ، لتحاصر تماديه فى سماجة المناورة .

- أعرف مابها .. إعطها لرئيس اللجنة .

تدخل رئيس اللجنة متطفلا وأخذ الورقة ونظر فيها .

قال فى حماس مفتعل .

- توكيل سليم مائة فى المائة ..

من الحاج قطب للباشا منصور ، يعطيه الحق فى مراقبة .

- فرز الأصوات .. كلام جميل .

ثم دس الورقة فى جيبه ، وحاول أن يلطف الجو بين الرجلين ، وأن يبدو مرضيا لكليهما .

- إطمئنا على الأخر .. ستسير الأمور هكذا .

وشرع إبهامه فى مواجهتهما مؤكدا بطريقة ساذجة .

جاء مهرولا ، رجل على هيئة حائط الصد ، ومال على رأس منصور وأخذ أذنه بين شفتيه الغليظتين ، وراح يبث بكل ملامحه ..

تطلع إليه منصور بوجه متعكر ثم شده ، وإنطلق به مهرولا ، بينما يتساءل فى تلهف .. أين .. وكيف وهل ؟

فى تشوق محموم أخذت إنشراح البنت إلى صدرها ، ضمتها ، وبكل وهن قوتها راحت تضغطها إلى نفسها ، وتنهال عليها بقبلات متلهفة ، تلهج بحرارة حرامان جاش فجأة .

- حبة عين أمك ياحسنية .

وإستسلمت البنت لأحضان أمها ، تستشعر الدفء والحنان ، وفى عينيها بدأ الإشفاق الطفولى عاجزا عن الإدراك ، لايعرف سبب بكاء الأم ، ولاسبب رقادها هكذا فى المستشفى ..

- مالك ياماما ؟

كان صدر إنشراح متأودا ، ينفطر بالدعاء ويستحلبه فى تمهل ، يبتهل به إلى صاحب العطاء ويرجوه ، لعله يمن على عباس بخير الجزاء .

فلم تكن هى تتوقع أن يستجيب الرجل بهذه السرعة ، ويأتى لها بالبنت ، محملة بالهدايا والفرصة .

فوجئت فايزة برأس أختها يروح فى النوم ، وهو مدسوس فى صدر الحنان .. فحاولت أن تريح أمها ، ولكن الصدر أبى أن يفرط فيما إستحوذ عليه ..

- دعيها كما هى .

ثم قالت إنشراح أنه لم يعد هناك داع لبقائها فى المستشفى ، وأنها تريدهم أن يأخذوها لبيتها القديم ..

وطاوعتها فايزة ، طمأنتها بأن عباس قد جهز لهم شقة رائعة ، وأنها إختارت لها أجمل حجرة فيها . وأن عباس يلح فى تحديد موعد الفرح .

بدت عينا إنشراح صافيتين ، تكشفان عن فرحة الأم ، وهى تفور فى الأعماق ، بينما تضغط بكلتا يديها على يد البنت .

- أنه راضية عنك يافايزة .. ربنا يسعدك يابنتى

ثم أبدت رغبتها فى إصرار أنها تريد أن تعود لبيتها القديم ، لابد أن تعود إليه أولا .. وبعدها يفعل الله مايريد.

ودارت عيناها فى إستعطاف ، تبحثان عن عباس .. أحست أنها تتلهف على لقاء الأسيوطى مرة أخرى ، أنها تريد أن تنظر إليه كما ينبغى وتكلمه ، تدخل فيه وتهزه فى عنف ، ثم تمسح دموعه وتتوسد صدره لترتاح ، ترتاح .. وتريحه هو أيضا .

إعتدل المزاج فتطوح الدماغ منسجما ، يرتكن إلى بلاطات القيشانى الناعمة ويناوش برودتها ، بينما العينان مسبلتان والشفتان تمتصان من السيجارة فى تلذذ .

- كل الأمور آخر حلاوة .

وبدأت الأمعاء تلين وتتقلص ، تطارد خمول الإمساك إلى أسفل ، وتلاحقه فى همة حتى النهاية .

وتمددت الإبتسامة الساخرة على وجه منصور .. وكان يتخيل منظر القطب وهو يتنكر لرعبه المفضوح ، وهو يحاول أن يستجمع أشتاته المنهاره ليتماسك ، يدعى أنها مجرد رصاصة طائشة من معتوه ، هفت بجاور أذنه وراحت لحال سبيلها ، بينما ترتعش يده بالمسبحة فى تواتر ..

- قدر ولطف ياحاج .. والله .. أنت فيك شيء لله .

ويرى نظرة القطب حائرة ، لا تكاد تطمئن على إتجاه ، وقد أخذ أنفه يتضخم وعيناه تحمران .

- ألم تلمح الفاعل ياحاج ؟

إشارة بطرف أصبعك ، فأجعله يلعن يوم مولده .

يسترخى القطب فى مقعد العربة ، ويملأ صدره بهواء التكييف لعله يبترد .

- أتقول الفاعل ؟ ومن يجرؤ ؟

ثم يباغته جرس التليفون .. فتتردد يده .. ويتطاير الصوت الغليظ من حلق السماعة ، ويتناثر على أذن منصور ، بعد أن يصطدم بإذن القطب .

- إياك تحسبنى أخطأتك ياأبو الأفراس .. عيب يارجل .. أنا ألاعبك .. أتسلى عليك .. أما الأمانة إياها فستصلك فى الصميم .

ويراقب منصور تواتر الإنفعالات على ملامح القطب ، والصوت الغليظ يحاصره ويستخف به .. ثم ينتبه منصور ، يتملص فجأة من جو تخيلاته ، فيشد ملابسه بسرعة وهو يؤنب نفسه .

- كل هذا الوقت فى دورة المياه .. معقول .

ثم ينطلق مهرولا إلى الخارج .

جاءه الخبران فى نفس اللحظة .!

وفى نفس اللحظة إنتفض الصدر وجاش ، تفسخ بداخله شىء عملاق ، تفسخ بغته وفى عنف شديد ، ليصبح شيئين عملاقين ، أحدهما يتصاعد إلى أعلى ، يضرب بجناحين عفيين منتشيين ، تشوقا إلى رحابه جو مثير يتراءى وينفرج ، والآخر يتداعى إلى أسفل ، إلى أعماق قاتمة ، تحاصره كتل الصخر المسنون ، يتخبط عليها ذبيحا متحسرا .

سكب القطب كوب الماء المثلج فى جوفه ، ولكن الشىء المتكالب على جدار الصدر ظل يتفسخ ويعاند فى إصرار .

مات الولد ياقطب .

راح وإنتهى أمره .. جمع خلاصة الآمال والأشواق وسقط بها فى عالم الغيب .

سقط فجأة ، تاركا فى أذنك صدى كلمة بغيضه ، لن يخرج منها أبدا .

مات .. مات الولد .

ولكن هل معنى ذلك أن ترفع الراية وتستسلم ؟

تترك نفسك فريسة سهلة لليأس والحزن ؟

وتظل تقلب صدرك على نار لاترحم ، حتى تنسلى وتذوب .

يارجل .. أنسيت أنك نجحت فى الإنتخابات ، فزت ياأبو الأفراس ووصلت إلى مقعد مجلس الشعب .. خطفته فى جسارة من بين الأنياب المتصارعة وفررت به .. ومن

اليوم أصبحت تعتلى رءوس العباد فى شرعية مطلقة ، أصبحت شخصية عامة ومحصنة ، صاحب رأى محسوب وكلمة مسموعة ، والأكثر من كل هذا فقد أصبحت قادرا على أن تفتح ذراعيك على إتساعهما وتجمع ، تحصد من خيرات الله فى حرية وأنت مطمئن ، وأنت محصن ، تحميك أقوى سلطة فى البلد .

آه .. متى تتمطى فى مقعد المجلس وأمامك الميكرفون .

لا يهم الآن ضياع الولد .

لا ينبغى أن تحزن على الإطلاق ، أو أن تشتت أفكارك ، فتضيع من دماغك لذة الإنتصار العظيم .

لا يهم الآن ضياع الولد ، مادمت لم تزل عفيا ، وما دامت أرحام النساء لم تزل مائلة تحت ساقيك ، تتمنى وتستجيب

الأمل موجود ياأبو الأفراس ، وسيظل موجودا لآخر لحظة من عمرك ، لآخر لحظة .

عاد صوت الطبل والزمر يستفرد بأذنه .. كان يملأ القصر ويتردد صداه إلى أرجاء الحى .

وكان المهنئون يتوافدون ، يدخلون ولا يخرجون ، بينما رنين التليفون لايكف لحظة ، عن زف عبارات التهاني والتملق .

ودخل منصور مبتسما ، مرسوم الملامح متعالى الصدر ، وعينه تلاطف وجه القطب ، وتمهد لأمر مرتقب .

وفى اعتذار ضاغط تمكن من الزحام وإحتواه إلى الخارج ، ثم أغلق الباب بالمفتاح .

جلس فى مواجهة القطب ، وأخذ كفه بين يديه ، وهنأه فى حماس .

– ألف مبروك يامعلم فرس النبى ، أقولها من القلب والله .

بوغت القطب بكلمة فرس النبى فتغيرت ملامحه ، بينما ظلت عيناه معلقتين فى توجس ، على وجه منصور ، تستطلعان وتتحفزان

قال منصور وهو يضع رجلا على رجل ، إن الوقت ضيق ، ومقعد مجلس الشعب ينتظر ، وهناك أمور لابد وأن تحسم بشكل واضح ، وإلا .. لفسدت اللعبة وغدرت بالجميع .

تململ القطب وهم بأن يندفع ، فواجهته كف منصور ، وأمره أن يهدأ ويستمع ، أن ينصت جيدا لما يقول ، وبعدها سيتركه يتكلم على هواه .

- صدقني أنا أخدمك ، لقد وجدت ملف المعلم فرس النبى أنظف بكثير من ملف الحاج قطب .

ثم راح يبرر له وجهة نظره ، بينما يغوص فى حضن كرسيه ويداعب السيجارة بشفتيه .. فالمعلم فرس النبى لم يستول على أموال الناس بالباطل ، لم يزور ويغش ، لم يغدر برجاله ويلقى بهم فى السجون ، لم يقتل ولم يعتل كرسى السلطة بالبلطجة وتخدير الرءوس ، لم يفعل الرجل شيئا من كل هذا ، كل ما هنالك أنه كان يساهم فى عدل الأمزجة المنحرفة ، فى صهللة جو الشبورة الممتع .. المعلم فرس كان مجرد لاعب مبتدىء ، يلعب فى عدة ملايين هايفه .. أما الحاج قطب فقد تجرأ على عرين الكبار ، زج برأسه بين رءوسهم ، ليزاحم فى لعبة السياسة ، وينهم وجه الدسم .

إنفجر غليان القطب رغما عنه .

- إخرس .. أنا قتلت ؟

إتسعت السخرية بملامح منصور ، وهو يخرج شريط الفيديو من الحقيبة ويلوح به .

- كله بالصوت والصورة .

ثم زج بالشريط فى الفيديو ، فظهرت على شاشة التليفزيون حادثة عربة الزلط ، وهى تدهم عربة الدكتور عاصم مكاوى ، ظهرت بالتفصيل وبما يوحى أنها مدبرة ، مع سبق الاصرار والترصد .

فالسائق بعد أن تأكد من موت الدكتور عاصم ، أخذ من عربته حقيبة المستندات وأخفاها ، ثم إعترف أمام الكاميرا أنه نفذ أوامر القطب ، فهو واضع الخطة ومدبرها .

إنتقض القطب ، لسعته الدهشة فسبقه لسانه .

- أنا دبرت هذا ؟

أخرج قبل أن أقطعك وأرميك للكلاب .

قال منصور في استخفاف .

- حاسب .. هذه لعبتى أنا

ثم تناول علبة مملوءة بالشرائط الكاسيت ووضعها أمامه .

- نسختك .. كل حرف نطقه لسانك في هذه الحجرة ، ومنذ أن دخلتها أنا لأول مرة ، ستجده مسجلا هنا ، ويمنتهى الأمانة .

تضاحك القطب وراح يعبث بمسبحته ، أراد أن يتحايل لإلتقاط الأنفاس ، ولكى يحدد أبعاد المأزق الذى إبتلعه فجأة .

تجاهل منصور حركات القطب ، وظل يواصل كلامه .. أخبره أن الشرائط مسجل عليها كل الطرائف ، كعلاقته المشبوهة بالمكشوف وعوامته ونسائه ، وكصفقات الوزير المخزية معه ، ورشاوى كبار المسئولين ، وحبك المؤمرات والخطط .

قاطعه القطب وهو يبدى إستسلاما لحصار الفخ القابض عليه .

- ما علينا .. أتهدد القطب ؟

تساءل منصور بكل بجاحته .

- أتشك في هذا ؟

وتمدد صدر القطب على آخره .

- أتجـرؤ ؟

وهز منصور مقدمة حذائه في تواتر .

- أستطيع أن أبيدك وأنت في قمة فرحتك .

أخذ القطب سيجارة من علبة منصور وأشعلها .

- وطلباتك ؟

- صداقة متينة .. ومشاركة بما يرضى الله .

- أتعرف أنت ما يرضى الله ؟

- ما يرضى الله أنك لا تصل إلى مقعد المجلس أبدا .

وعلى فكرة ، كل ماحدث فى حجرات الإنتخابات تم تسجيله أيضا بالصوت والصورة ، فقط للذكرى ، لمجرد الذكرى .

تسائل القطب فى نفاذ صبر .

- طلباتك .. خلصنى .

فأبدى منصور إستمتاعا فوارا ، وهو يلاعبه على نار هادئة .

- وعلى فكرة أيضا ، صديق صديقك تفاهمت معه ، وأخذته فى جيبى هذا .. ولن يخرج منه .. إلا إذا ....

أحس القطب بصداع شديد يداهم رأسه ، يتكالب عليه فى شراسة ، جارشا فى أذنيه صوت منصور ، ثائرا فتاته لغطا عديم المعنى .. بينما ظلت ملامح منصور ينتفخ وتتلاعب أمامه ، حتى ملأت الحجرة .

-٦٨-

كان جاثيا على ركبتيه في خيمة من ضباب متكاثف ..

يجاهد ثقل جفنيه لعله يرى شيئا ، ويحاول أن يستر عريه المتمدد فى تهويمات الشبورة ، ويحاول أن يتقيأ كلاما متحجرا فى قاع المعدة .!

وتراءى له وجه أخيه عبد التواب ، متماوجاً مع دفقات الضباب المتداخل .. العين المذعورة تتلهف ، والعين المكلومة تقاوم ، وفى الحلق دماء تغرغر ، بينما ينز الصوت مرا لاسعا .

هاتهم يابن أبى .. هاتهم يافرس النبى .

فتحركت تلقائيا اليد إلى أعلى ، وإنسلخ عن الإصبع الخاتم الفضى ذو الفص الغريب الشكل ، كما إنسلت عن الصدر الساعة الفضية ذات الكتينه .. ثم مالبث أن إبتعد الإثنان وإبتلعهما جوف الضباب .!

تمدد وجه عبد التواب وتحرك الفم ، خرج منه صوت عباس حزينا متمردا .

لأنى عرفت ماعرفت ، فمن الآن أنت من طريق وأنا من طريق .

ثم عاد وجه عبد التواب ينكمش فى تماوج ، بينما تتميع ملامحه وتمتصها تهويمات الضباب فى بطء شديد .

أراد أن يزعق بكل أعضائه .

أراد أن يتملص من غلاف الجبس الذى يضغط على جسده ويشل حركته .

فـفـوجـىء بأياديهم عـريضـة مـثل المطرحـة ، ثقـيلة مـثل حـجـر الرحـاية ، وهى تتلقـفـه وتؤرجحه ثم تقذفه إلى أعلى ، فيصل مرعوبا إلى نهاية السماء المعتمه ، ويرى الأرض تبتعد أسفله ، كرة من جراب مسنونه ،، يرتجف قلبه وهو يهوى إليها .. فتعود الأيدى تتلقفه وتورجحه إلى أعلى .. وكانت وجوههم زاعقة فى همجية ، ساخرة فى شماته ، وهو يقاوم الهبوط إليهم ، فى كل مرة ، وفى كل مرة يتعرف على وجه آخر ، من وجوه أهل بلدته ، المتزاحمين فى ساحة جرن القرية .!

وفى المرة الأخيرة تلقفه وجه أبيه منكسرا ، فدخل فيه لائذاً مرهقا .

- أضعت الولد يافرس النبى

وكانت إنشراح تجرى فى صحراء مترامية ، تحمل بطنها الكبير وتفربه ، وهو يلاحقها فى يأس ، التفتت إليه وبصقت شيئا إرتطم به فى عنف ، ثم توقفت عند حافة البئر ونادت على الأسيوطى بكل عافيتها .

توسل هو بصوت مختنق ، وعيناه تقتصران الدموع ، وقبل أن تصلها يداه كان صوتها يتردد محلقا فى جوف البئر .

- رح الولد كما أتى .. راح .. راح .

إنتفض القطب لاهثا ، خلع نفسه غصباً من جوف الكابوس الثقيل .

تطلـع حـوله والعرق يبلله ، وتراءى له الصـمت جـاثيـاً على جو الحـجرة ، وعلى قطع الأثاث ، وعلى شحوب الضوء .

كيف وصل إلى حجرة نومه .؟

ومن الذى وضعه على سريره وتركه هكذا وحيدا ؟

كانت السـتارة تهتز فى إنسجام ، تتمسح بغبشة الفجر المتهاوية فى الجو وتمتص رمادية لونها .

إنتبه فإنشرح صدره ..

قم يافرس النبى ، إنشط يا رجل فاليوم عيدك .

وناوتشه لحظة دخوله قاعة المجلس ، وهو يخطو ثابتا متعالى الهامة ، إلى عالم المقاعد البنية اللامعة ، والميكروفونات الفضية المتناثرة ، ووجوه الزملاء والوزراء ورجال الأعمال ، وكلها تبتسم فى إرتياح ، وتتكلم فى إطمئنان .

وإزداد صدره إنشراحاً ..

أين هى ملابسى الجديدة ؟

أين ملابس مجلس الشعب الموقر ؟

وعندما هم من سريره ، إنفجر صوت الطلقة المباغته وهى تحف بأذنه فى سرعة رهيبة .!!

كـتب للمـؤلف

١ – مسافة بين الوجه والقناع	روايــة	دار الهـلال	١٩٧٨
٢ – حـافـة الفـردوس	»	دار الحـرية	١٩٨٣
٣ – العـصـر الرمـادى	»	هيئة الكتاب	١٩٩٠
٤ – تمثال على أعمدة الهواء	مجموعة قصصية	دار العـلـم	١٩٧٠
٥ – رائحـة الرمـاد	»	دار الحـرية	١٩٧٧
٦ – ضـحكة الأسـد	»	هيئة الكتاب	١٩٨٦
٧ – غـزو الأرانب	»	»	١٩٩٤
٨ – الدوران حـول الســور	»	دار الهـلال	١٩٨٠
٩ – قطاع مملكة الفاصوليا	»	هيئة الكتاب	١٩٩٥

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٤٧٢ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 235 - 998 - 7)

فرس النبى

يكتسب العمل الأدبى قيمته من المجال الذى يتحرك فيه وينطلق منه ، ومن النسق التعبيرى الذى يصور هذا المجال ويجسده ، دون افتعال فى التناول ، أو جرى وراء بريق حداثة خادعة .

لقد جمع المؤلف بين قيمتى المجال والنسق الفنى فى أعماله ، فكشف عن مساحة عريضة من الهموم الإنسانية التى تتبدى من وراء السلوك ، ولاح إبداعه بسيطا ، عميقا ، متنوعا ، فحقق بذلك التوازن ، وقدم القيمة الفنية العالية ..

وفى روايته الأخيرة « فرس النبى » يدعم المؤلف اتجاهه فيضع يده على تحولات عصر الإنفتاح ، وما خلفته من تأثير واضح فى النفوس ، والسلوك ، مستعينا برؤية نفاذه تدين مايخرج على قيم المجتمع وأعرافه ، وترصد مواطن العطب الأخلاقى فى جرأة ، وتعريها فى حماس لايخذله التردد .

كما تقترب الرواية فى حميمية من الواقع ، ومن المفردات البشرية فى حركتها اليومية ، وفى توقها وسعيها الدؤوب نحو تحقيق آمال فى الثراء ، أو الجاه ، أو المركز ، أو النفوذ !

وواكبت اللغة فى جمالياتها التعبيرية الأخاذه ، المواقف ، والأحداث ، والرغبات ، والآمال المحبطة ...





١٩٩٨